معتقد فقهاء المذاهب الأربعة

وجولة حول معتقد أبرز مَن تلَقَّوا منهم ومن تبعوا مذاهبهم

تأليف

أ.د.محمد عبد العليم الدسوقي
الأستاذ في كلية الدراسات العليا جامعة الأزهر
الرابطة العالمية لخريجي الأزهر الشريف

معتقد فقهاء المذاهب الأربعة

وجولة حول معتقد أبرز مَن تلقَّوا منهم ومن تبَعِوا مذاهبهم

يقول أ.د. أحمد الطيب شيخ الجامع الأزهر: "مذهب السلف الصالح في مسألة صفات الله تعالى، هو: أن نثبت لله كل صفة أثبتها لنفسه في القرآن، أو وردت بها الأحاديث الصحيحة، وأن ننفي كل صفة نفاها عن نفسه أو نفاها رسول الله صلى الله عليه وسلم، من غير أن نكلف أنفسنا عناء البحث في كيفية هذه الصفات .. وإذا كانت ذات الله لا تشبه سائر الذوات الأخرى فكذلك صفاته لا تشبه صفات المخلوقين"إ.هـ باختصار من (مقومات الإسلام) هدية مجلة الأزهر ص٦٤ بعددها الصادر في شوال من العام ١٤٤٢ الموافق لشهر مايو من العام ٢٠٢١.

ولا يشك عاقل في أن أئمة المذاهب هم من سلف هذه الأمة .. وبحقهم يقول **ابن تيمية** في منهاج السنة ٢/ ٥٤: "إن الأئمة المشهورين كلهم يثبتون الصفات لله تعالى، ويقولون: إن القرآن كلام الله ليس بمخلوق، ويقولون: إن الله يُرى في الآخرة، وهذا مذهب الصحابة والتابعين لهم بإحسان من أهل البيت وغيرهم، ومذهب الأئمة المتبوعين مثل مالك بن أنس والثوري والليث بن سعد والأوزاعي وأبي حنيفة والشافعي وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه" .

ويقول في مجموع الفتاوى ٣/ ١٨٥: "ما من إمام إلا وقد انتسب إليه أقوام، هو منهم برئ، فقد انتسب إلى مالك أُناسٌ مالكٌ برئ منهم، وانتسب إلى الشافعي أناس هو برئ منهم، وانتسب إلى أبي حنيفة أناس هو برئ منهم، وانتسب إلى أحمد ناس من الحشوية والمشبهة" .

ويقول القاضي **ابن أبي العز** في شرحه العقيدة الطحاوية ص٢٣٢: "ولا يُلتفت إلى من أنكر ذلك – يعني: علو الله تعالى على خلقه واستوائه على عرشه – ممن يَنتسب إلى مذهب أبي حنيفة، فقد انتسب إليه طوائف معتزلة وغيرهم مخالفون له في كثير من اعتقاداته، وقد ينتسب إلى مالك والشافعي وأحمد مَن يخالفهم في بعض اعتقاداهم" .. وجميعهم كما قلنا من سلف هذه الأمة .. وقديمًا قالوا:

الخيرُ كل الخير في اتباع من سلف * والشرُّ كلُّ الشرِّ في ابتداع من خلف

تأليف

أ.د.محمد عبد العليم الدسوقي
الأستاذ في كلية الدراسات العليا جامعة الأزهر
الرابطة العالمية لخريجي الأزهر الشريف

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

{يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون} [آل عمران: ١٠٢].

{يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالًا كثيرًا ونساءً واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبًا} [النساء:١].

{يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولًا سديدًا. يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزًا عظيمًا} [الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد .. فإن أصدق الحديث كلام الله؛ وخير الهدي هدي نبيه ومصطفاه صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها؛ وكل محدثة بدعة؛ وكل بدعة ضلالة؛ وكل ضلالة في النار .. وإنما قصدنا من وراء مدارسة معتقد أئمة المذاهب الأربعة ومن تلقوا منهم أو تلقوا عنهم أو تقلدوا مذهبهم، أمرين مهمين؛ جعلتهما – وجميعَ ما في هذا الإعْدَاد – حجة فيما بيني وبين الله تعالى على كل مخالف:

أولهما: بيان اتفاق جميعهم في أمور وقضايا الاعتقاد، وأن ثمة فرقًا بين الاختلاف فيما جرى بينهم في المسائل الفقهية – وما أكثرها – والتي تعارف عليها جمهرة أهل العلم بتسميتها بـ(اختلاف التنوع)، والذي يسع فيه الخلاف؛ والذمُّ واقع على من بغى على الآخر فيه، وبين الاختلاف في مسائل الاعتقاد والمسماة لديهم بـ(اختلاف التضاد)، والذي المصيب فيه واحد، والحق فيه لا يتعدد لتنافي القولين فيه، كالذي في الأصول وقضايا الاعتقاد(١).

وثانيهما: إقامة الحجة على من خالف – من طلاب العلم والمنتسبين إليه ممن يتمسكون بآراء الفقهاء في مسائل الفقه من المتكلمة والمتصوفة والأشعرية – معتقدات فقهاء المذاهب وأئمة الهدى ومصابيح الدجى، وبخاصة إذا كانت آراء من يتعصب له أولئك مرجوحة .. إذ في حين نرى الكثير منهم يتشبثون بتلك الآراء المرجوحة ؛ لا نلفَهم يعتصمون بما أجمع عليه فقهاء الأمة في مسائل الاعتقاد؛ وهو ما يجب الأخذ والتشبث به من باب أولى؛ لكون الحق فيما أجمعوا عليه وأصابوا فيه؛ واحد لا يتعدد.

وإنه ليحلو لكثير ممن هم على أيٍّ من مذاهب الأئمة الأربعة أن يتعصبوا لعقيدة التفويض لمعاني الصفات أو التعطيل بالتأويل الباطل، لمجرد أن بعضًا من المنتسبين إليهم من القدماء حاد عن طريق أولئك الأئمة الأعلام وطفق يتبع هواه ويسلك سبيلًا غير سبيلهم، أو يدَّعى على أولئك الأئمة أو على أيٍّ منهم أنهم كانوا كذلك في التأويل والتفويض واتخاذ المخلوقين أولياء من دون الله، من نحو: ما ادعوا على أحمد من أن ما ذهب إلي من تفسير معية الله الوارد ذكرها في آي الذكر الحكيم بـ(العلم) هو من قبل تأويل المتكلمة في حين أنه لا يعدو أن يكون من قبيل تفسير القرآن بالقرآن، أو أنهم كانوا يقولون في صفاته تعالى بأنها من المتشابه الذي يجب حياله التفويض.

وهذا كله من الفِرى المختلق، ولا يقلُّ عنه في الافتراء عليهم من يخلط بين مذهب بعض العلماء الفقهي وبين مذهبه العقدي، فيقول مثلًا: (الحنفية ماتريدية أو كُلَّابية، والمالكية والشافعية أشعرية، والحنابلة سلفية)، أو يفرِّق بينهما فيقول مثلًا: (فلان حنفي المهذب ماتريدي المعتقد) أو يقول نحوًا من ذلك بحق الإمام مالك أو الشافعي أو أحمد، مدعيًا أن مذهب أيٍّ منهم العقدي مختلف عن مذهبه الفقهي، أو منسلخًا من المذهب العقدي لأيٍّ مظهرًا موافقته لمذهبه الفقهي.

وهذا أيضًا من الخطأ بمكان، وإنهم لبرءاء من كل ذلك على ما سنبين وندلل، ولا ينسبه إليهم من كان لديه مسكة من عقل أو مثقال ذرة من علم، وبحقه يقول شيخ الإسلام: "ما من إمام إلا وقد انتسب إليه

(١) وينظر في هذا كلام ابن أبي العز في شرحه على الطحاوية ص٤٥٧ وما بعدها، و(الحجة) للأصبهاني ٢/ ٢٤٢ وغيرهما

أقوام، وهو منهم برئ، فقد انتسب إلى مالك أناس ومالك برئ منهم، وانتسب إلى الشافعي أناس وهو برئ منهم"(١).

ويقول كما في منهاج السنة ٥/ ٢٦١: "وكذلك أهل المذاهب الأربعة وغيرها، ولاسيما من قد تلبس ببعض المقالات الأصولية وخلط هذا بهذا، فالحنبلي والشافعي والمالكي يخلط مذهب مالك والشافعي وأحمد شيئًا من أصول الأشعرية والسالمية وغير ذلك، ويضيفه إلى مذهب مالك والشافعي وأحمد، وكذلك الحنفي يخلط بمذهب أبي حنيفة شيئًا من أصول المعتزلة والكرَّامية والكلّابية ويضيفه إلى مذهب أبي حنيفة"، وسيأتي كلام القاضي ابن أبي العز في ذلك إبان حديثنا عن معتقد أبي حنيفة رحمهما الله.

وبحق أمثال هؤلاء ممن يقلد الأئمة في الفروع ويخالفهم في الاعتقاد وفي الرد عليهم، ألَّف أحد علماء الشافعية الكبار – ألا وهو الإمام العلامة شيخ الحرمين أبو الحسن محمد بن عبد الملك الكرجي ت٥٣٢ – كتابًا سماه (الفصول في الأصول عن الأئمة الفحول.. إلزامًا لذوي البدع والفضول)، ذكر فيه كلام (الشافعي ومالك والثوري وأحمد والبخاري وابن عيينة وابن المبارك والأوزاعي والليث بن سعد وابن راهويه) في أصول السنة وما يُعرف به اعتقادهم، وذكر في تراجمهم ما فيه تنبيه على مراتبهم ومكانتهم في الإسلام إلى أن قال:

"ووجه ثالث لا بد من أن نبيِّن فيه فنقول: (إن في النقل عن هؤلاء الأئمة إلزامًا للحجة على كلِّ من ينتحل مذهب إمام يخالفه في العقيدة، فإن أحدهما لا محالة يُضَلِّل صاحبه أو يبدِّعه أو يكفرِّه، فانتحال مذهبه مع مخالفته له في العقيدة مُسْتَنكَرٌ شرعًا وطبعًا، فمن قال: إني شافعي الشرع أشعري الاعتقاد، قلنا له: هذا من الأضداد، بل لابد من الارتداد، إذ لم يكن الشافعي أشعري الاعتقاد، ومن قال: أنا حنبلي الفروع، معتزلي الأصول، قلنا: قد ضللتَ إذًا عن سواء السبيل فيما تزعمه، إذ لم يكن أحمد معتزلي الدين والاجتهاد".

وقال: "وقد افتتن خلق من المالكية بمذاهب الأشعرية، وهذا والله سُبَّة وعار، وفلتةٌ تعود بالوبال والنكال وسوء الدار، على منتحلِ مذاهب هؤلاء الأئمة الكبار، فإن مذهبهم ما رويناه من تكفيرهم الجهمية والمعتزلة والقدرية والواقفية، وتكفيرهم اللفظية"(٢) .

هذا؛ ومَن شك في أن جميع فقهاء المذاهب كانوا على مذهب الصحابة ومن تبعهم بإحسان؛ فليطالع: (أصول البزدوي)، و(مرقاة المفاتيح) للملا على القاري، و(روح المعاني) للآلوسي، و(الفقه الكبير والأبسط) في معتقد الأحناف، و(شرح الطحاوية) للقاضي ابن أبي العز، و(الجواهر المُضَيّة في شرح وصية الإمام) للشيخ أحمد الأشموني والملا حسين بن إسكندر الرومي الحنفي، و(ذم الكلام) للهروي، و(الصفات) للدارقطني، و(الشريعة) للآجري، و(الاعتقاد) لأبي الحسين محمد بن أبي يعلى، و(الطبقات) له، و(التمهيد) لابن عبد البر، و(الانتقاء) له، و(عقيدة السلف أصحاب الحديث) للصابوني، و(الفتح) لابن حجر، و(تهذيب التهذيب) له، و(ترتيب المدارك) للقاضي عياض، و(آداب الشافعي) لابن أبي حاتم الرازي، و(الحلية) لأبي نعيم، و(السنن الكبرى) للترمذي، و(الأسماء والصفات) للبيهقي، و(شرح السنة) للبغوي وللمزني وللبربهاري، و(سير أعلام النبلاء) للحافظ الذهبي، و(مناقب الإمام) له، و(العلو للعلي الغفار) له، و(مختصر العلو) للألباني، و(مجموع الفتاوى) لابن تيمية، و(درء تعارض العقل والنقل) له، و(اجتماع الجيوش) لابن القيم، و(الرسالة) للشافعي، و(ذم التأويل) لابن قدامة، و(كتاب المحنة) لحنبل، و(مناقب الشافعي) للبيهقي، و(السنة) لغير واحد، و(شرح أصول اعتقاد أهل السنة) للالكائي.. إلى غير ذلك مما جادت به قرائح مصنفي كتب العقائد وأئمة التفسير والحديث والفقه والأصول، من الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة.

---

(١) مجموع الفتاوى ٣/ ١٨٥ وينظر العقود الدرية ص١٥٧.

(٢) انتهى ملخصًا من مجموع الفتاوى ٤/ ١٧٧، وكتاب الكرجي هذا مفقود وقد لخصه شيخ الإسلام في المصدر السالف الذكر، كما أتى على ذكره في درء التعارض ٢/ ٩٦ .

ومن يتأمل ذلك من مخالفيهم المتعصبين، فسيرى بنفسه أن أصحاب التأويل في واد وأئمة المذاهب في واد آخر، وأن ما أحداً منهم عدَّ صفات الله من المتشابه الذي استأثر الله بعلمه، وأن ليس كل من انتسب إلى الإمام أبي حنيفة وبقية أئمة أهل السنة والجماعة يُعَدُّ موافقًا لهم في أصول الدين وفروعه، بل هناك من كبار المبتدعة من انتسب إلى الإمام أبي حنيفة، وأبو حنيفة بريء منهم براءة الذئب من دم ابن يعقوب، فبالمقارنة مثلًا بين أبي حنيفة وأبي منصور الماتريدي الحنفي الذي يَحتفي به كثيرون ويشدون أحيانًا الرحال إلى قبره، يظهر له:

أنَّهما مختلفان في المنهج، متباعدان في التطبيق في كثير من مسائل الاعتقاد، فلم يكن الماتريدي ولا أتباعه على منهج الإمام أبي حنيفة في الاعتقاد البتة؛ ولك ان تقول مثل ذلك بحق الكُلَّابية أو متأخري الأشعرية، وإن انتسب هؤلاء جميعًا إليه في الفروع .. وأن ليس مِن منهج أبي حنيفة نوعٌ من التشبيه أو التعطيل، وكذلك لا يوجد في كلام الإمام تفويض مطلق، بل الذي في كلام أبي حنيفة تفويضٌ مقيَّدٌ بنفي العلم بالكيفيَّة دون المعنى، فقد أثبت الإمام جميع الصفات – ذاتيَّة كانت أو خبرية أو فعليَّةً – بدون تأويلٍ أو تحريفٍ، وظلَّ ملتزمًا بمنهجه هذا أثناء التطبيق؛ فأبى أن يُؤوِّل (اليد) بـ(القدرة أو النعمة)، و(الرضا) بـ(الثواب)، و(الغضب) بـ(العقاب) .

وكذلك يزعم الأحباش وبعض الأشعرية كعبد القاهر البغدادي، أنهم على مذهب الإمام الشافعي في: الفقه والاعتقاد، ولكنهم في الحقيقة أبعد ما يكونون عن مذهب الشافعي، فهم يُؤولون صفات الله تعالى بلا ضابط شرعي، فيؤولون (الاستواء) بـ(الاستيلاء) كالمعتزلة والجهمية، والإمام الشافعي مثل بقية أصحاب المذاهب، يثبت صفات الله بلا تأويل ولا تجسيم ولا تعطيل، وهذا هو الصراط المستقيم في باب صفات الله: (إثبات بلا تشبيه وتنزيه بلا تعطيل).. وهكذا كثير ممن ينتسبون لمالك وأحمد.

وصفوة القول: أن عقيدة الأئمة الأربعة – أبي حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد – اعتقاد واحدٌ في أصول الدين لا يجوز مخالفته، وكلهم على ما سنذكر: على عقيدة الصحابة وتابعيهم بإحسان في سائر قضايا الاعتقاد، وعلى رأس ذلك توحيد الصفات، فجميعهم ينزهون الله فيصفونه بما وصف به نفسه في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل.. وينفون عنه ما نفاه عن نفسه فيهما .. ويؤمنون بجميع ما آمنت به الطائفة الناجية من جماعة أهل السنة وعامة المسلمين.

وقد استوجب التطرق للحديث عن معتقد أئمة الفقه؛ واستكمال ما بدأه د. عبد الرحمن الخميس، أن نفرد لكلِّ إمام منهم فصلًا خاصًّا ومستقلًا؛ نُسجِّلُ فيه ما أمكن جمعه من أقواله وأعماله وكتاباته وإملاءاته في جميع ما يخص قضايا الاعتقاد، وأن يُنصَّ على معتقده إن وُجد .. بل وأن نعمد إلى أبرز شيوخ وتلاميذ كلٍّ فنذكر لهم – وفيما أوصلناهم لقرابة الستين إمامًا من أصحاب المذاهب وأئمة أهل السنة والجماعة سنذكرهم بأسمائهم في الخاتمة – ما دبَّجوه من أقوال وأجوبة، وأن نسرد معتقدًا واحدًا أو أكثر لننقله بنصه وفصه باعتباره نموذجًا يحتذى، ليقف القارئ وطالب العلم على ما لا يجوز مخالفته مما ورد عن إمامه الذي ينتمي إليه فقهيًّا، ليتبع ذلك بل ولْيَسْبِقه بالوقوف على معتقده إن كان صادقاً في انتمائه، إذ لا يُعقل لمن انتمى لأبي حنيفة أو مالك او الشافعي أو ابن حنبل في فقهه أن يخالفه في معتقده .. ولنبدأ – بتوفيق الله – بما دان اللهَ به أبو حنيفة رحمه الله .

&&&&&&&&

الفصل الأول

إطلالة على معتقد الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان ت ١٥٠هـ(١)
وجولة حول معتقد من تلقى عنهم وتلقوا عنه

المبحث الأول
نبذة مختصرة عن أبي حنيفة وعن معتقده في توحيد الصفات

أ) نبذة مختصرة عن الإمام أبي حنيفة:

هو: النعمان بن ثابت بن زوطي التيمي بن ثعلبة يقال: إنه من أبناء فارس، الكوفي العربي الأرومة، العالمُ والفقيهُ المسلم الأصل والديانة، وأول الأئمة الأربعة عند أهل السنة والجماعة، وهو صاحب المذهب الحنفي في الفقه الإسلامي، وهو من اشتهر بعلمه الكثير وأخلاقه الحسنة.

يلقب في التراث الإسلامي بـ(الإمام الأعظم) .. حدّث عنه خلق كثير، وأخذ هو عن كثير من التابعين وأفتى في زمانهم، لذا يعدُّ أبو حنيفة من التابعين لاسيما وقد لقي العديد من الصحابة، منهم: أنس بن مالك .. عُرف النعمان بالتقوى والورع وكثرة العبادة والوقار والإخلاص وقوة الشخصية، ومعتمده في التشريع على ستة مصادر: هي القرآن، والسنة، والإجماع، والقياس، والاستحسان، والعرف والعادة .. وكان قد ولد ونشأ في الكوفة وعاش فيها أكثر حياته، وتعلّم وجادل وعلّم حتى صار من أشهر علماء المسلمين، وكانت الكوفة وقتها من حواضر المدن العراقية العظيمة، التي انتشر فيها جميع العلماء من أصحاب المذاهب السنية والديانات المتعددة.

نشأ الإمام أبو حنيفة في بيئة مليئة بالعلم والعلماء وبدأ منذ الصغر يحاجج جميع المجادلين، وقد انصرف عن مهنة التجارة لطلب العلم، فصار يذهب إلى العديد من حلقات العلماء واتجه إلى دراسة الفقه، وهذا بعد أن استعرض العديد من العلوم التي يتم معرفتها في هذا الوقت، وكان ملازمًا لشيخه حماد بن أبي سليمان يتعلم منه الفقه حتى مات حماد سنة ١٢٠هـ، وتولى هو مكانه الرئاسة الخاصة بحلقة الشيخ حماد في مسجد الكوفة، وجعل يدرس وتُعرض عليه الفتاوى، فكان أن وضع هذه الطريقة الفقهية التي حصل منها على المذهب الحنفي .. وكان زاهدًا ورعًا، أراد يزيد بن هبيرة أمير العراق، أيام مروان بن محمد أن يلي القضاء فأبى، وأراده بعد ذلك المنصور العباسي على القضاء فامتنع، فحبسه المنصور إلى أن مات.

هذا، وقد اتفق أهل العلم على إمامته وجلالة قدره، فقال علي بن عاصم: (لو وزن علم أبي حنيفة بعلم أهل زمانه، لرجح عليهم) .. وقال ابن المبارك: (رأيت أعبد الناس، ورأيت أورع الناس، ورأيت أعلم الناس، ورأيت أفقه الناس، فأما أعبد الناس: فعبد العزيز بن أبي روّاد، وأما أورع الناس: فالفضيل بن عياض، وأما أعلم الناس: فسفيان الثوري، وأما أفقه الناس: فأبو حنيفة)، ثم قال: (ما رأيت في الفقه مثله) .. ولم يكتف بذلك حتى مدحه في أبيات قال فيها:

رأيتُ أبا حنيفة كل يوم * يزيد نبالة ويزيد خيرًا
وينطق بالصواب ويصطفيه * إذا ما قال أهل الجور جورًا

وقال الإمام أبو يوسف: (كانوا يقولون: أبو حنيفة زينة الله بالفقه والعلم، والسخاء والبذل، وأخلاق القرآن التي كانت فيه)، وقال الإمام سفيان الثوري: (ما مقلت عيناي مثل أبي حنيفة)، وقال يحيى القطان إمام الجرح والتعديل: (إن أبا حنيفة – والله – لأعلم هذه الأمة بما جاء عن الله ورسوله)، وقال إسحاق بن أبي إسرائيل: (ذَكر قومٌ أبا حنيفة عند ابن عيينة فتنقَّصه بعضُهم، فقال سفيان: (مه! كان أبو حنيفة أكثر الناس

(١) وقد ورد هذا المعتقد مختصرًا بالحلقة الخامسة بمجلة التوحيد عدد رجب ١٤٤٣ .. وتبع ذلك: الكلام عن بقية أصحاب المذاهب وغيرهم من أئمة الهدى .. وجاء جميعه تحت عنوان: (نماذج تُحتذى من أعلام وأئمة أهل السنة)

صلاة، وأعظمهم أمانة، وأحسنهم مروءة)، وقال صدقة المقابري: (لمَّا دُفن أبو حنيفة في مقابر الخيزران سمعت صوتًا في الليل ثلاث ليال يقول:

لقد زان البلاد ومن عليها * إمام المسلمين أبو حنيفة
فما بالمشرقين له نظير * ولا بالمغربين ولا بكوفة
ويأتيكم بإسناد صحيح * كآيات الزبور على الصحيفة)

وقال وكيع شيخ الشافعي: (كان أبو حنيفة عظيم الأمانة، وكان يؤثر رضا الله تعالى على كل شيء، ولو أخذته السيوف في الله تعالى لاحتملها).

وقال الشافعي: (من أراد أن يتبحر في الفقه فهو عيال على أبي حنيفة، كان أبو حنيفة ممن وُفق له الفقه)، وقال: سئل مالك بن أنس: هل رأيت أبا حنيفة وناظرته؟، فقال: (نعم، رأيت رجلًا لو نظر إلى هذه السارية وهي من حجارة، فقال إنها من ذهب لقام بحجته)، وقال: (من أراد الحديث الصحيح فعليه بمالك، ومن أراد الجدل فعليه بأبي حنيفة، ومن أراد التفسير فعليه بمقاتل بن سليمان).

وقال أحمد بن حنبل: (إن أبا حنيفة من العلم والورع والزهد وإيثار الآخرة؛ بمحل لا يدركه أحد، ولقد ضُرب بالسياط لِيَلِيَ للمنصور فلم يفعل، فرحمة الله عليه ورضوانه)، كما كان الإمام أحمد كثيرًا ما يذكره ويترحم عليه، ويبكي في زمن محنته، ويتسلى بضِرَب أبي حنيفة على القضاء، وقال أبو بكر المروذي: سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل يقول: (لم يصح عندنا أن أبا حنيفة رحمه الله قال: القرآن مخلوق)، فقلت: (الحمد لله يا أبا عبد الله، هو من العلم بمنزلة)، فقال: (سبحان الله! هو من العلم والورع والزهد وإيثار الدار الآخرة بمحل لا يدركه فيه أحد، ولقد ضُرب بالسياط على أن يلي القضاء لأبي جعفر فلم يفعل)

كما أثنى الشيخ أبو زكريا السلماسي على أبي حنيفة فقال: (أما أبو حنيفة؛ فله في الدين المراتب الشريفة، والمناصب المنيفة، سراجٌ في الظلمة وهَّاج، وبحرٌ بالحكم عجَّاج، سيدُ الفقهاء في عصره، ورأسُ العلماء في مِصره، له البيان في علم الشرع والدين، والحظ الوافر من الورع المتين، والإشارات الدقيقة في حقيقة اليقين، مهَّد ببيانه قواعد الإسلام، وأحكم بتبيانه شرائع الحلال والحرام، وصار قدوة الأئمة الأعلام، سبق الكافة منهم إلى تقرير القياس والكلام، وغدا إمامًا تُعقد عليه الخناصر، ويشير إليه الأكابر والأصاغر، انتشر مذهبه في الآفاق، وعُدّ من الأفراد بالاتفاق، فضله وافر، ودينه ثابت، وعَلَمُه في مراده للمجد ثابت، اسمه النعمان وأبوه ثابت).

وقال الذهبي رحمه الله: (سيرته تحتمل أن تفرد في مجلدين، رضي الله عنه ورحمه، توفي شهيدا مسقيًّا في سنة خمسين ومائة)، وكان قد ترجم له في (سير أعلام النبلاء) ٦/ ٣٩٠: ٤٠٣ .. كما ترجم له ابن كثير في (البداية والنهاية) ١٠/ ١١٠ مجلد٥ وابن حجر في (تهذيب التهذيب) ٥/ ٦٢٨؛ وغيرهما من أصحاب التراجم، وسنأتي بمشيئة الله على ذكر المزيد من مناقبه وثناء أهل العلم عليه.

ب) عقيدة الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان .. في توحيد الصفات والرد على المعطلة ومتأولة الأشعرية:

١-يقول –رحمه الله– كما في (الفقه الأبسط) ص ٥٦: "لا يوصف الله تعالى بصفات المخلوقين، و(غضبُه) و(رضاه) صفتان من صفاته بلا كيف، وهو قول أهل السنة والجماعة، وهو يغضب ويرضى ولا يقال: (غضبه): عقوبته، و(رضاه): ثوابه .. ونصِفُه تعالى كما وصف نفسه؛ أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد، حي قادر سميع بصير عالم، ويده ليست كأيدي خلقه، ووجهه ليس كوجوه خلقه"إ.هـ.

٢-ويقول بنفس المصدر ص ٥١ مثبتًا صفة العلو: "والله تعالى يُدْعى من أعلى لا من أسفل، لأن الأسفل ليس من وصف الربوبية والألوهية في شيء"، والأثر برواياته في اجتماع الجيوش ص ٤٦.

٣-ويقول كما في الفقه الأكبر ص ٣٠٢ (١) وشرح الطحاوية ص١٦١: "وله (يد) و(وجه) و(نفس) كما ذكره الله في القرآن، فما ذكره تعالى في القرآن، من ذكر (الوجه) و(اليد) و(النفس) فهو له صفات بلا كيف، ولا يقال: إن يده قدرته أو نعمته؛ لأن فيه إبطالَ الصفة، وهو قول أهل القدر والاعتزال، وَلَكِن يَده صفته بِلَا كَيفَ"إ.هـ.

٤-وقال في الفقه الأكبر: "والله تعالى يُرى في الآخرة، ويراه المؤمنون وهم في الجنة بأعين رؤوسهم بلا تشبيه ولا كيفية".

٥-وقال بنفس المصدر وهو في شرح الطحاوية ص١١٤: "وما ذكره الله في القرآن حكاية عن موسى وغيره من الأَنبِياء عليهم السَّلام وعن فرعون وإبليس، فإن ذلك كُله كلام الله تعالى إخبارًا عنهم، وكلام الله غير مخلوق، وكلام موسى وغيره: من المخلوقين؛ مخلوق، والقرآن كلام الله تعالى فهو قديم لا ككلامهم"

٦-قال: "وسمع موسى عليه السلام كلام الله كما قال تعالى: {وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا} [النساء: ١٦٤]" .

٧- وقال: "وقد كان الله تعالى متكلماً ولم يكن كلم موسى عليه السلام.. فلما كلم الله موسى كلَمه بكلامه الذي هو له صفة في الأزل"، يعني: أن الكلام صفة لله في الأزل نثبتها له تعالى بلا كيف، وأنه سبحانه كان متكلمًا بكلام هو له صفة في الأزل(٢) ولم يكن كلم موسى من قبل(٣)، وهذا في معنى ما قعَّد له السلف من أن (صفاته تعالى الفعلية: قديمة النوع حادثة الآحاد).

٨-ويقول الإمام أبو حنيفة – كما في شرح الطحاوية ص ٢٥٣ وجلاء العينين ص ٣٦٨ – "لا ينبغي لأحد أن ينطق في ذات الله بشيء، بل يصفه بما وصف به نفسه، ولا يقول فيه برأيه شيئًا؛ تبارك الله ربّ العالمين" .

٩-وكان أن سُئل عن النزول الإلهي، فقال: "ينزل بلا كيف" كذا في (عقيدة السلف) للصابوني ص٤٢، و(الأسماء والصفات) للبيهقي ص٦١١، و(شرح الطحاوية) ص١٦٤، و(شرح الفقه الأكبر) للملا علي القاري ص٦٠ .

١٠-ومما أُثر عن الإمام أبي حنيفة: قولُه – كما في (الفقه الأكبر) ص ٣٠١ وشرح الطحاوية ص٥١ –: إنه تعالى "لا يشبه شيئًا من الأشياء من خلقه، ولا يشبهه شيء من خلقه، لم يزل ولا يزال بأسمائه وصفاته؛ الذاتية والفعلية" .

١١-وقولُه عقبها وبنفس المصادر: "وصفاته كلها بخلاف صفات المخلوقين؛ يَعلم لا كعلمنا؛ ويقدِر لا كقدرتنا؛ ويَرى لا كرؤيتنا؛ ويَسمع لا كسمعنا".

١٢- وقوله: "ويتكلمُ؛ لا ككلامنا، فنحن نتكلم بالآلات والحروف وَالله تعَالَى يتَكلّم بِلَا آلَة ولا حُروف والحروف مخلوقة وكَلام الله تَعَالَى غير مَخلوق، وهو شيء لا كالأشياء ومعنى الشَّيء: الثَّابت بلا جسم

---

(١) اشتُهر عزو هذا الكتاب لأبي حنيفة باعتباره رواية رواها عنه أبو مطيع، واعتُمد لدى أكثر المحققين لتقريره لصفات كالعلو وغيرها، ولهذا استشهد به ابن قدامة وابن تيمية وابن القيم والذهبي؛ وقام بشرحه د.محمد بن عبد الرحمن الخميس في كتاب أسماه: (الشرح الميسر على الفقهين الأبسط والأكبر المنسوبين لأبي حنيفة) ونَشَرت الطبعة الأولى منه مكتبة الفرقان بالإمارات سنة ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م .. ومن قبل قامت بطباعته بدون تحقيق: مكتبة صبيح بالقاهرة، إلا أنها ألحقت به كتابًا بنفس العنوان في معتقد الشافعي، وقد تأكد لدى المحققين عدم صحة نسبة هذا الأخير للشافعي؛ وذلك نظراً لاشتماله على بعض المسائل التي لم تكن ظهرت في زمن الشافعي بل لم تظهر إلا في القرن العاشر الهجري، وقد تأكد هذا الشك بعبارة جاء ذكرها في (كشف الظنون) لحاجي خليفة يقول فيها: "في نسبة هذا الكتاب إلى الشّافعي شك، والظّنّ الغالب أنّه من تأليف بعض العلماء المتأخرين".

٢ كما أنه "لم يزل عالمًا بعلمه والعلم صفة له في الأزل، وقادرًا بقدرته والقدرة صفة فِي الأَزل" .

(٣) ومنه "يُعلم أنه حين جاء كلّمه كما يُفهم ذلك من قوله تعالى: {ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه} [الأعراف: ١٤٣]، لا أنه لم يزل ولا يزال أزلًا وأبدًا يقول: (يا موسى).. وفي ذلك: الرد على من يقول من أصحاب أبي حنيفة: (إنه معنى واحد قائم بالنفس لا يتصور أن يُسمع، وإنما يخلق الله الصوت في الهواء) كما قال أبو منصور الماتريدي وغيره" إ.هـ من كلام ابن أبي العز ص١١٤ وينظر ١٠٩، وفيه الرد بصريح العبارة على ما يعتقده الأشعرية القائلين بذلك أيضاً .

وفي بيان ذلك يقول ابن أبي العز ص٥٩ إبان شرحه قول الطحاوي: (ما زال بصفاته قديماً قبل خلقه): "وأهل الكلام المذموم يطلقون نفي حلول الحوادث – ونخص بالذكر هنا: ما كان من نحو الصوت والحرف واللفظ والتنزيل .. إلى آخر ما يتعلق بصفة كلامه تعالى اللفظي – فيُسلِّم السُّنِّيُّ ويظن أنه نفى عنه ما لا يليق بجلاله، فإذا سلَّم له هذا النفي ألزمه نفي الصفات الاختيارية وصفات الفعل، وهو غير لازم له".. وسيأتي بقية الكلام على رد جميع شبهاتهم المتعلقة بكلام الله تعالى.

ولا جوهر ولا عرض ولا حدَّ له ولا ضدَّ له ولا نِدَّ له ولا مِثلَ له".. وهي في الانتقاء لابن عبد البر ص٣١٩ بلفظ: "القرآن كلام الله غير مخلوق، ومن قال غيرَ هذا فهو كافر".

١٣-وقولُه كما في الفقه الكبر ص ٣٠١: "وصفاته ذاتية وفعلية، أما الذاتية: فـ (الحياة والقدرة والعلم والكلام والسمع والبصر والإرادة)، وأما الفعلية فـ (التخليق والترزيق والإنشاء والإبداع والصنع) وغير ذلك من صفات الفعل؛ لم يزل ولا يزال بأسمائه وصفاته، لم يحدث له صفة ولا اسم" .

١٤-وقوله بنفس المصدر: "ولم يزل خالقًا بتخليقه والتخليق صفة في الأزل، وفاعلًا بفعله والفعل صفة في الأزل، فالفاعل هو الله تعالى والفعل صفة له في الأزل، والمفعول مخلوق وفعل الله تعالى غير مخلوق، وصفاته فِي الأَزل (غير محدثة) ولا (مخلوقة)، ومن قال: إنَّها مخلوقة؛ أَو محدثة؛ اَو وقف؛ اَو شكّ فيهما فهو كافر باللَّه تعالى".

١٥-وقوله بنفس المصدر: "من وصف الله بمعنى من معاني البشر، فقد كفر"(١).

١٦-قال الذهبي في العلو: بلغنا عن أبي مطيع البلخي صاحب (الفقه الأكبر)(٢) قال: سألت أبا حنيفة عمن يقول: (لا أعرف ربي في السماء أم في الأرض) فقال: (قد كفر، لأن الله يقول: {الرحمن على العرش استوى} [طه: ٥]، وعرشه فوق سبع سماواته)" .. يقول ابن أبي العز في شرحه على الطحاوية ص٢٣٢: "وكذا من قال: (إنه على العرش ولا أدري العرش أفي السماء أم في الأرض؟)، لأنه أنكر أنه في السماء، ومن أنكر أنه في السماء فقد كفر".. وينظر في هذا: الفقه الأبسط ص٤٦، وشرح الفقه الأكبر ص١٩٧ والفاروق للهروي ص١٠٣ وابن قدامة في العلو ص ٧٨، ومجموع الفتاوى ٥/ ٤٨، واجتماع الجيوش ص٤٦ لابن القيم الذي علق يقول:

"قال شيخ الإسلام أبو العباس أحمد رحمه الله: ففي هذا الكلام المشهور عن أبي حنيفة عند أصحابه أنه كفَّر الواقف الذي يقول: (لا أعرف ربي في السماء أم في الأرض)، فكيف يكون الجاحد النافي الذي يقول ليس في السماء ولا في الأرض؟، وقد احتج على كفره بقوله تعالى: {الرحمن على العرش استوى} قال: (وعرشه فوق سبع سموات)، وبيّن بهذا أن قوله: {الرحمن على العرش استوى} بيِّنٌ في أن الله فوق السموات فوق العرش وأن الاستواء على العرش، ثم أردف ذلك بكفر من توقف في كون العرش في السماء أو في الأرض، قال: (لأنه أنكر أن يكون سبحانه في السماء!؛ وأن الله في أعلى عليين!؛ وأن الله يُدعى من أعلى لا من أسفل)، واحتج أبو حنيفة على ذلك: بأن الله في أعلى عليين، وأنه يُدعى من أعلى، وكلٌّ من هاتين الحجتين فطرية عقلية، فإن القلوب مفطورة على الإقرار بأن الله في العلو، وعلى أنه يُدْعَى من أعلى لا من أسفل، وكذلك أصحابه من بعده كأبي يوسف وهشام بن عبيد الله الرازي"إ.هـ

---

(١) وسيأتي تعليقُ البيهقي على مثل هذه الأخبار المصرحة بالكفر، وقولُه تجاهها: "وكل من لم يقُلْ من أصحابنا بتكفير أهل الأهواء من أهل القبلة، فإنه يَحمل قول السلف في تكفيرهم على أنه: (كفر دون كفر) وهو المروي عن ابن عباس"، أي: كفر عملي لا يُخرج من الملة.

وقول الشافعي: "لله أسماءٌ وصفاتٌ، جاء بها كتابُه وأخبر بها نبيُّه أمته، لا يسَعُ أحدًا قامت عليه الحجة ردُّها؛ لأن القرآن نزل بها وصح عن رسول الله القول بها، فإن خالف ذلك بعد ثبوت الحجة عليه، فهو كافر، فأما قبل ثبوت الحجة فمعذورٌ بالجهل؛ لأن عِلمَ ذلك لا يُدرَك بالعقل ولا بالرويَّة والفكر، ولا نكفِّر بالجهل بها أحدًا إلا بعد انتهاء الخبر إليه بها، ونُثبت هذه الصفات ونَنفي عنها التشبيه كما نفاه عن نفسه، فقال: {لَيْسَ كَمثله شيءٌ وهُوَ السَّميعُ الْبَصِيرُ} [الشورى: ١١]".

(٢) هو العلامة كبير الشأن البصير في الرأي؛ أبو مطيع الحكم بن عبد الله البلخي ، وفي عزو الحافظ الذهبي هذا الأثر له في العلو ص١٠١، ما يدل على عدم صحة ما اشتُهر من نسبة (الفقه الأكبر) لأبي حنيفة نفسه، وكان ممن شرحه معزوًّا بطريق الخطأ لأبي حنيفة: أبو منصور الماتريدي "الذي ينتمي إليه أكثر الحنفية في العقيدة وجمهورهم فيها من المؤولة، وما ذاك إلا لأن أبا منصور هذا؛ قد تأول قول أبي حنيفة المذكور في الفقه الأكبر تأويلًا يعود إلى إفساد كلام أبي حنيفة وإخراجه عن جماعة السلف في عدم تأويل" وينظر تفاصيل ذلك ص١٣٦ بمختصر العلو .

على أن الفرق بين الفقهين الكبير والأبسط على الراجح؛ يكمن في أن الأول من رواية أبي مطيع البلخي على ما ذكرنا، وأما الثاني فهي من رواية حماد بن أبي حنيفة عن أبيه .. وكلها كما هو متضح لا تعدو أن تكون روايات متعددة لكلام واحد يحكي ما كان عليه الإمام أبي حنيفة النعمان رحمه الله

كما ينظر في شأن هذا الأثر: (العلو) لابن قدامة ص١١٦، و(العلو) للذهبي ص١٠١، ١٠٢ وهو بمختصره ص١٣٦(١)، و(شرح الطحاوية) لابن أبي العز ص٢٣٢، وكان الأخير قد علق بنفس الصفحة يقول: "ولا يُلتفت إلى من أنكر ذلك – يعني: علو الله تعالى على خلقه واستوائه على عرشه – ممن يَنتسب إلى مذهب أبي حنيفة، فقد انتسب إليه طوائف معتزلة وغيرهم مخالفون له في كثير من اعتقاداته، وقد ينتسب إلى مالك والشافعي وأحمد مَن يخالفهم في بعض اعتقاداهم".

١٧-هذا، وللإمام أبي حنيفة في (الفقه الأكبر) قوله للمرأة التي سألته: (أين إلهك الذي تعبده؟) .. قال: (إن الله سبحانه وتعالى في السماء دون الأرض)، فقال له رجل: أرأيت قول الله تعالى: {وهُوَ مَعَكُمْ} [الحديد: ٤]؟؛ قال: (هو كما تكتب للرجل: إني معك وأنت غائب عنه)" ذكره البيهقي في الأسماء والصفات ص٥٨١ وابن القيم في اجتماع الجيوش ص ٤٦.

١٨-وقوله في رد عادية المعتزلة ومِن ورائهم الأشعرية: "والقرآن غير مخلوق" كذا في الفقه الأكبر ص٣٠١.. ومعلوم أن الأشعرية على أن كلامه تعالى نفسي، منزه – بزعمهم – عن اللفظ والحرف والصوت، وأنه تعالى خلقه في اللوح المحفوظ وألهمه جبريل الذي نزل به على محمد عليهما السلام، فهو من كلام أحدهما، وهذا – عياذًا بالله –: في معنى ما جنح إليه المعتزلة في قولهم بخلق القرآن الذي حذر من القول به عموم أئمة أهل السنة، وإنما أردنا بذلك بيان مدى خطورة ما عليه القائلون بتنزيه الله عن اللفظ والحرف والصوت والمُدَّعون بأن كلام الله مجرد كلام نفسي.

١٩-وفيه أن: "القرآن كلام الله في المصاحف مكتوب، وفي القلوب محفوظ، وعلى الألسن مقروء، وعلى النبي – عليه الصلاة والسلام – مُنزَّل، ولفظنا بالقرآنِ مخلوق وكتابتنا له مخلوقة وقراءتنا له مخلوقة).

٢٠- وقوله رحمه الله: "ونقر بأن القرآن كلام الله تعالى، غير مخلوق" جاء ذلك في (الجواهر المُضيَّة في شرح وصية الإمام) ص١٠.

٢١-وقولُه بنفس المصدر: "ونقر بأن الله تعالى على العرش استوى من غير أن يكون له حاجة" .

٢٢-هذا، ويحكي أبو الحسن الأشعري عنه في كتابه (الإبانة في أصول الديانة) ص١٣٢ بتحقيقنا: "أن هارون بن إسحاق الهمداني ذكر عن أبي نعيم، عن سليمان بن عيسى القاري(٢)، عن سفيان الثوري رحمه الله قال: قال لي حماد بن أبي سليمان: (أبلغ أبا حنيفة أني منه بريء!) – يعني: لأنه كان يقول: (القرآن مخلوق) – وحاشى الإمام الأعظم أبو حنيفة من هذا القول، بل هو زور وباطل، فإن أبا حنيفة من أفضل أهل السنة".

٢٣-وقال أبو الحسن الأشعري بعد ذكره لرواية أخرى مماثلة ادُّعي فيها صاحبها أن أبا حنيفة استتيب من القول بخلق القرآن: "هذا كذب محض على أبي حنيفة رحمه الله" .. والقول بأنه نوظر من قِبَلِ تلميذه أبي يوسف حتى رجع عن القول بخلق القرآن، يَرِدُ عليه: ما رواه الخطيب عن الإمام أحمد؛ قال: "لم يصح عندنا أن أبا حنيفة كان يقول: (القرآن مخلوق)"(٣).

٢٤-وقال رحمه الله في الفصل ذاته: "مَن قال: (إن القرآن غير مخلوق؛ وإن من قال بخلقه كافر) – من العلماء، وحملة الآثار، ونقلة الأخبار –: لا يحصون كثرة، ومنهم: الحمّادان(٤) والثوري وعبد العزيز بن

---

(١) للألباني .. حيث يقول رحمه الله تعليقًا على عبارة أبي حنيفة: "هذا صريح في أن علة كفره إنما هو إنكاره لما دلت عليه هذه الآية صراحة على استعلائه تعالى على عرشه، لا أنه يوهم أن له تعالى مكانًا"

(٢) من المحَدِّثين ورد ذكره في التاريخ الكبير للبخاري ٤/ ٣٠، وينظر الإبانة بتحقيق د. فوقية ٢٩٤/٢، وينظر هنالك بقية تراجم من ذكرهم الأشعري .

(٣) ذكر ذلك الألباني في المختصر وعلق يقول: "وهذا هو الظن بالإمام أبي حنيفة وعلمه".. وكان قد ساق في الصفحة التي قبلها روايةً من طريق محمد بن سابق – ذكرها اللالكائي بسنده في شرح السنة ١/ ٢٤١ والبيهقي في الأسماء والصفات ص٣٥٥ – قال: "سألت أبا يوسف فقلت: (أكان أبو حنيفة يقول: القرآن مخلوق؟)، قال: (معاذ الله، ولا أنا أقوله)" .

(٤) حماد بن زيد من أئمة أهل زمانه ت٩٩، وحماد بن سلمه بن دينار، وكان دائما مشغولًا بنفسه إما أن يحدث أو يصلي أو يقرأ أو يسبح ت١٦٧.. وفي فضلهما قال عبيد الله بن الحسن: "إذا طلبتم العلم فاطلبوه من الحمّادَين"

أبي سلمة، ومالك بن أنس، والشافعي وأصحابه، وأبو حنيفة، وأحمد بن حنبل، والليث بن سعد، وسفيان بن عيينة، وهشام الدستوائي، وعيسى بن يونس، وحفص بن غياث، وسعيد بن عامر، وعبد الرحمن بن مهدي، وأبو بكر بن عياش، ووكيع، وأبو عاصم النبيل، ويعلى بن عبيد، ومحمد بن يوسف، وبشر بن الفضل، وعبد الله بن داود، وسلام بن أبي مطيع، وابن المبارك، وعلي بن عاصم، وأحمد بن يونس، وأبو نعيم، وقبيصة بن عقبة، وسليمان بن داود، وأبو عبيد القاسم بن سلام، ويزيد بن هارون، وغيرهم" .. قال: "ولو تتبعنا ذكر من يقول بذلك لطال الكلام بذكرهم، وفيما ذكرنا من ذلك مَقنع، والحمد لله رب العالمين".

٢٥-ويقول أبو المظفر الإسفراييني ت ٤٧١ في كتابه (التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين): "قد نبغ من أحداث أهل الرأي – يعني: سفهائهم – مَن تَلَبَّس بشيء من مقالات القدرية والروافض مقلدًا فيها، وإذا خاف سيوف أهل السنة نسب ما هو فيه من عقائده الخبيثة إلى أبي حنيفة تسترًا به، فلا يغرنك ما ادعوا من نسبتها إليه، فإن أبا حنيفة برئ منهم ومما نسبوه إليه"إ.هـ

٢٦-ويقول البزدوي الحنفي ت٤٨٢ في كتابه (كنز الوصول إلى علم الأصول) ص٣ يقول: "العلم نوعان: علم التوحيد والصفات، وعلم الشرائع والأحكام .. والأصل في النوع الأول، هو: التمسُّك بالكتاب والسُّنة ومجانبة الهوى والبدعة ولزوم طريق السنَّة والجماعة، وهو الذي عليه أدركنا مشايخنا وكان على ذلك سلفنا: أبو حنيفة وأبو يوسف ومحمد وعامة أصحابهم، وقد صنف أبو حنيفة في ذلك كتاب (الفقه الأكبر)(١)، وذكر فيه إثبات الصفات"إ.هـ .

٢٧-ويقول الملا علي القاري ت١٠١٤– بعد ذكره قول الإمام مالك: (الاستواء معلوم والكيف مجهول...) –: "اختاره إمامنا الأعظم أبو حنيفة، وكذا كل ما ورد من الآيات والأحاديث، من ذكر: (اليد) و(العين) و(الوجه) ونحوها من الصفات .. فمعاني الصفات كلها معلومة، وأما كيفيتها فغير معقولة؛ إذْ تَعقُّل الكيف: فرع العلم لكيفية الذات وكنهها؛ فإذا كان ذلك غير معلوم؛ فكيف تُعقَلُ لهم – يعني: لعامة الأمة – كيفية الصفات؟ .

والعصمة النَّافعة – والكلام لا يزال للملا علي القاري – من هذا الباب: أن يصف الله بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله – صلى الله عليه وسلم – من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، بل العاقل يُثبت له الأسماء والصفات وينفي عنه مشابهة المخلوقات، فيكون إثباتك منزهًا عن التشبيه، ونفيك منزَّهًا عن التعطيل .. فمن نفى حقيقة الاستواء فهو معطل، ومن شبَّهه باستواء المخلوقات على المخلوق فهو مشبِّه، ومن قال استواء ليس كمثله شيء فهو الموحِّد المنزه" انتهى من (مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح) ٨/ ٢١٧.

٢٨-ويقول الآلوسي الحنفي ت ١٢٧٠ في تفسيره (روح المعاني) ٦/ ١٥٦: "أنت تعلم أن طريقة كثير من العلماء الأعلام وأساطين الإسلام: الإمساك عن التأويل مطلقًا مع نفي التَّشبيه والتجسيم .. منهم الإمام أبو حنيفة، والإمام مالك، والإمام أحمد، والإمام الشافعيَّ، ومحمد بن الحسن، وسعد بن معاذ المروزيُّ، وابن المبارك، وابن راهويه، والبخاري، والترمذي، وأبو داود السجستاني"إ.هـ

<u>جـ: موقفه من الكلام والمتكلمين:</u>

٢٩-قال الإمام أبو حنيفة كما في (مناقب الإمام الأعظم أبي حنيفة) للكردري(٢) ١/ ١٢١: "كنتُ أُعطيتُ جدلاً في الكلام، وأصحاب الأهواء في البصرة كثير، فدخلتها نيفاً وعشرين مرة، وربما أقمت بها سنة أو أكثر أو أقل، ظنًّا أن علم الكلام أجلُّ العلوم، فلما مضى مدة من عمري تفكرتُ وقلتُ: (السلف كانوا أعلم بالحقائق وقد أمسكوا عنه)، فتركت الكلام واشتغلتُ بالفقه، ورأيتُ المشتغلين بالكلام ليس سيماهم سيماء الصالحين، قاسية قلوبهم؛ لا يبالون بمخالفة الكتاب والسنة والسلف الصالح، ولو كان خيراً لاشتغل به السلف الصالحون، فإن قلت: .."، وجعل يردُّ شبهاتهم التي هي شبهات الأشعرية.

---

(١) ربما قصد أنه أملاه أو رواه عنه أبو مطيع البلخي، فقد سبق بيان أن الفقه الكبر ليس من تأليفه

(٢) هو محمد بن محمد بن شهاب الكردري صاحب الفتاوى البزازية والمعروف بابن البزاز ت٨٢٧ .

٣٠-وقال كما في ذم الكلام للهروي ص٢٨، وشرح الطحاوية ص٤٦٩ لما سئل عن الكلام في الأعراض والأجسام: "لعن الله عمرو بن عبيد؛ فإنه فتح للناس الطريق إلى الكلام فيما لا ينفعهم فيه الكلام" .

٣١-وبنفس المصدر أن رجلًا سأله وقال: "ما تقول فيما أحدثه الناس في الكلام في الأَعْرَاض والأجسام، فقال: (مقالات الفلاسفة، عليك بالأثر وطريق السلف، وإياك وكل محدثة فإنها بدعة)" .

٣٢-قال حماد ابن أبي حنيفة: "دخل عليّ أبي - رحمه الله - يومًا وعندي جماعة من أصحاب الكلام ونحن نتناظر في بابٍ، وقد عَلَتْ أصواتنا فلما سمعتُ حسَّه في الدار خرجت إليه فقال لي: (يا حماد من عندك؟)، قلت؛ فلان وفلان وفلان، سميتُ من كان عندي، قال: (وفيم أنتم؟)، قلت: في باب كذا وكذا، فقال لي: (يا حماد دع الكلام) – قال: ولم أعهد أبي صاحب تخليط ولا ممن يأمر بالشيء ثم ينهي عنه – قلت له: يا أبت ألست كنت تأمرني به، قال: (بلى يا بني وأنا اليوم أنهاك عنه)، قلت: ولم ذاك، فقال: (يا بني إن هؤلاء المختلفين في أبواب من الكلام ممن ترى، كانوا على قول واحد ودين واحد حتى نزَغ الشيطان بينهم فألقى بينهم العداوة والاختلاف فتباينوا)" كذا في (مناقب أبي حنيفة) لمكي(١) ١/ ٢٠٨ .

٣٣-وفيه قوله لأبي يوسف: "إياك أن تكلم العامة في أصول الدين من الكلام، فإنهم قوم يقلدونك فيشتغلون بذلك".

****

المبحث الثاني
معتقد أبي حنيفة في توحيد الألوهية وبقية قضايا الاعتقاد

د: معتقد أبي حنيفة النعمان في توحيد الألوهية والرد على المتخذين من البشر أولياء يعبدونهم من دون الله:

ونذكر مما ورد من عبارات أبي حنيفة – في رد عادية الصوفية وأمثالهم من عبّاد الأضرحة المتوسلين بمن فيها – قوله:

٣٤-"لا ينبغي لأحد أن يدعو الله إلا به، والدعاء المأذون فيه المأمور به: ما استفيد من قوله تعالى: (ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون) [الأعراف: ١٨٠]" كذا في الدر المختار من حاشية المختار ٦/ ٤٢٠ .

٣٥-وكان وصاحباه يقولون: "يكره أن يقول الداعي: (أسألك بحق فلان أو بحق أنبيائك ورسلك، وبحق البيت الحرام والمشعر الحرام ونحو ذلك)" وعللوا هذا بالقول: بـ"أنه لا حق للخلق على الخالق" ينظر شرح العقيدة الطحاوية١٨٠، وإتحاف السادة المتقين ٢٨٥/٢ ، وشرح الفقه الأكبر للقاري ١٨٩.

٣٦-ويقول: "لا ينبغي لأحد أن يدعوا الله إلا به، وأكره أن يقول الداعي متوسلًا: (بمعاقد العز من عرشك، أو بحق خلقك) لعدم وجود النص في الإذن به" كذا في التوسل والوسيلة ص ٨٢، وشرح الفقه الأكبر ص ١٩٨، وينظر شرح الطحاوية ص١٨٠(٢) .

---

(١) هو العلامة صدر الدين أبو المؤيد الإمام الموفق بن أحمد بن محمد بن سعيد المكي خطيب خوارزم ت٥٦٨ .

(٢) وما استدل به أبو يوسف على جواز ذلك من حديث: كان من دعائه صلى الله عليه وسلم: «اللهم إني أسألك بمعاقد العزّ من عرشك ومنتهى الرحمة من كتابك» .. يرِدُ عليه أن في إسناده ثلاثة أمور قادحة: أ) عدم سماع داود بن أبي عاصم لابن مسعود.. ب) أن عبد الملك بن جريج مدلس ويرسل.. جـ) أن عمر بن هارون متهم بالكذب .. من أجل ذلك قال ابن الجوزي كما في البناية (٩/ ٣٨٢)، "هذا حديث موضوع بلا شك وإسناده محبط كما ترى"، انظر تهذيب التهذيب (٣/ ١٨٩)، (٦/ ٤٠٥)، (٧/ ٥٠١)، وتقريب التهذيب (١/ ٥٢٠) .

هـ: مذهب أبي حنيفة في بقية قضايا الاعتقاد

٣٧- ومما قاله أبو حنيفة في القَدَر ونص عليه في الفقه الكبر ص٣٠٢ وما بعدها: أنه تعالى "خلق الأَشياء لا من شيء، وَكان الله تعالى عالمًا في الأَزل بالأشياء قبل كونها، وهو الَذي قدر الأَشياء وقضاها، ولا يكون في الدنيا ولا في الآخرة شيء إلا بمشيئته وعلمه وقضائه وقدره، وَكَتَبه في اللَّوح المحفوظ ولكن كَتَبَه بِالوصفِ لا بالحكم؛ والقضاء والقدر والمشيئة صفاته في الأَزل بـ(لا كيف؟)، يعلم الله في المعدوم في حال عدمه مَعدوما ويعلم أنه كَيف يكون إذا أوجده، ويعلم تعالى الموجود في حال وجوده ويعلم أنه كيف فناؤه .. من غير أن يتغَيَر علمه او يَحدث له علم ولكن التَّغيُّر والاختلَاف يَحْدث عند المخلوقين"

٣٨-ومما قاله أيضًا: "خلق الله تَعَالَى الْخلق .. ثمَ خاطبهم وأمرهم ونهاهم، فَكفر من كفر بِفِعْله وإنكاره وجحوده الحق بخذلان الله تَعالَى إِيَاه(١)، وآمن من آمن بفعْله وإقراره وتصديقه بِتوفِيق الله تعالى إِيّاه ونصرته له، أخرج ذُرِّيّة آدم من صلبه على صور الذَّرّ فجعلهم عقلاء، فخاطبهم وَأمرهمْ بالْإِيمَان ونهاهم عَن الْكفْر فأقروا لَهُ بالربوبية فكانَ ذلك منهم إيمانًا فهم يولدون على تلك الفطْرة وَمن كفر بعد ذَلك فقد بدل وغير ومن آمن وصدق فقد ثبت علَيه وداوم.. ولم يُجبِر أحدًا من خلقه على الْكفر ولا على الإيمان .. والإيمان والكفر فعل العباد، ويعلم الله تعالى من يكفر في حَال كفره كَافرًا فَإِذا آمن بعد ذَلِك فإذا آمن بعد ذلك علمه مُؤمنًا وأحبه من غير أَن يتغَيَّر علمه وَصفته، وجميع أَفعال العباد من الحركة والسكون: كسبهم على الحقِيقة والله خالقها، وهي كلهَا بمشيئته وعلمه وقضائه وقدره".

٣٩-ونذكر مما قاله بحق الإيمان بالقدر قوله – كما في الوصية مع شرحها ص٢١ – "ونقر بأن الله تعالى أمر بالقلم أن يكتب فقال القلم، ماذا أكتب يا رب؟ فقال الله تعالى: (اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة) لقوله تعالى: {وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ * وكُلُّ صَغِير وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ} [القمر: ٥٢– ٥٣] .. وقوله بنفس المصدر ص١٤: "نقر بأن العبد مع أعماله وإقراره ومعرفته مخلوق، فلما كان الفاعل – وهو العبد – مخلوقًا فأفعاله أولى أن تكون مخلوقة".

٤٠-يحكي عنه يحيى بن نصر فيقول: "كان أبو حنيفة يفضِّل أبا بكر وعمر، ويحب عليًّا وعثمان(٢)، وكان يؤمن بالقدر خيرِه وشرِّه، ولا يتكلم في الله عز وجل بشيء، وكان يمسح على الخفين، وكان من أفقهِ أهل زمانه وأتقاهم"؛ كما يحكي عنه ابنه حماد فيقول: "سمعت أبا حنيفة يقول: الجماعة أن تفضِّل أبا بكر وعمر وعليًّا وعثمان، ولا تنتقص أحدًا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم(٣)، ولا تَكفِّر الناس بالذنوب(٤)، وتصلي على من يقول: لا إله إلا الله، وخَلْف من قال: لا إله إلا الله، وتمسح على الخفَّين، وتفوِّض الأمر إلى الله، وتدعَ النطق في الله جل جلاله" كذا في الانتقاء لابن عبد البر ص٣١٤، ٣١٥ .

٤١-كما يروي عنه ابن عبد البر بنفس المصدر ص١٦٧، ١٦٨ قوله: "الناس عندنا على ثلاثة منازل:

أ-الأنبياء من أهل الجنة، ومَن قالت الأنبياء: (إنه من أهل الجنة)؛ فهو من أهل الجنة ... ب-والمنزلة الأخرى: المشركون، نشهَد عليهم أنهم من أهل النار .

جـ: والمنزلة الثالثة: المؤمنون، نقف عنهم، ولا نشهد على واحد منهم أنه من أهل الجنة ولا من أهل النار، ولكنا نرجو لهم ونخاف عليهم، ونقول كما قال الله تعالى: {وَآخرُون اعْترَفُوا بذُنوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صالِحًا وآخر سيِّئًا عسى اللَّهُ أَنْ يتوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [التوبة: ١٠٢]، حتى يكون الله عز وجل يقضي بينهم، وإنما نرجو لهم لأن الله عز وجل يقول: {إِنَّ اللَّه لَا يغفر أَن يشْرك بِه وَيَغْفرُ ما دُون ذَلكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فقَد افْتَرَى إِثْما عَظِيمًا} [النساء: ٤٨]، ونخاف عليهم بذنوبهم وخطاياهم، وليس أحدٌ

---

(١) لعلمه تعالى باختياره ذاك الطريق وإيثاره إياه، مع ما فطره الله عليه يوم الذّرِّ من توحيد الربوبية، ومع إقامته تعالى الحجة البالغة عليه وإرساله الرسل وإنزاله الكتب، وأنه لو رُدَّ إلى الدنيا لعاد لما كان عليه؛ عياذا بالله من الخذلان.

(٢) ومن كلامه في الفقه الأكبر: "أفضل النَّاس بعد النَّبِيين عَلَيْهِم الصَّلَاة وَالسَّلَام أَبُو بكر الصّديق ثمَّ عمر بن الخطاب الفَارُوق ثمَّ عُثْمَان بن عفَّان ذُو النورين ثمَّ عليّ بن أبي طَالب المرتضى رضوَان الله عَلَيْهِم أَجْمَعِينَ" .

(٣) وفي كلام ذكره في الفقه الأكبر، جاء فيه قوله: "نتولاهم جميعًا وَلَا نذكر أحدا من أَصْحاب رَسُول الله إِلَّا بِخَير".

(٤) ونص عبارته في الفقه الأكبر: "ولا نكفر مُسلما بذنب من الذُّنُوب وإن كانَت كَبِيرَة إذا لم يستحلها وَلَا نزيل عَنهُ اسْم الْإِيمَان ونسميه مُؤمنًا حَقِيقَة وَيجوز ان يكون مُؤمنا فَاسقًا غير كَافِر"

من الناس أوجب الله له الجنة ولو كان صوّاما قوَّامًا، غير الأنبياء، ومن قالت فيه الأنبياءُ: إنه من أهل الجنة"إ.هـ

٤٢-كما يروي عنه الخطيب البغدادي في كتابه تاريخ بغداد ١٣/ ٣٣١؛ قوله: "لقِيتُ عطاءً بمكة فسألته عن شيء، فقال: مِن أين أنت؟ قلت: من أهل الكوفة، قال: أنتَ من أهل القرية الذين فرَّقوا دِينهم وكانوا شيَعًا؟، قلت: نَعم، قال: فمِن أي الأصناف أنت؟ قلت: ممن لا يسبُّ السَّلف، ويؤمِن بالقدَر، ولا يكفِّر أحدًا بذنب، قال: فقال لي عطاء: عرَفْت فالزَمْ".

٤٣-وقال الإمام أبو حنيفة في الفقه الكبر ص٣٠٤: "وأفضل الناس بعد النبيين عليهم السلام: أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضوان الله عليهم أجمعين، عابدين ثابتين على الحق ومع الحق، نتولاهم جميعاً، ولا نذكر أحداً من أصحاب رسول الله إلا بخير".

٤٤- وهي في الوصية وشرحها ص١٤ بلفظ: "ونقر بأن أفضل هذه الأمة بعد نبينا محمد: أبو بكر الصديق ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضوان الله عليهم أجمعين".

٤٥- وفي النور اللامع عنه بلفظ: "أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلَمَ: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، ثم نكف عن جميع أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلمَ، إلا بذكر جميل" .

٤٦- وقال في الفقه الأبسط ص٤٠: "ولا نتبرأ من أحد من أصحاب رسول الله؛ ولا نوالي أحدًا منهم دون أحد".

٤٧-وكان يقول – كما في مناقب أبي حنيفة لمكي ص٧٦ –: "مقام أحدهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ساعة واحدة خير من عمل أحدنا جميع عمره وإن طال" .

٤٨- ويقول – كما في الفقه الأكبر – بحق التبرؤ من مذهبي الخوارج والمرجئة: "والصلاة خلف كل بر وفاجرٍ من المؤمنين جائزة(١)، وَلَا نقُول: (إن الْمُؤمن لَا تضره الذّنوب)، ولا نقول: (إنّه لا يدخل النَّار)، ولا نقول: (إنه يخلد فِيها وإن كان فاسقًا بعد أن يخرج من الدُّنْيَا مُؤمنًا)، ولا نقول: (إن حسناتنَا مَقْبُولَة وسيئاتنا مغفورة) كقول المرجئة(٢) وَلَكِن نقُول: (من عمل حسنة بِجمِيعِ شرائطها خالية عن العيوب المفسدة والمعاني المبطلة ولم يُبطِلها بالكفْر والرّدّة والأخلاق السَّيئة حتى خرج من الدنيا مؤمنًا، فإن الله لا يضيعها بل يقبلها منه ويثيبه عليها، وما كان من السّيّئات دون الشّرك والْكفر ولم يتب عنها صاحبُها حتَى مات مؤمنا فإنَّه مؤمن، وفي مشيئَة الله تعالى إن شاء عذبه بالنَّار وإن شاء عفا عنه".

٤٩-يقول الإمام الطحاوي محدثِ الديار المصرية وفقيهها ت٣٢١ في عقيدته المسماة باسمه والتي أوضح الطحاوي أنها المأخوذة "عن الإمام أبي حنيفة النعمان، وصاحبيه أبي يوسف ومحمد بن الحسن الشيباني، مما كانوا – على حدِّ قول شارحها: القاضي ابن أبي العز الدمشقي– يعتقدونه من أصول الدين، ويدينون به رب العالمين":

"ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا وإن جاروا، ولا ندعو عليهم، ولا ننزع يدًا من طاعتهم، ونرى طاعتهم من طاعة الله فريضة ما لم يأمروا بمعصية، وندعو لهم بالصلاح والمعافاة".

٥٠-إلى أن قال في نهايتها: "هذا ديننا واعتقادنا ظاهرًا وباطنًا، ونحن برَاءٌ إلى الله مِن كل مَن خالف الذي ذكرناه وبيَّناه، ونسأل الله أن يعصمَنا من الأهواء المختلفة والآراء المتفرقة والمذاهب الرَّديّة".

ز: وفي النهاية لأبي حنيفة ما له وعليه ما عليه:

وكما قيل: فـ(إن لكل عالم هفوة)، فأبو حنيفة – مع عظم علمه ورفعة شأنه – هو في النهاية: بشرٌ يخطئ ويصيب، وفي كِلَا الحالين مأجور بإذن الله .. وما أُخذ عليه في مسألة: (جواز زواج البكر دون ما اشتراطِ

---

(١) وكان أبو مطيع قد سأله عمن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر؛ فيتبعه على ذلك ناس؛ فيخرج عن الجماعة؟ .. فأجاب بـ(لا)، وعلل ذلك بأن "(ما يفسدون أكثر مما يصلحون من سفك الدماء واستحلال الحرام) وذكر الكلام في قتال الخوارج" كذا في اجتماع الجيوش ص٤٦ .

(٢) وفي هذا ما يدل على أن قول أبي حنيفة في الإرجاء هو كقول بقية أئمة المذاهب فيما عُرف بـ(إرجاء الفقهاء) .. قال أبو الصلت: "لم يكن إرجاؤهم: هذا المذهب الخبيث؛ أن الإيمان قول بلا عمل وأن ترك العمل لا يضر بالإيمان، بل كان إرجاؤهم أنهم يرجون لأهل الكبائر الغفران، ردًا على الخوارج وغيرهم الذين يكفِّرون الناس بالذنوب" كذا بهامش الانتقاء لابن عبد البر ص٢٩٤، ٢٩٥ .

ولي الأمر) – مخالفًا بذلك صريح نصوص السنة – قد رَدّ عليه فيها أعلام الهدى، بل وجعلوا من هذه المسألة الفقهية بندًا يُدرج في كثير من الأحيان ضمن عقائد المسلمين .. فضلًا عن أن مجيئهم بذلك في مسائل الاعتقاد، أظهر عدم الاعتداد بهذا الخلاف وقضى ببطلان وعدم صحة أن تُزَوِّج المرأة نفسها ولا غيرها، وأنه لا ينعقد بعبارتها، وأنه يشترط الولاية لصحة وإتمام عقد النكاح، لإجماع الصحابة ولتوافر الأدلة من القرآن والسنة.

ثم إن الرجل بعدُ، قد أبرأ ذمته ممن أخذ أو يأخذ – في هذه المسألة وغيرها – برأيَه المخالف للإجماع ولما وردت به النصوص، وأخلى نفسه من تحَمُّل التبعة، وذلك قوله: "حرام على من لم يعرف دليلي أن يفتي بكلامي"، وزاد في رواية: "فإنَّا بشر نقول القول اليوم ونرجع عنه غدًا"، وقوله: "إذا قلت قولًا يخالف كتاب الله وخبر الرسول فاتركوا قولي".

وعلى نحو ما وقف ضده الواقفون فيما ليس له عليه دليل، فقد ذب عنه الذَابُّون فيما نُسب إليه ظلمًا، أو فُهم عنه بطريق الخطأ، أو صَدَر عنه بغير ما قَصْدٍ منه إليه، فقد أثير حوله اللغط في قضية: (نفي الجهة عن الله) المستلزم لنفي علوه تعالى، استنادًا لقول الطحاوي: (لا تحويه الجهات الست كسائر المبتدعات)، وإنما قصد الطحاوي بعبارته تلك – وعلى حد قول ابن أبي العز شارح عقيدته –:"أن الله تعالى منزه عن أن يحيط به شيء من مخلوقاته، أو أن يكون مفتقرًا إلى شيء منها كالعرش أو غيره".

يقول شارح الطحاوية ص١٦٣ معقبًا: "وفي ثبوت هذا الكلام عن الإمام أبي حنيفة نظر، فإن أضداده لو سمعوا مثل هذا الكلام عنه لشاع عنهم تشنيعهم عليه به، وقد نَقَلَ أبو مطيع البلخي – أحد كبار أصحابه وفقهائهم – عنه إثبات العلو"، كما نُقل عنه في الفقه الأكبر قوله: "والله تعالى يُرى في الآخرة ويراه المؤْمنون وهم في الجنَّة بأعين رءوسهم – وهذا لا يتأتى من غير جهة – بلا تشبيه ولا كيفيّة" .

كما طفق شارح الطحاوية ص٢٧٩ ينافح عن أبي حنيفة في قضية: (مسمى الإيمان)، وفي قصره إياه على: (التصديق بالقلب والنطق باللسان) دون العمل بالجوارح وهو ما يراه المرجئة، وجعل يذكر أن "الاختلاف الذي بين أبي حنيفة وبين الأئمة الباقين من أهل السنة، صوريٌّ(١) .. فإن كون أعمالُ الجوارح؛ لازمَ إيمان القلب أو هي جزءٌ منه، مع الاتفاق على أن مرتكب الكبيرة لا يخرج من الإيمان؛ بل هو في مشيئة الله: نزاع لفظي لا يترتب عليه فساد عقيدة .. ولا خلاف بين أهل السنة أن الله أراد من العباد القول والعمل"، ويبقى القول بأن عقيدة أهل السنة المجمع والمستدل عليها بالنصوص، والقاضية بإدخال جنس العمل في مسمى الإيمان، هي: الأولى والأحوط والأبعد عن شبهة الإرجاء والخروج من دائرة الخلاف.. والحمد لله رب العالمين.

هذا، وقد ورد تحت عنوان: (تضعيف الإمام أبي حنيفة في الحديث لا يغض من إمامته في الفقه والدين) .. سؤال على موقع إسلام ويب، يقول فيه صاحبه: كيف يكون الإمام أبو حنيفة ضعيفًا في الحديث، وهو إمام المسلمين، وأحد أعمدة الفقه؟ وقد علمتُ أن الإمام حفصًا متروك الحديث؛ لاشتغاله بالقرآن عن الحديث وأجد هذا منطقيًا، ولكن أبا حنيفة وهو إمام في الفقهِ المعتمِد على أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وآثاره كيف يكون هكذا؟ فكان ملخص الجواب:

---

(١) بدليل قول أبي حنيفة فيما سبق أن ذكرناه له من قوله: "ولا نقول: (إن حسناتنَا مَقْبُولَة وسيئاتنا مغفورة) كقول المرجئة"، وأن إرجاءه كان إرجاءَ الفقهاء الذين يرجئون عقاب المذنب المقصر في العمل؛ إلى الله يوم القيامة إن شاء عفا عنه وإن شاء عذبه، فأعمال الجوارح لديه كما ذكرنا: لازمَ إيمان القلب أو هي جزءٌ منه، مع الاتفاق على أن مرتكب الكبيرة لا يخرج من الإيمان وإن أبطأ به عمله، ولذا أُلتمس له العذر عندما قَصَر الإيمان على: التصديق بالقلب والإقرار باللسان، واعتُبر أن الخلاف بينه وبين بقية أئمة أهل السنة لا يعدو أن يكون خلافًا صوريًّا.. وبدليل قوله فيما نقله عنه ابن عبد البر في (الانتقاء) ص٣٢٠: "الإيمان هو المعرفة والتصديق والإقرار بالإسلام، والناس في التصديق على ثلاث منازل؛ فمنهم من صدَّق الله وما جاء منه بقلبه ولسانه، ومنهم من صدَّقه بلسانه وهو يكذِّبه بقلبه، ومنهم من يصدِّق بقلبه ويكذِّب بلسانه، فأما من صدَّق اللهَ وما جاء به رسوله بقلبه ولسانه فهم عند الله وعند الناس مؤمنون، ومن صدَّق بلسانه وكذَّب بقلبه كان عند الله كافرًا وعند الناس مؤمنًا؛ لأن الناس لا يعلمون ما في قلبه، وعليهم أن يسمُّوه مؤمنًا بما أظهَر لهم من الإقرار بهذه الشهادة، وليس لهم أن يتكلفوا عِلم القلوب، ومنهم من يكون عند الله مؤمنًا وعند الناس كافرا؛ وذلك أن يكون المؤمنُ يُظهر الكفر بلسانه في حال التقيَّة، فيُسميه مَن لا يعرفه كافرًا وهو عند الله مؤمنٌ" .

إن الإمام أبا حنيفة النعمان بن ثابت من فقهاء المسلمين الكبار، وتضعيف حفظه وضبطه للحديث من قِبل جمع من أئمة الحديث، لا يغض من إمامته ومنزلته في الفقه والدين.. وكما ذكرتَ في سؤالك؛ فإن ضعف المقرئ لا يستغرب؛ وذلك لاشتغاله بالقرآن عن الحديث، فكذلك ضعف الفقيه في الحديث لا يُستنكر، بسبب اشتغاله بالفقه والرأي، وعدم تفرغه لضبط الحديث والإسناد.

قال الألباني في السلسلة الضعيفة: الإمام أبو حنيفة – رحمه الله – قد ضعفه من جهة حفظه: البخاري، ومسلم، والنسائي، وابن عدي وغيرهم من أئمة الحديث.. ولا يمس ذلك من قريب ولا من بعيد؛ مقامَ أبي حنيفة في دينه وورعه وفقهه، وكم من فقيه وقاض وصالح تكلم فيهم أئمة الحديث من قِبَلِ حفظهم، وسوء ضبطهم، ومع ذلك لم يعتبر ذلك طعنًا في دينهم وعدالتهم، كما لا يخفى ذلك على المشتغلين بتراجم الرواة، وذلك مثل: محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى القاضي، وحماد بن أبي سليمان الفقيه، وشريك بن عبد الله القاضي، وعباد بن كثير وغيرهم، حتى قال يحيى بن سعيد القطان:

لم نر الصالحين في شيء أكذب منهم في الحديث، رواه مسلم في مقدمة صحيحه (١ / ١٣)، وقال في تفسيره: يقول يجري الكذب على لسانهم، ولا يتعمدونه.. فالصلاح والفقه شيء، وحمل الحديث وحفظه وضبطه شيء آخر، ولكلٍّ رجاله وأهله، وهذا هو العدل والإنصاف، وعليه فلا ضير على أبي حنيفة – رحمه الله – ألا يكون حافظًا ضابطًا، ما دام أنه صدوق في نفسه، أضف إلى ذلك جلالة قدره في الفقه والفهم .. وغايته ألا يكون محدثًا ضابطًا، وحسبه ما أعطاه الله من العلم والفهم الدقيق، حتى قال الإمام الشافعي: (الناس عيال في الفقه على أبي حنيفة).

ولذلك ختم الحافظ الذهبي ترجمة الإمام في (سير النبلاء) ٦/ ٤٠٣ بقوله وبه نقول: (الإمامة في الفقه ودقائقه مسلمة إلى هذا الإمام، وهذا أمر لا شك فيه، وليس يصح في الأذهان شيء إذا احتاج النهار إلى دليل)"إ.هـ .. وانظر الفتويين :٤٣٤٨٤ ٢١٤٩٧٨.

= وفي سؤال آخر قريب من هذا على نفس الموقع .. جاء في الجواب: ضرورة التأكيد على احترام وتوقير أهل العلم وتقديرهم، والتغاضي عن زلاتهم، فقد قال ابن القيم رحمه الله: (العلماء بحار وأخطاؤهم أقذار، والماء إذا جاوز القلتين لم يحمل الخبث).. وقال الذهبي: (أخطأ ابن خزيمة في حديث الصورة، ولو أن كل إمام أخطأ ألغيناه لم يبق لنا إمام)(١) .. ويتأكد هذا الأمر في علماء السلف، فإنه لا يحق لنا أن نقول فيهم إلا الدعاء لهم بالمغفرة، فنقول ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غِلًّا للذين آمنوا.

وأما ما سأل عنه السائل فإنه يوجد فعلًا في كتاب السنة لعبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل كلام حول هذا الموضوع، وقد تكلم الدكتور محمد سعيد القحطاني في تحقيقه لهذا الكتاب على هذه الانتقادات التي انتقد بها أبو حنيفة، فذكر أن أكثر من خمسين في المائة منها لا يصح سنده عمن عُزِّي إليهم، وأوضح أن ما ذُكر من اتهامه بالكفر إن قصد به ما نسب إليه من القول بخلق القرآن فهو مردود:

بما ورد بسند صحيح عند اللالكائي وعند البيهقي من نَفْيِ القولِ به عنه .. وبما رَوى الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد عن الإمام أحمد أنه قال: لم يصح عندنا أن أبا حنيفة كان يقول بخلق القرآن.

وذكر الدكتور كذلك أن عبد الله بن الإمام أحمد لم ينفرد بالكلام على أبي حنيفة، بل تكلم فيه ابن حبان والبخاري وابن قتيبة وابن أبي شيبة والخطيب البغدادي واللالكائي، ثم نقل عن ابن عبد البر أن من وثَّقوا أبا حنيفة وزَكُّوه أكثر ممن تكلموا فيه، ونقل عن شيخ الإسلام ابن تيمية أنه قال: من ظن أن أبا حنيفة

(١) ونص عبارته كما في سير أعلام النبلاء ١٤/ ٤٧٤: ٤٧٦ عن ابن خزيمة: "وقد تأول في ذلك حديث الصورة، فلْيُعذر من تأول بعض الصفات – يعني مثلًا: لشبهة؛ أو لدلالة السياق على هذا التأويل؛ وما شابه – وأما السلف، فما خاضوا في التأويل، بل آمنوا وكفُّوا، وفوَّضوا علم ذلك إلى الله، ولو أن كل من اخطأ في اجتهاده – مع صحة إيمانه وتوخِّيه لاتباع الحق – أهدرناه وبدَّعناه لقلَّ من يَسلم من الأئمة معنا!؛ رحمةُ الله على الجميع" .. وله في السير أيضاً ٢٠/ ٨٨ نقلاً عن إسماعيل الأصبهاني صاحب (الحجة) الملقب بقوَّام السنة إبَّان ترجمته له، ما نصه: "قال أبو موسى المديني: سألت إسماعيل يوماً: أليس قد رُوِيَ عن ابن عباس في قوله: {استوى} قعد، قال: نعم، قلتُ له: إسحاق بن راهويه يقول: (إنما يوصف بالقعود من يملُّ القيام)، قال: لا أدري ما يقول إسحاق .. وسمعته يقول: (أخطأ ابن خزيمة في حديث الصورة ولا يُطعن عليه بذلك، بل لا يؤخذ عنه هذا فحسب)"إ.هـ

وغيره من أئمة المسلمين أنهم يتعمدون مخالفة الحديث الصحيح لقياس أو غيره فقد أخطأ عليهم، وتكلم إما بظن وإما بهوى.

هذا وليُعلم أنه قد زَكّى الإمام أبا حنيفة كثير من الأئمة، فقد نقل المزي في تهذيب الكمال تزكيته والثناء عليه عن كثير من الأئمة منهم ابن معين وابن المبارك وابن جريج ويحيى بن سعيد القطان والشافعي، فذكروا من سعة علمه وورعه واشتغاله بالعبادة، وقد أطال المزي في ذلك فذكر في حياة أبي حنيفة والثناء عليه قريبًا من ثلاثين صفحة، وقد ألف الذهبي كتابًا في فضائل أبي حنيفة وصاحبيه، سماه: (مناقب الإمام أبي حنيفة وصاحبيه أبي يوسف ومحمد بن الحسن)، وذكر في هذا الكتاب ثناء التابعين وأتباعهم على أبي حنيفة، منهم الأعمش والمغيرة وشعبة وسعيد بن أبي عروبة وابن عيينة، كما ألف فيه الحافظ محمد بن يوسف الصالحي الشافعي رحمه الله كتابًا سماه: (عقود الجمان في مناقب أبي حنيفة النعمان)(١) .. وثمة رسالة دكتوراه كتبها الدكتور محمد قاسم عبده الحارثي اسمها: (مكانة الإمام أبي حنيفة بين المحدثين)، فحبذا لو أمكن الاطلاع عليها، وعلى تحقيق الدكتور القحطاني لكتاب السنة، وراجع الفتاوى التالية

بأرقامها :٢٠٨٧٦/٣١٤٠٨/٢٢٦١٢.. والله أعلم.. إ.هـ بتصرف يسير

&&&&&&&&&

المبحث الثالث
جولة مع معتقد أبرز من تلقى أبو حنيفة عنهم وتلقوا منه

أولًا: معتقد أبرز من تلقى عنهم أبي حنيفة

ذكر الحافظ ابن حجر في (تهذيب التهذيب) أن ممن رَوى وتلقى عنهم أبو حنيفة:

=**عطاء بن رباح شيخ الإسلام ومفتي الحرم في زمانه وأحد أئمة الأمصار ت ١١٤** .. قال عنه قتادة: "إذا اجتمع لي أربعة لم أبالي مَن خالفهم: الحسن وسعيد وإبراهيم وعطاء"، قال: "هؤلاء أئمة الأمصار".. وقال إسماعيل بن أمية: "كان عطاء يطيل الصمت، فإذا تكلم يخيل إلينا أنه يُؤَيّد" .. ورُوي عن أبي حنيفة قوله عنه: "ما رأيت فيمن لقيت أفضل من عطاء" .. وقال الأوزاعي: "مات عطاء يوم مات وهو أرضى

---

(١) ونذكر ممن زكى أبا حنيفة أيضًا: علي بن عاصم، قال: "لو وزن علم أبي حنيفة بعلم أهل زمانه، لرجح عليهم" .. وابن المبارك، قال: "أبو حنيفة أفقه الناس" .. والخريبي أحد أئمة الأثر ت٢١٣، قال: "ما يقع في أبي حنيفة إلا حاسد أو جاهل" .. وابن أبي العز في شرحه على الطحاوية ص ٢٩٣ فقد قال عقب الحديث عن اقتران الإيمان بالإسلام والعلاقة بينهما إلى غير ذلك من المسائل ذات الصلة والتي هي محل خلاف وجدل بين المتكلمة: "والظَّاهرُ أنّ هذه المعارضات لم تَثْبُت عن أبي حنيفة رحمه الله ، وإنّما هي منَ الأَصحابِ، فَإنَّ غالبَها ساقطٌ لا يَرتَضِيه أَبو حنيفة".. والشيخ الألباني قال: "أبو حنيفة والأئمة الأربعة، هم على الخط السلفي، إلا أنه لا بد كل واحد له زلة، لكن الأتباع في واد، والأئمة أنفسهم في واد" .

وكذا ما جاء في الفتوى رقم (١٥٨٧٥٥) على بعض المواقع من أن "الواجب الكف عن الكلام في أئمة المسلمين المتفق على عدالتهم وجلالتهم وإمامتهم في الدين بما يوجب القدح فيهم؛ فإن لحوم العلماء مسمومة، وما من أحد إلا ويؤخذ من قوله ويرد عليه إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويكفي المسلم معرفة العقيدة الصحيحة فيتبعها وينبذ ما يخالفها دون أن يعرج على ما عساه أن يكون غمزا أو طعنًا في أحد من فضلاء الأمة وصلحائها وعلمائها" وفيها:

أنه "لمَّا ترجم الذهبي وابن كثير وغيرهما من مؤرخي أهل السنة للإمام أبي حنيفة رحمه الله لم يعرجوا على شيء مما يوجب القدح فيه، وهذا من تمام العلم والورع، وهو الواجب علينا تجاه علمائنا رحمهم الله، وهو أقل ما يبذل رعايةً لحقهم وحرمتهم .. وأما ما روي في بعض كتب التاريخ مما يخالف ذلك، من روايات متعارضة تتعلق بمشكلة خلق القرآن، فقد ذهب الإمام أحمد وغيره إلى أن ذلك لم يثبت عن أبي حنيفة رحمه الله، ثم طويت هذه الصفحة واستقر الأمر على تقديم الإمام أبي حنيفة، واشتهاره بالإمامة في الدين.. وعليه فلا يجوز لأحد أن يقدح في عقيدة إمام من أئمة المسلمين المشهود لهم بالعلم والفضل كالإمام أبي حنيفة، ومن فعل ذلك فقد استوجب العقوبة التي تردعه وأمثاله عن هذا الفعل المشين" إلى آخر ما جاء بالفتوى .

أهل الأرض عند الناس" .. وعن ابن جريج: "كأن المسجد فراش عطاء عشرين سنة، وكان من أحسن الناس صلاة"(١).

= **وعلقمة بن مرثد الحضرمي الفقيه الحجة ت١٢٠:** ترجم له ابن حجر تهذيب التهذيب ٤/ ١٧٦ ونقل عن عبد الله بن أحمد عن أبيه أنه "ثبتٌ في الحديث" كما وثّقه النسائي وابن حبان وغيرهما .

=و**حماد ابن أبي سليمان ت ١٢٠**، فهو مع ما اتهم به من إرجاء تبرأ منه أبو حنيفة، إلا أنه وكما يحكي عنه الذهبي في السير ٥/ ٢٣١ وابن حجر في تهذيب التهذيب ٢/ ١٣: كان فقيه العراق، بل كان أنبل أصحابه وأفقههم وأقيسهم وأبصرهم بالمناظرة والرأي، كما كان له – رحمه الله – ثروة وحِشمة وتجمل، وكان مثالًا في الذكاء والكرم والسخاء حتى قيل: إنه كان يفطِّر في شهر رمضان خمسمائة إنسان، وأنه كان يعطيهم بعد العيد لكل واحد مائة درهم، وكان ثقة صدوق اللسان مستقيمًا في الفقه، حتى إنه قيل لإبراهيم النخعي: من نسأل بعدك؟؛ قال: (حمادًا).

على أن ما اتُّهِم به من إرجاء؛ قد ساق الذهبي في السِّير ما يدل على أنه لم يكن فيه على نحو ما كانت عليه فرق المرجئة، فيحكي الذهبي ما جرى بين معمر وحماد من حوار، يقول فيه معمر مخاطبًا إياه: (كنتَ رأسًا، وكنتَ إمامًا في أصحابك، فخالفتَهم فصرتَ تابعًا)، فقال حماد: (إني أن أكون تابعًا في الحق خير من أن أكون رأسا في الباطل) وعلى ذلك يعلق الذهبي بقوله: "يشير معمر إلى أنه تحول مرجئًا إرجاء الفقهاء، وهو أنهم لا يعدون الصلاة والزكاة من الإيمان، ويقولون: الإيمان إقرار باللسان، ويقين في القلب، والنزاع على هذا لفظي إن شاء الله، وإنما غلو الإرجاء من قال: (لا يضر مع التوحيد ترك الفرائض) نسأل الله العافية" وقد سبق أن أفضنا في هذا الأمر(٢) .. وحسب حماد أنه – كما ذكر ابن حجر في التهذيب –: أنه كان ينكر على من يقول بخلق القرآن، وهذا بالطبع مما يحسب له.

وعلى أي الأحوال فإن أَخْذُ أبي حنيفة عن نحو: حماد ابن أبي سليمان – وقد ذكر ابن حجر في التهذيب أن غير ما واحد اتهمه بالإرجاء – ترك وعلى ما يبدو أثرًا جعل أبا حنيفة يُخرج العمل من مسمى الإيمان ويقصره على التصديق بالقلب والإقرار باللسان، وإن كان في دفاع القاضي ابن أبي العز شارح الطحاوية عن أبي حنيفة فيما سبق أن ذكرناه له، ما يكفي في بيان عدم انغماسه للقول بما تقول به فرقة المرجئة الضالة، أو على الأقل في تداركه صواب ما في هذا الأمر من صحة المعتقد.

ثانيًا: جولة حول معتقد تلامذة أبي حنيفة والمتمذهبين بمذهبه

هذا، وإن من أبرز من تتلمذ على يد أبي حنيفة :

=**القاضي الشيخ الفقيه أبو مطيع الحكم بن عبد الله بن مسْلَمَة بن عبد الرحمن الخراساني البلخي** .. وهو من كبار أصحاب أبي حنيفة وفقهائهم، تفقه عليه أهل بلاده، ومن تفرداته أنه يرى فرضية التسبيحات

---

(١) كذا في تهذيب التهذيب لابن حجر ٤/ ١٩٢ وينظر ٥/ ٦٢٩ .

(٢) وفي فتوى لمفتي السعودية الأسبق – ربما تزيل هذا الإشكال أو على الأقل تخفف من وطأته – جاء فيها: "قد صار النَّاسُ في مُسَمّى (الإسلام) على ثلاثة أقوالٍ: فطائفة جَعلت الإسلام هو الكلمة .. وطائفة أجابوا بما أجاب به النبي صلى الله عليه وسلم حين سُئل عن الإسلام والإيمان؛ حيث فسّر الإسلام بالأعمال الظَّاهرة، والإيمان بالإيمان بالأُصولِ الستة .. وطائفة جعلوا الإسلام مُرادفًا للإيمان، وجعلوا معنى قول الرّسول – الإسلامُ: شهادَة أَن لَا إله إلَّا الله، وإقامُ الصّلاة .. الْحَدِيثَ –: شعائرَ الإسلام .. مع أنَّهم قالوا: (إن الإيمان هو: التّصديقُ بالقلْبِ)، ثمّ قالوا: (الإسلام والإيمانُ شيءٌ واحدٌ)" .

وأردف الشيخ يقول: "والصواب القول الأوسط، وهو أنَّ الإسلام والإيمان عند الاجتماع يفترقان، وعند الانفراد يجتمعان، كالفقير والمسكين، ونحوهما، فعند إطلاق (الإسلام) أو (الإيمان) يدخل فيه الآخر، كما في قوله تعالى: { إِنَّ الدِّين عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ } [آل عمران: ١٩] يعني: والإيمان والإحسان، وكما في قوله صلى الله عليه وسلم: (الإيمان بضع وسبعون شعبة) يعني: داخل فيه الإسلام .. وعند الاجتماع يفترقان؛ يُفسَّر الإسلامُ بالأعمال الظاهرة والشَّعائر الظاهرة؛ والإيمان بالأصول الباطنة، كما فسَّره النبيُّ عليه الصلاة والسلام بهذا .. وليس لنا إذا جمعْنا بينهما أن نُجيبَ بغير ما أَجاب به عليه السلام، وأما إذا أفرد اسم الإيمان فإنه يتضمنُ الإسلام، وإذا أُفرد الإسلام فقد يكونُ مع الإسلامِ مُؤْمنًا بلا نزاعٍ، وهذا هو الواجبُ" وهو ما لأجله كان الخلاف صوريًّا.. وإن كنتُ أرى أن يُنصَّ عند الكلام عن معتقد أهل السنة: على أن الإيمان قول وعملٌ؛ على غرار ما فعل ويفعل أئمة أهل السنة في معتقداته، خروجًا من الخلاف؛ وإيثارًا للسلامة؛ والابتعاد بالكلية عما جنحت إليه فرق المرجئة .

الثلاث في الركوع والسجود .. قال عنه الحافظ الذهبي في الميزان: "كان بصيرًا بالرأي، علّامة كبير الشأن، ولكنه واهٍ في الضبط، وكان ابن المبارك يُجِلّه لدينه وعلمه" توفي سنة سبع وتسعين ومائة عن أربع وثمانين سنة، بعد ما وَلِيَ قضاء بلخ.

وله (الفقه الأكبر) وهو على ما يبدو من إملاءات أبي حنيفة له، بدليل عزو الذهبي هذا الكتاب إلى أبي مطيع، وقوله – كما في العلو ١٠١ وهو بمختصره ١٣٦ –: "وبلغنا عن أبي مطيع الحكم بن عبد الله البلخي صاحب (الفقه الأكبر) قال: سألت أبا حنيفة عمن يقول: (لا أعرف ربي في السماء أو في الأرض، فقال: (قد كفر)، لأن الله تعالى يقول: {الرَّحمَنُ عَلَى الْعَرشِ اسْتَوَى} وعرشه فوق سماواته. فقلت: إنه يقول: (أقول على العرش استوى، ولكن قال لا يدري العرش في السماء أو في الأرض)، قال: (إذا أنكر أنه في السماء فقد كفر)".. رواه صاحب الفاروق بإسناد عن أبي بكر بن بصير بن يحيى عن الحكم.

الأمر الذي يؤكد أن كتاب (الفقه الأكبر) ليس لأبي حنيفة "خلافًا لما هو المشهور عند الحنفية، وقد طبع هذا الكتاب عدة طبعات منسوبًا إليه، ومشروحًا من غير واحد من الحنفية؛ منهم: أبو منصور الماتريدي الذي ينتمي إليه أكثر الحنفية في العقيدة، وجمهورهم فيها من المؤولة، فترى أبا منصور هذا قد تأول قول أبي حنيفة المذكور في الكتاب وفي (الفقه الأكبر) تأويلًا يعود إلى إفساد كلام أبي حنيفة وإخراجه عن جماعة السلف في عدم التأويل، فقال في تأويل قوله رحمه الله: (فقد كفر): (لأنه بهذا القول يوهم أن يكون له مكان فكان مشركًا)! ولم يلتفت إلى تمام كلامه المبطل لتأويله وهو قوله رحمه الله: (لأن الله تعالى يقول: {الرَّحمَنُ عَلَى الْعَرشِ اسْتَوَى} [طه: ٥].. فهذا صريح في أن علة كفره إنما هو إنكاره لما دلت هذه الآية صراحة من استعلائه سبحانه على عرشه، لا لأنه يوهم أن له تعالى مكانًا، سبحانه وتعالى عن ذلك.

ولأجل ما ذكرنا قال شارح الطحاوية القاضي ابن أبي العز بعد أن ذكر رواية أبي مطيع البلخي: "ولا يلتفت إلى من أنكر ذلك ممن ينتسب إلى مذهب أبي حنيفة، فقد انتسب إليه طوائف معتزلة وغيرهم مخالفون له في كثير من اعتقاداته، وقد ينتسب إلى مالك والشافعي وأحمد من يخالفهم في بعض اعتقاداتهم" .

وفي هذا وغيره دلالة على أن أصحاب أبي حنيفة الأُوَل كانوا مع السلف في الإيمان بعلوه تعالى على خلقه، وذلك مما يعطي القوة لهذه الروايات المروية عن الإمام أبي حنيفة بشأن إثباته علوه تعالى وتكذيب ما سواها .. ومن ذلك: تصريح الإمام أبي جعفر الطحاوي الحنفي في عقيدته بـ(أن الله تعالى مستغن عن العرش وما دونه، محيط بكل شيء وفوقه)" إ.هـ من مختصر العلو ص١٣٦ بتصرف يسير .

= **وعالم الري هشام بن عبيد الله الرازي ت٢٢١ :** يقول الحافظ الذهبي في ترجمته ص١٢٣ وهو بالمختصر ص١٨١: "كان هشام بن عبيد الله من أئمة الفقه على مذهب أبي حنيفة، تفقه على محمد بن الحسن، كان ذا جلالة عجيبة وحرمة عظيمة ببلده" .. وكان صحيح العقيدة.

وعنه حَدَّث علي بن الحسن بن يزيد السلمي، قال: "سمعت هشام بن عبيد الله – وكان قد حَبَسَ رجلًا في التجهم فتاب فجيء به إليه ليمتحنه – فقال له: أتشهد أن الله على عرشه بائن من خلقه؟ فقال: لا ادري ما بائن من خلقه!، فقال: رُدّوه فإنه لم يتب بعد".

كما حَدَّث عنه محمد بن خلف قال: "سمعت هشام بن عبيد الله يقول: (القرآن كلام الله غير مخلوق)، فقال له رجل: أليس الله تعالى يقول: {ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث} [الأنبياء: ٢]؟، فقال: (مُحْدَثٌ إلينا وليس عند الله بمحدَث" وعليه علق الذهبي يقول: "لأنه من علمه وعلمه قديم، فعلْم عباده منه؛ قال تعالى: {الرحمن. علم القرآن} [الرحمن: ١- ٢] فالمقرئ يلقن الختمة مائة نفس ومائتين، فيحفظونه وهو ما انفصل عنه منه شيء، كسراج وُقِدَ منه سرجًا ولم يتغير"(١).

(١) ينظر العلو للذهبي ص١٨١، ١٨٢.

=وفي تفاصيل قصة المرأة التي سألت الإمام أبا حنيفة، يحكي **نوح الجامع**(١) بن أبي مريم أبو عصمة ت١٧٣ – فيما أخرجه له البيهقي والذهبي وغيرهما – فيقول:

"كنا عند أبي حنيفة أول ما ظهر، إذ جاءته امرأة من (ترمذ) كانت تجالس جهمًا فدخلت الكوفة، فأظنني أقَلَّ ما رأيت عليها عشرة آلاف نفس تدعو إلى رأيها، فقيل لها: إن ها هنا رجلًا قد نظر في المعقول يقال له: أبو حنيفة فأتيه، فأتته، فقالت: أنت الذي تعلم الناس المسائل وقد تركتَ دينك؟ أين إلهك الذي تعبده؟ فسكت عنها، ثم مكث سبعة أيام لا يجيبها، ثم خرج إلينا وقد وضع كتابًا: إن الله عز وجل في السماء دون الأرض، فقال له رجل: أرأيت قول الله عز وجل: {وهو معكم} [الحديد: ٤]، قال: هو كما تكتب إلى الرجل: إني معك وأنت غائب عنه"، رواه البيهقي في كتاب (الأسماء والصفات) ص٥٨١ وقد علق يقول:

"لقد أصاب أبو حنيفة فيما نفى عن الله من الكون في الأرض وفيما ذُكر من تأويل الآية، وتَبِع مطلق السمع في قوله: (إن الله في السماء)، ومراده من ذلك: ما ذكرنا في معنى قوله تعالى: {أأمنتم من في السماء} [الملك: ١٦]، وقد روى عنه أبو عصمة أنه ذكر مذهب أهل السنة وذكر في جملة ذلك: (وأنا لا نتكلم في الله بشيء)، وهو نظير ما روينا آنفًا عن سفيان بن عيينة .. قال: (ما وصف الله تعالى به نفسه فتفسيره قراءته، ليس لأحد أن يفسر إلا الله تبارك وتعالى أو رسله صلوات الله عليهم"(٢).

=وقد سبق أن ذكرنا نفي تلميذه **أبي يوسف القاضي ت١٨٢** أن يكون أبو حنيفة قد قال بخلق القرآن، وذكرنا قوله وقد سئل أكان أبو حنيفة يقول بذلك فقال: "معاذ الله، ولا أنا أقوله"، ويستنبط من ذلك عدم صحة القول بأن ثمة مناظرة جرت بينهما في هذا الصدد أصلاً(٣)، وبخاصة:

مع قول عبد الله بن المبارك – فيما أخرجه اللالكائي بسنده في شرح السنة ١/ ٢٤١ –: "والله ما مات أبو حنيفة وهو يقول بخلق القرآن ولا – كان – يدين الله به" .. وقوله – فيما أخرجه كذلك بسنده؛ وقد ذكر في مجلسه الجهم وقالته السوء بخلق القرآن –: {كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبًا}.

ومع قول الشيخ الألباني في تفنيد ما اتهم به الإمام الأعظم في بعض الراويات التي أوردها الخطيب في تاريخ بغداد، وقوله في مختصر العلو ص١٥٦: "إنني دققتُ النظر في بعضها فوجدته لا يخلو من قادح، ولعل سائرها كذلك، لاسيما وقد روى الخطيب عن الإمام أحمد أنه قال: (لا يصح عندنا أن أبا حنيفة كان يقول: القرآن مخلوق) .. وتعقيبه بالقول: بأن "هذا هو الظن بالإمام أبي حنيفة رحمه الله وعلمه" ونقطة ومن أول السطر.

يساعد على ما ذكرنا ويعاضده: ما نقله الحافظ الذهبي عن **محمد بن الحسن فقيه العراق** ت١٨٩ في العلو ص١١٣ وهو بمختصره ١٥٨: "والله لا أصلي خلف من يقول: (القرآن مخلوق)، ولا أُستفتى إلا امرت بالإعادة" .. وكذا سوقه الإجماع وقوله فيه ما نصه – وقد ساقه أيضًا اللالكائي في شرح اعتقاد أهل السنة ١/ ٣٥٤ وابن القيم في اجتماع الجيوش ص٨٧ وغيرهما –:

"اتفق الفقهاء كلهم من المشرق إلى المغرب على الإيمان بالقرآن والأحاديث التي جاءت بها الثقات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في صفات الرب عز و جل من غير تفسير – يعني: تفسير الجهمية الذين ابتدعوا تفسيرًا للصفات بخلاف ما كان عليه الصحابة والتابعون(٤) كتفسيرهم (الاستواء) بـ(الاستيلاء)

---

(١) وإنما لُقِّب بالجامع لأنه أخذ الفقه عن أبي حنيفة وابن أبي ليلى، والحديث عن حجاج بن أرطأة وطبقته، والمغازي عن ابن إسحاق، والتفسير عن الكلبي ومقاتل، وكان مع ذلك عالمًا بأمور الدنيا فسمي بـ(الجامع) .. إلا انه كان يضع أحاديث مناكير ولم يكن في الحديث بذاك، فهو ليس بثقة ولا يكتب حديثه، وكان مع ذلك شديدًا على الجهمية والرد عليهم .. كذا ذكر ابن حجر في تهذيب التهذيب ٥/ ٦٥٢ .

(٢) والأثر الأخير عن سفيان أخرجه البيهقي في الاعتقاد ص١١ والدار قطني في الصفات ٦١ واللالكائي في شرح أصول السنة ١/ ٣٥٣ (٧٣٦) وغيرهم .. بينا الأول وإن كان ضعيف الإسناد؛ إلا أنه صحيح المعنى.

(٣) ومما يؤثر عن أبي يوسف في ذم علم الكلام، قوله – كما في مقدمة ابن أبي العز على شرح الطحاوية –: "العلم بالكلام هو الجهل، والجهل بالكلام هو العلم، وإذا صار الرجل رأسا في الكلام قيل: زنديق، أو رمي بالزندقة".. وإنما أراد بـ(الجهل به): اعتقاد عدم صحته وأن ذلك علم نافع، أو أراد به الإعراض عنه أو ترك الالتفات إلى اعتباره، فإن ذلك يصون علم الرجل .. وقوله: "من طلب العلم بالكلام تزندق، ومن طلب المال بالكيمياء أفلس، ومن طلب غريب الحديث كذب".

(٤) كذا ذكره الألباني بهامش ص١٥٩ ومن قبل شيخ الإسلام في الحموية ص٣٠ .

و(اليد) بـ(القدرة) .. إلخ– ولا وصف ولا تشبيه، فمن فسر شيئا من ذلك فقد خرج عما كان عليه النبي وفارق الجماعة فإنهم لم يصفوا ولم يفسروا، ولكن آمنوا بما في الكتاب والسنة ثم سكتوا، فمن قال بقول جهم فقد فارق الجماعة لأنه وصفه بصفة لا شيء"

وقوله كذلك في الأحاديث التي جاء فيها (أن الله تعالى يهبط إلى سماء الدنيا)(١)، ونحو هذا: (هذه الأحاديث قد رواها الثقات، فنحن نرويها ونؤمن بها ولا نفسرها) ذكر ذلك عنه أبو القاسم اللالكائي، وابن قدامة في (العلو) ص ٧٩، وعليه عقب ابن القيم يقول: "وهذا تصريح منه بأن من قال بقول جهم؛ فقد فارق جماعة المسلمين".

= ومن يغفل – ونحن نتكلم عن أبرز من تتلمذ وترجم لمعتقد أبي حنيفة – أبا جعفر الوراق أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي **الطحاوي** الحنفي، عالمَ الديار المصرية في وقته العلامة حجة الإسلام والمتوفى سنة ٣٢١(٢) .. أو يتجاهل معتقده المسمى باسمه وتلقته الأمة بالقبول، والذي ألفه في (بيان عقيدة أهل السنة والجماعة، على مذهب فقهاء الملة: أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي، وأبي يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري، وأبي عبد الله محمد بن الحسن الشيباني رضوان الله عليهم أجمعين؛ وما يعتقدون من أصول الدين، ويدينون به رب العالمين).. فقد جاء فيها ما نصه:

"نقول في توحيد الله معتقدين بتوفيق الله: إن الله واحد لا شريك له، ولا شيء مثله، ولا شيء يعجزه، ولا إله غيره.

أوَّلٌ بلا ابتداء، آخر(٣) بلا انتهاء، لا يفنى ولا يبيد، ولا يكون إلا ما يريد.. لا تبلغه الأوهام، ولا تدركه الأفهام، ولا يشبه الأنام، حيٌّ لا يموت، قيومٌ لا ينام.. خالقٌ بلا حاجة، رازقٌ بلا مؤنة، مميتٌ بلا مخافة، باعثٌ بلا مشقة.

ما زال بصفاته قديمًا قبل خلقه، لم يزدد بكونهم؛ شيئًا لم يكن قبلهم من صفاته، وكما كان بصفاته أزليًّا كذلك لا يزال عليها أبديًّا.. ليس بعد خلق الخلق استفاد اسم (الخالق)، ولا بإحداث البرية استفاد اسم (الباري).

له معنى الربوبية ولا مربوب، ومعنى الخالقية ولا مخلوق .. وكما أنه محيي الموتى بعدما أحياهم استحق هذا الاسم قبل إحيائهم، كذلك استحق اسم الخالق قبل إنشائهم .. ذلك بأنه على كل شيء قدير، وكل شيء إليه فقير، وكل أمر عليه يسير، لا يحتاج إلى شيء، {ليس كمثله شيء، وهو السميع البصير} [الشورى: ١١].

خلق الخلق بعلمه، وقدر لهم أقدارًا، وضرب لهم آجالًا .. لم يَخفَ عليه شيء قبل أن يخلقهم، وعلم ما هم عاملون قبل أن يخلقهم، وأمرهم بطاعته، ونهاهم عن معصيته .. وكل شيء يجري بتقديره ومشيئته، ومشيئته تَنْفُذُ؛ لا مشيئة للعباد إلا ما شاء لهم، فما شاء لهم كان وما لم يشأ لم يكن .

يهدي من يشاء، ويعْصِم ويعافي فضلًا، ويضل من يشاء، ويخذل ويبتلي عدلًا، وكلهم يتقلبون في مشيئته بين فضله وعدله .. وهو متعالٍ عن الأضداد والأنداد، لا رادَّ لقضائه، ولا معقب لحكمه، ولا غالب لأمره .. آمنا بذلك كله، وأيقنا أن كلًّا من عنده .

---

(١) سيأتي تخريجه

(٢) ترجم له أبو إسحاق في كتاب (طبقات الفقهاء)، فقال: "انتهت إليه رياسة أصحاب أبي حنيفة بمصر، أخذ العلم عن أبي جعفر بن أبي عمران وأبي حازم القاضي وغيرهما" زاد الألباني: "وروى عن أصحاب سفيان بن عيينة وابن وهب، وتصانيفه شهيرة كثيرة" إ.هـ من كتاب العلو للذهبي ص١٥٧ والمختصر ص٢٣٥ وما بعدهما.. وقد طبع معتقده ضمن مجموعة متون (الجامع الفريد)، ومع عدة شروح منها وهي التي عوَّلت عليها: طبعة دار ابن الهيثم .

(٣) هو في الأصل بلفظ: (قديم) (دائم) وما ذكر هو الصواب لكون أسمائه تعالى توقيفية وهذان الاسمان لم يرد بهما الشرع، وأيضًا لأنه يعني في اللغة العربية: المتقدم على غيره وإن كان مسبوقًا بالعدم؛ كما في قوله تعالى: {حتى عاد كالعرجون القديم} [يس: ٣٩]، وحاشاه سبحانه أن يكون كذلك، وإنما يدل على المعنى الحق بالزيادة التي ذكرها الطحاوي نفسه (.. بلا ابتداء)

وأن محمدا عبده المصطفى، ونبيه المجتبى، ورسوله المرتضى، وأنه خاتم الأنبياء، وإمام الأتقياء، وسيد المرسلين، وحبيب رب العالمين، وكلُّ دعوى النبوة بعده غَيٌّ وهوى، وهو المبعوث إلى عامة الجن، وكافة الورى، بالحق والهدى، وبالنور والضياء.

وأن القرآن كلام الله، منه بدا بلا كيفية قولًا، وأنزله على رسوله وحيًا، وصدَّقه المؤمنون على ذلك حقًّا، وأيقنوا أنه كلام الله تعالى بالحقيقة، ليس بمخلوق ككلام البرية، فمن سمعه فزعم أنه كلام البشر فقد كفر، وقد ذمَّه الله وعابه وأوعده بسقر، حيث قال تعالى: {سأصليه سقر} [المدثر: ٢٦]، فلما أوعد الله بسقر لمن قال: {إن هذا إلا قول البشر} [المدثر: ٢٥]؛ علمنا وأيقنا أنه قول خالق البشر، ولا يشبه قول البشر.

ومن وصف الله بمعنى من معاني البشر فقد كفر، فمن أبصر هذا اعتبر، وعن مثل قول الكفار انزجر، وعلم أنه بصفاته ليس كالبشر(١) .

---

(١) "وهذه – على حد قول شارح الطحاوية القاضي ابن أبي العز الحنفي ت٧٩٢ –: قاعدة شريفة، وأصل كبير من أصول الدين، ضل فيه طوائف كثيرة من الناس، وهذا الذي حكاه الطحاوي هو الحق الذي دلت عليه الأدلة من الكتاب والسنة لمن تدبرهما، وشهدت به الفطر السليمة التي لم تغير بالشبهات والشكوك والآراء الباطلة".. يقول ابن أبي العز رحمه الله: "وقد افترق الناس في مسألة الكلام على تسعة أقوال:

أحدها: أن كلام الله هو ما يفيض على النفوس من معاني، إما من العقل الفعال عند بعضهم، أو من غيره، وهذا قول الصابئة والمتفلسفة.

وثانيها: أنه مخلوق خلقه الله منفصلًا عنه، وهذا قول المعتزلة.

وثالثها: أنه معنى واحد قائم بذات الله، هو الأمر والنهي والخبر والاستخبار، وإن عبر عنه بالعربية كان قرآنًا، وإن عبر عنه بالعبرانية كان توراة، وهذا قول ابن كلاب ومن وافقه، كالأشعري – فيما تراجع عنه بفضل الله – وغيره.

ورابعها: أنه حروف وأصوات أزلية مجتمعة في الأزل، وهذا قول طائفة من أهل الكلام ومن أهل الحديث.

وخامسها: أنه حروف وأصوات، لكن تكلم الله بها بعد أن لم يكن متكلمًا، وهذا قول الكرَّامية وغيرهم.

وسادسها: أن كلامه يرجع إلى ما يُحدثه من علمه وإرادته القائم بذاته، وهذا يقوله صاحب المعتبر، ويميل اليه الرازي في المطالب العالية – أيضًا فيما تراجع عنه.

وسابعها: أن كلامه يتضمن معنى قائمًا بذاته هو ما خلقه في غيره، وهذا قول أبي منصور الماتريدي – فيما ضل فيه وظل عليه ولم يتب منه فيما نعلم.

وثامنها: أنه مشترك بين المعنى القديم القائم بالذات وبين ما يخلقه في غيره من الاصوات، وهذا قول أبي المعالي – فيما تراجع بفضل الله عنه ويقرأ في تفاصيل من تراجعوا كتابنا: (سيرًا على خطا الأشعري .. أئمة الخلف يتراجعون إل ما تراجع إليه) – ومن اتبعه.

وتاسعها: أنه تعالى لم يزل متكلمًا إذا شاء ومتى شاء وكيف شاء، وهو يتكلم به بصوت يسمع، وأن نوع الكلام قديم وإن لم يكن الصوت المعين قديمًا وإنما هو حادث الآحاد، وهذا المأثور عن أئمة الحديث والسنة.

وقول الشيخ: (وإن القرآن كلام الله) عطف على قوله: (إن الله واحد لا شريك له، وإن محمدًا عبده المصفى) وهو مقول القول، أعني قوله في أول كلامه: (نقول في توحيد الله).

وقوله: (كلام الله منه بدا بلا كيفية قولًا): رد على المعتزلة وغيرهم، فإن المعتزلة تزعم أن القران لم يُبْد منه، قالوا: (وإضافته إليه اضافة تشريف كبيت الله وناقة الله)، يحرفون الكلام عن مواضعه!؛ وقولهم باطل، فإن المضاف إلى الله معانٍ وأعيانٌ، فإضافة الأعيان الى الله للتشريف وهي مخلوقة له كبيت الله وناقة الله، بخلاف إضافة المعاني كعلم الله وقدرته وعزته وجلاله وكبريائه وكلامه وحياته وعلوه وقهره، فإن هذا كله من صفاته، ولا يمكن أن يكون شيء منها مخلوقًا.

والوصف بالتكلم من أوصاف الكمال، وضده من أوصاف النقص، قال تعالى: { وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسى من بعده مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا لهُ خوَارٌ أَلَمْ يروْا أَنَّهُ لا يُكَلِّمُهُم وَلا يهْدِيهِم سَّبِيلًا } [الأعراف: ١٤٨]، فكان عُبَّاد العجل مع كفرهم، أعرف بالله من المعتزلة، فإنهم لم يقولوا لموسى: (وربك لا يتكلم أيضًا)، وقال تعالى عن العجل أيضًا: { أَفَلا يرَونَ أَلَا يرجعُ إِلَيْهِم قَوْلًا ولا يملِكُ لَهُم ضَرًّا وَلا نَفْعًا } [طه: ٨٩]، فعُلم أن نفي رجوع القول ونفي التكلم نقص؛ يستدل به على عدم ألوهية العجل.

وغاية شبهتهم أنهم يقولون: يلزم منه التشبيه والتجسيم؟ فيقال لهم: (إذا قلنا إنه تعالى يتكلم كما يليق بجلاله) انتفت شبهتهم، ألا ترى أنه تعالى قال: { اليومَ نخْتِم عَلى أفواههم وتُكَلِّمُنا أيدِيهِم وَتَشْهدُ أَرْجُلُهُمْ } [يس: ٦٥]، فنحن نؤمن أنها تتكلم ولا نعلم كيف تتكلم، وكذا قوله: { وَقَالُوا لجُلُودهم لِمَ شَهِدْتمْ عَلَيْنَا قَالُوا أنطقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ } [فصلت: ٢١]، وكذلك تسبيح الحصا والطعام، وسلام الحجَرِ، كل ذلك بلا فم يخرج منه الصوت الصاعد من لديه المعتمد على مقطع الحروف.

وإلى هذا أشار الشيخ رحمه الله بقوله: (منه بدا بلا كيفية قولًا)، أي: ظهر منه ولا ندري كيفية تكلمه به، وأكد هذا المعنى بقوله: (قولًا)، أتى بالمصدر المعرف للحقيقة كما أكد التكليم بالمصدر المثبت النافي للمجاز في قوله: { وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا } [النساء: ١٦٤]، فماذا بعد الحق إلا الضلال؟! ولقد قال بعضهم لأبي عمرو بن العلاء - أحد القراء السبعة-: أريد أن تقرأ: { وكَلَّمَ اللَّهَ مُوسَى } بنصب اسم الله، ليكون موسى هو المتكلم لا الله! فقال أبو عمرو: هب أني قرأت هذه الآية كذا، فكيف تصنع بقوله تعالى: { ولَمَّا جاء مُوسى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ } [الأعراف: ١٤٣]؟! فبهت المعتزلي! ولا ندري ما يقول الأشعري

وكم في الكتاب والسنة من دليل على تكليم الله لأهل الجنة وغيرهم كما في قوله تعالى: { سلامٍ قَوْلًا منْ ربٍّ رَحِّيمٍ } [يس: ٥٨] .. ثم كيف يصح مع هذا أن يكون كلام الرب كله معنى واحدًا، وقد قال تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُون بِعهد اللَّهِ وَأَيْمانهم ثمَنًا قَلِيلًا أُولَئك لا خَلاقَ لَهُم في الْآخرَةِ ولا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلا ينْظُرُ إِلَيْهِمْ } [آل عمران: ٧٧] فأهانهم بترك تكليمهم، والمراد أنه لا يكلمهم تكليم تكريم وهو الصحيح، إذ قد أخبر في الآية الأخرى أنه يقول لهم في النار: { اخْسئوا فِيهَا وَلا تُكَلِّمُونِ } [المؤمنون: ١٠٨]، فلو كان لا يكلم عباده المؤمنين، لكانوا في ذلك هم وأعداؤه سواء، ولم يكن في تخصيص أعدائه بأنه لا يكلمهم فائدة أصلًا.. وقال البخاري في صحيحه: (باب كلام الرب مع أهل الجنة(، وساق فيه عدة

أحاديث.. فأفضل نعيم أهل الجنة: رؤية وجهه تبارك وتعالى وتكليمه لهم، فإنكار ذلك إنكار لروح الجنة وأعلى نعيمها وأفضله الذي ما طابت لأهلها إلا به.

ثم كيف يصح أن يكون الله متكلمًا بكلام يقوم بغيره كما تزعم الماتريدية؟!، هذا محال عقلاً؛ ولو صح للزم أن يكون ما أحدثه من الكلام في الجمادات كلامه!؛ وكذلك أيضًا ما خلقه في الحيوانات، لا يفرق حينئذ بين نطق وأنطق، وإنما قالت الجلود: { أَنطَقَنَا اللَّهُ } [فصلت: ٢١]، ولم تقل: نطق الله .. بل للزم أن يكون متكلمًا بكل كلام خلقه في غيره، زورا كان أو كذبًا أو كفرًا أو هذيانًا! تعالى الله عن ذلك، وقد طرد ذلك الاتحادية، فقال ابن عربي: (وكل كلام في الوجود كلامه * سواء علينا نثره ونظامه) .. ولو صح أن يوصف أحد بصفة قامت بغيره، لصح أن يقال للبصير: (أعمى)، وللأعمى: (بصير)! لأن البصير قد قام وصف الأعمى بغيره، والأعمى قد قام وصف البصير بغيره!؛ ولصح أن يوصف الله بالصفات التي خلقها في غيره، من الألوان والروائح والطعوم والطول والقصر ونحو ذلك".. إلى أن قال في ردِّ عادية الماتريدية:

"وما أفسد استدلالهم بقوله تعالى: { نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ } [القصص: ٣٠] على أن الكلام خلقه الله في الشجرة فسمعه موسى منها!، وعموا عما قبل هذه الكلمة وما بعدها، فإن الله تعالى قال: { فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الوَادِ الْأَيْمَنِ }، والنداء: هو الكلام من بُعْدٍ: فسمع موسى عليه السلام النداء من حافة الوادي ثم قال: { فِي البُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ }، أي أن النداء كان في البقعة المباركة من عند الشجرة، كما يقول: (سمعت كلام زيد من البيت)، يكون من البيت لابتداء الغاية، لا أن البيت هو المتكلم!، ولو كان الكلام مخلوقًا في الشجرة، لكانت الشجرة هي القائلة: { يا مُوسى إِنِّي أَنَا اللَّهُ ربُّ الْعَالَمِينَ } وهل قال: { إِنِّي أَنَا اللَّهُ ربُّ الْعَالَمِينَ } [القصص: ٣٠] غير رب العالمين؟ .. ولو كان هذا الكلام بدا من غير الله لكان قول فرعون { أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى } [النازعات: ٢٤] صِدقًا، إذ كلٌّ من الكلامين عند المعتزلة وهو لازم قول الأشعرية، مخلوق قد قاله غير الله!، وقد فرقوا بين الكلامين على أصولهم الفاسدة: أن ذاك كلام خلقه الله في الشجرة، وهذا كلام خلقه فرعون!، فحرفوا وبدلوا واعتقدوا خالقًا غير الله.

فإن قيل: فقد قال تعالى: { إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ } [الحاقة: ٤٠، التكوير: ١٩]، وهذا يدل على أن الرسول – إما جبرائيل أو محمد – أحدثه.. قيل: الرسول في إحدى الآيتين جبرائيل وفي الأخرى محمد، فبإضافته إلى كل منهما يبين أن الإضافة للتبليغ، إذ لو أحدثه أحدهما امتنع أن يُحدثه الآخر، فعُلم بذلك أن كليهما بَلَّغه عمن أرسله به لا أنه أنشأه من جهة نفسه، وأيضًا وصف الرسول الملك في سورة التكوير [٢٠، ٢١] بقوله: {ذي قوة عند ذي العرش مكين. مطاع ثم أمين}، دليل على أنه لا يزيد في الكلام الذي أرسل بتبليغه ولا ينقص منه وأنه أمين على ما أرسل به، وأيضًا: فإن الله قد كفَّر من جعله قول البشر، ومحمد صلى الله عليه وسلم بشر، فمن جعله قول محمد – بمعنى: أنه أنشأه – فقد كفر .

وبالجملة، فأهل السنة كلهم، من أهل المذاهب الأربعة وغيرهم من السلف والخلف، متفقون على أن كلام الله غير مخلوق، ولكن بعد ذلك تنازع المتأخرون في أن كلام الله، هل هو معنى واحد قائم بالذات؟، أو أنه حروف وأصوات تكلم الله بها بعد أن لم يكن متكلما؟، أو أنه لم يزل متكلمًا إذا شاء ومتى شاء وكيف شاء وأن نوع الكلام قديم؟ على ما سبق ذكره .. ولو تُرك الناس على فطرهم السليمة وعقولهم المستقيمة، لم يكن بينهم نزاع، ولكن ألقى الشيطان إلى كلٍّ أغلوطةً من أغاليطه، ففرق بها بينهم { وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلفُوا في الْكتَاب لَفي شقَاقٍ بَعِيدٍ } [البقرة: ١٧٦].. والذي يدل عليه كلام الطحاوي: أنه تعالى لم يزل متكلمًا إذا شاء كيف شاء، وأن نوع كلامه قديم وإن كانت آحاده حادثةً، وكذلك ظاهر كلام الإمام أبي حنيفة في الفقه الأكبر على نحو ما سبق أن نقلناه عنه".

=وقال ابن أبي العز مواصلًا ردَّه على ترهات الأشاعرة المقررة للأسف على أبنائنا بالأزهر وغيره: "وكثير من متأخري الحنفية على أن (كلام الله معنى واحد، والتعدد والتكثر والتجزؤ والتبعض حاصلٌ في الدلالات – أي: تدل على الأمر بالطاعات، وعلى النهي عن المحرمات بالعقاب، وعلى الوعد بالثواب لمن أطاع وعلى الوعيد بالعقاب لمن عصى، وعلى الإخبار بجميع ما كان وما يكون من بعث وحساب وجنة ونار – لا في المدلول وهذه العبارات مخلوقة، وسميت: (كلام الله) لدلالتها عليه وتأدِّيه بها، فإن عبَّر بالعربية فهو قرآن، وإن عبر بالعبرانية فهو توراة، فاختلفت العبارات لا الكلام)، قالوا: (وتسمى هذه العبارات كلام الله مجازًا!).

وهذا الكلام فاسدٌ، فإن لازمه أن معنى قوله: { وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَى } [الإسراء: ٣٢] هو معنى قوله: { وأقيموا الصلاة } [البقرة: ٤٣] ومعنى آية الكرسي هو معنى آية الدين!؛ ومعنى سورة الاخلاص هو معنى: { تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ } [المسد: ١] .. وكلما تأمل الإنسان هذا القول تبين له فساده، وعلم أنه مخالف لكلام السلف .. والحق: أن التوراة والإنجيل والزبور والقرآن من كلام الله حقيقة، وكلام الله لا يتناهى، فإنه لم يزل يتكلم بما شاء إذا شاء كيف شاء، ولا يزال كذلك، قال تعالى: { قُل لو كان البحرُ مدادا لكَلمَات ربِّي لَنَفِدَ البحرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَد كَلِمَات رَبِّي وَلَوْ جِئْنا بِمثْلِهِ مَدَدًا } [الكهف: ١٠٩]، وقال تعالى: { ولو أنَّما في الأرضِ من شَجرةٍ أقْلام وَالبحرُ يمدُّهُ منْ بعده سبعَةُ أَبْحُرٍ ما نَفدَتْ كَلماتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ } [لقمان: ٢٧].

ولو كان ما في المصحف عبارة عن كلام الله كما تقول الأشعرية، وليس هو كلام الله، لما حَرُم على الجنب المحدث مسه، ولو كان ما يقرأه القارئ ليس كلام الله لما حَرُم على الجنب والمُحْدِث قراءته، بل كلام الله محفوظ في الصدور، مقروء بالألسن، مكتوب في المصاحف، كما قال أبو حنيفة في (الفقه الأكبر) وهو في هذه المواضع كلها حقيقة، وإذا قيل: (في المصحف خط فلان وكتابته): فهم منه معنى صحيح حقيقي .. وهذان المعنيان مغايران لمعنى قول القائل: (فيه كلام الله)، ومَن لم يتنبه للفروق بين هذه المعاني ضلَّ ولم يَهتدِ للصواب.

وكذلك الفرق بين القراءة التي هي فعل القارئ، والمقروء الذي هو قول الباري، مَن لم يهتد له فهو ضالٌّ أيضًا، ولو أن إنسانًا وجد في ورقة مكتوبًا: (ألا كل شيء ما خلا الله باطل) من خطِّ كاتبٍ معروف، لقال: (هذا من كلام لبيد حقيقة، وهذا خط فلان حقيقة، وهذا خبر حقيقة)، ولا تشتبه هذه الحقيقة بالأخرى".

هذا؛ وكل تصاريف كلمة (قرآن) تدل على أن ما في المصحف هو كلام الله حقيقة، يقول ابن أبي العز: "القرآن في الأصل: مصدر، فتارة يُذكر ويُراد به القراءة، قال تعالى: { وَقرآن الفجر إِنَّ قُرآن الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا } [الإسراء: ٧٨] وقال صلى الله عليه وسلم – كما في الجامع الصحيح (٣٥٨٠) من حديث البراء بن عازب –: (زيِّنوا القرآن بأصواتكم) .. وتارة يُذكر ويراد به المقروء قال تعالى: { فإِذَا قرَأْت الْقُرآنَ فَاسْتَعذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ } [النحل: ٩٨]، وقال: { وإذا قرِئ القُرآنُ فَاستَمعُوا لهُ وَأَنصِتوا لعلَّكُم تُرْحَمُونَ } [الأعراف: ٢٠٤]، وقال صلى الله عليه وسلم فيما أخرجه البخاري (٤٩٩٢) ومسلم (٨١٨): (إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف) إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث الدالة على كل من المعنيين المذكورين .. فالحقائق لها وجود (عيني وذهني ولفظي ورسمي)، ولكن الأعيان (تعلم، ثم تذكر، ثم تُكتب)، فكتابتها في المصحف هي المرتبة الرابعة، وأما الكلام فإنه ليس بينه وبين المصحف واسطة، بل هو الذي يُكتب بلا واسطة ولا لسان.

وقوله تعالى عن القرآن: { وَإِنَّهُ لفي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ } [الشعراء: ١٩٦]، أي ذِكرُه ووصفه والإخبار عنه، كما أن محمدًا مكتوب عندهم، وفي التعبير به ما يكشف عن كمال بيان القرآن وخلوصه من اللبس.. وحقيقة كلام الله الخارجية: هي ما يُسمع منه أو من المبلِّغ عنه، فإذا سمعه

السامع علمه وحفظه، فكلام الله مسموع له؛ معلوم محفوظ، فإذا قاله السامع: فهو مقروء له متلو، فإن كتبه: فهو مكتوب له مرسوم، وهو حقيقة في هذه الوجوه كلها لا يصح نفيه؛ والمجاز يصح نفيه، فلا يجوز أن يقال: (ليس في المصحف كلام الله)، ولا: (ما قرأ القارئ كلام الله)، وقد قال تعالى: { وَإِنْ أحد من المشْرِكين استَجارك فَأَجِرهُ حتَّى يسْمعَ كَلاَمَ اللَّهِ } [التوبة: ٦]، وهو لا يسمع كلام الله من الله، وإنما يسمعه من مبلِّغه عن الله، والآية تدل على فساد قول من قال: (إن المسموع عبارة عن كلام الله وليس هو كلام الله) وهو ما فاهت به الأشعرية والماتريدية، فإنه تعالى قال: {حتى يسمع كلام الله}، ولم يقل: (حتى يسمع ما هو عبارة عن كلام الله)، والأصل حمل اللفظ على حقيقته، ومن قال: (إن المكتوب في المصاحف عبارة عن كلام الله، أو حكاية كلام الله، وليس فيها كلام الله) فقد خالف الكتاب والسنة وسلف الأمة، وكفى بذلك ضلالًا.

وكلام الطحاوي رحمه الله يرد قول من قال: (إنه معنى واحد ولا يتصور سماعه منه تعالى)، وأن المسموع المنزل المقروء والمكتوب: ليس كلام الله، وإنما هو عبارة عنه.. فإن الطحاوي يقول: (كلام الله منه بدا) وكذلك قال غيره من السلف، يقولون: (منه بدا، وإليه يعود)، وإنما قالوا: (منه بدا)، لأن الجهمية من المعتزلة وقد تبعهم الأشعرية كانوا يقولون: (إنه خلق الكلام في محل، فبدأ الكلام من ذلك المحل)، فقال السلف: (منه – أي المتكلَّم به وهو الله – بدا، لا من بعض المخلوقات، كما قال تعالى: { تَنْزِيلُ الكتَاب منَ اللَّه العزيزِ الْحَكِيمِ }[الزمر: ١]، وقال: { وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي } [السجدة: ١٣] وقال: { قلْ نَزَّلَهُ رُوحُ القُدُسِ مِنْ ربِّكَ بِالْحَقّ } [النحل: ١٠٢] .. ومعنى قولهم: (وإليه يعود)؛ أي: يرفع من الصدور والمصاحف، فلا يبقى في الصدور منه آية ولا في المصاحف، كما جاء ذلك في عدة آثار.

وقول الطحاوي: (بلا كيفية): أي: لا تُعرف كيفية تكلمه به (قولًا، وأنزله على رسوله وحيًا)، أي: أنزله إليه على لسان الملك، فسمعه المَلَكُ جبرائيل من الله، وسمعه الرسول من الملك، وقرأه على الناس، بدليل قوله تعالى: { وقُرْآنًا فَرقناه لِتقْرَأه على النَّاسِ عَلَى مكْثٍ وَنزَّلْناهُ تَنزِيلًا } [الإسراء: ١٠٦] وقوله: { نزَلَ بِه الرُّوحُ الْأَمِينُ * علَى قَلْبِك لتَكون من الْمُنْذِرِينَ * بلِسانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ } [الشعراء: ١٩٣- ١٩٤]، وفي ذلك إثبات صفة العلو لله تعالى.

وقد أُورد على ذلك أن إنزال القرآن نظير إنزال المطر، أو إنزاله الحديد، وإنزال ثمانية أزواج من الأنعام، فيكون بذلك حادثًا نظير هذه الأشياء .. والجواب: أن إنزال القرآن فيه مذكور أنه إنزال من الله، قال تعالى: { حم * تنْزِيلُ الكتَاب منَ اللَّه العزيزِ الْعَلِيمِ } [غافر: ١- ٢]، وقال: { نَزِيلُ الكتَاب منَ اللَّه العزيزِ الْحَكِيمِ } [الزمر: ١]، وقال: { تَنْزِيلٌ منَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ } [فصلت: ٢]، وقال: { تَنْزِيلٌ منْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ} [فصلت: ٤٢]، وقال: { إِنَّا أنزلْنَاه في ليْلَة مبارَكَةٍ إِنَّا كنَّا مُنْذِرِينَ } [الدخان: ٣]، وقال: { قُلْ فَأْتُوا بِكتَابٍ من عند اللَّه هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِنْ كنْتُم صَادِقِينَ } [القصص: ٤٩]، وقال: { وَالَّذِينَ آتَينَاهُم الكتَاب يعْلَمون أَنَّهُ منَزَّلٌ منْ ربِّك بِالحقّ فَلا تَكُونَنَّ مِن الْمُمْتَرِينَ } [الأنعام: ١١٤]، وقال: { قلْ نَزَّلَهُ رُوحُ القُدُسِ مِنْ ربِّكَ بِالْحَقّ } [النحل/ ١٠٣] .

بينا إنزال المطر مقيد بأنه منزل من السماء قال تعالى: { أَنْزَلَ منَ السَّماءِ مَاءً } [الرعد: ١٧] وقد جاء في مكان آخر أنه منزل من المزن، والمزن: السحاب، وفي مكان آخر أنه منزل من المعصرات.. وإنزال الحديد والأنعام مطلق، فكيف يشبه هذا الإنزال بهذا الإنزال؟!، فالحديد إنما يكون من المعادن التي في الجبال، وهي عالية على الأرض، والأنعام تُخلق بالتوالد المستلزم إنزال الذكور الماء من أصلابها إلى أرحام الإناث، ولهذا يُقال: (أنزل) ولم يقل: (نزل)، ثم الأجنة تنزل من بطون الأمهات إلى وجه الارض، وعلى هذا فيحتمل قوله: { وَأنزَلَ لَكم مِنَ الْأَنْعَامِ } [الزمر: ٦] أن تكون (من) لبيان الجنس.

وفي قوله: (وصدَّقه المؤمنون على ذلك حقًا) الإشارة إلى أن ما ذَكره من التكلم على الوجه المذكور وإنزاله، هو: قول الصحابة والتابعين لهم بإحسان وهم السلف الصالح، وأن هذا حق وصدق.. وقوله: (وأيقنوا أنه كلام الله بالحقيقة ليس بمخلوق ككلام البرية)، رد على المعتزلة وغيرهم، وفي قوله: (بالحقيقة) ردٌّ على من قال من الأشعرية: (إنه معنى واحد قام بذات الله لم يسمع منه، وإنما هو الكلام النفساني)، لأنه لا يقال لمن قام به الكلام النفساني ولم يتكلم به: (إن هذا كلام حقيقة)، وإلا للزم أن يكون الأخرس بإشاراته متكلمًا، وللزم أن لا يكون الذي في المصحف عند الإطلاق هو القرآن ولا كلام الله ولكن عبارة عنه، فعندهم أن الملك فهم من الله معنى قائمًا بنفسه لم يسمع منه حرفًا ولا صوتًا، بل فهم معنى مجردًا ثم عبر عنه، فهو الذي أحدث نظم القرآن وتأليفه العربي، أو أن الله خلق في بعض الأجسام – كالهواء الذي هو دون الملك – هذه العبارة.

ويقال لمن قال من الأشعرية إنه معنى واحدٌ: هل سمع موسى عليه السلام جميع المعنى أو بعضه؟ فإن قال: سمعه كله، فقد زعم أنه سمع جميع كلام الله؛ وفساد هذا ظاهر، وإن قال: بعضه؛ فقد قال بالتبعض وناقض نفسه، ويقال ذلك لكل من كلمه الله أو أنزل إليه شيئًا من كلامه، ويقال كذلك عن الله تعالى لما قال للملائكة: { إِنِّي جَاعلٌ في الْأَرْضِ خَلِيفَة } [البقرة: ٣٠] وقال لهم: { اسْجُدُوا لِآدَمَ } [البقرة: ٣٤] وأمثال ذلك، فيقال له: هل هذا جميع كلامه أو بعضه؟ فإن قال: إنه جميعه، فهذا مكابرة، وإن قال: بعضه، فقد اعترف بتعدده.

ثم إن من استَدل على شبهة الكلام النفسي ونفي اللفظي منه بقول الأخطل: (إن الكلام لفي الفؤاد وإنما * جعل اللسان على الفؤاد دليلًا) استدلال فاسد، ولو استُدِل عليه بحديث في الصحيحين لقالوا هذا خبر واحد! ويكون مما اتفق العلماء على تصديقه وتلقيه بالقبول والعمل به! فكيف وهذا البيت قد قيل: (إنه موضوع منسوب إلى الأخطل، وليس هو في ديوانه؟!)، وقيل إنما قال: (إن البيان لفي الفؤاد) وهذا أقرب إلى الصحة، وعلى تقدير صحته عنه فلا يجوز الاستدلال به، فإن النصارى قد ضلوا في معنى الكلام، وزعموا أن عيسى عليه السلام نفس كلمة الله واتحد اللاهوت بالناسوت! أي: شيء من الإله بشيء من الناس!.

والسؤال: أفيُستدل بقول نصراني قد ضل في معنى الكلام على معنى الكلام، ويُترك ما يُعلم من معنى الكلام في لغة العرب؟!، وأيضًا: فمعناه غير صحيح، إذ لازمه أن الأخرس يسمَّى متكلمًا لقيام الكلام بقلبه وإن لم يَنطق به ولم يُسمع منه .. وما أشبه القائلون بالكلام النفسي؛ بالنصارى القائلين باللاهوت والناسوت!، فإنهم يقولون: (كلام الله هو المعنى القائم بذات الله الذي لا يمكن سماعه، وأما النظم المسموع فمخلوق)، فإفهام المعنى القديم بالنظم المخلوق؛ يشبه امتزاج اللاهوت بالناسوت الذي قالته النصارى في عيسى عليه السلام، فانظر إلى هذا الشبه ما أعجبه!.

ويَرُدُّ قول من قال: بـ(أن الكلام هو المعنى القائم بالنفس): قوله صلى الله عليه وسلم فيما أخرجه مسلم (٥٣٧) وغيره: (إن صلاتنا هذه لا يصلح فيها شيء من كلام الناس)، وقوله فيما أخرجه البخاري في كتاب التوحيد باب {كل يوم هو في شأن}: (إن الله يُحدث من أمره ما يشاء، وإنما أحدث أن لا تكلموا في الصلاة)، واتفق العلماء على أن المصلي إذا تكلم في الصلاة عامدًا لغير مصلحتها بطلت صلاته، واتفقوا كلهم على أن ما يقوم بالقلب – من تصديق بأمور دنيوية وطلب – لا يبطل الصلاة، وإنما يبطلها التكلم بذلك، فعُلم بذلك اتفاق المسلمين على أن الكلام النفسي ليس بكلام.

وأيضًا: ففي الصحيحين البخاري (٦٦٦٤) ومسلم (١٢٧) قال صلى الله عليه وسلم: (إن الله تجاوز لأمتي عما حدثت به أنفسها، ما لم تتكلم به أو تعمل به)، فقد أخبر أن الله عفا عن حديث النفس إلا أن يُتكلم به، ففرق بين حديث النفس وبين الكلام، وأخبر أنه لا يؤاخذ به حتى يَتكلم به، والمراد: حتى ينطق به اللسان، باتفاق العلماء، فعُلم أن هذا هو الكلام في اللغة، لأن الشارع إنما خاطبنا بلغة العرب.. وأيضًا ففي السنن وصحيح

والرؤية حق لأهل الجنة بغير إحاطة ولا كيفية، كما نطق به كتاب ربنا: {وجوه يومئذ ناضرة. إلى ربها ناظرة} [القيامة: ٢٢، ٢٣]، وتفسيره على ما أراده الله تعالى وعَلِمَه، وكل ما جاء في ذلك من الحديث الصحيح عن الرسول صلى الله عليه وسلم فهو كما قال، ومعناه على ما أراد لا ندخل في ذلك متأولين بآرائنا، ولا متوهمين بأهوائنا، فإنه ما سلم في دينه إلا من سلَّم لله ولرسوله، ورَدَّ عِلْم ما اشتبه عليه إلى عالمه.

ولا يثبت قدم الإسلام إلا على ظهر التسليم والاستسلام، فمن رام علْمَ ما حُظِر عنه علمه، ولم يقنع بالتسليم فهمه، حجبه مَرامُه عن خالص التوحيد، وصافي المعرفة، وصحيح الإيمان، فيتذبذب بين الكفر والإيمان، والتصديق والتكذيب، والإقرار والإنكار، موسوسًا تائهًا، زائغًا شاكًّا، لا مؤمنًا مصدقًا، ولا جاحدًا مكذبًا.

ولا يصح الإيمان بالرؤية لأهل دار السلام لمن اعتبرها منهم بوهم، أو تأولها بفهم، إذ كان تأويل الرؤية – وتأويل كلِّ معنى يضاف إلى الربوبية – بترك التأويل ولزوم التسليم، وعليه دين المسلمين.

ومن لم يتوَقَّ النفي والتشبيه زلَّ ولم يصب التنزيه، فإن ربنا جل وعلا موصوف بصفات الوحدانية، منعوت بنعوت الفردانية، ليس في معناه أحد من البرية .

وتعالى عن الحدود والغايات، والأركان والأعضاء والأدوات، لا تحويه الجهات الست كسائر المبتدعات(١) .

الجامع (٥١٣٦): أن معاذًا قال: يا رسول الله، وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ فقال: (وهل يكب الناس في النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم)، فبين أن الكلام إنما هو باللسان، فلفظ القول والكلام وما تصرف منهما من فعل ماض ومضارع وأمر واسم فاعل -: إنما يعرف في القرآن والسنة وسائر كلام العرب إذا كان لفظًا ومعنى، ولم يكن في مسمى الكلام نزاع بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وإنما حصل النزاع بين المتأخرين من علماء أهل البدع، ثم انتشر.

ولا ريب أن مسمى الكلام والقول ونحوهما، ليس هو مما يُحتاج فيه إلى قول شاعر، فإن هذا مما تكلم به الأولون والآخرون من أهل اللغة، وعرفوا معناه، كما عَرَفوا مسمى (الرأس) و(اليد) و(الرجل) ونحو ذلك.. ولا شك أن من قال: (إن كلام الله معنى واحد قائم بنفسه تعالى؛ وأن المتلو المحفوظ المكتوب المسموع من القارئ؛ حكاية كلام الله وهو مخلوق): فقد قال بخلق القرآن وهو لا يشعر، فإن الله يقول: { قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَت الأنْسُ وَالجنُّ على أنْ يأتوا بمثلِ هذا القُرْآن لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ } [الإسراء: ٨٨]، أفتَراه سبحانه يشير الى ما في نفسه أو إلى المتلو المسموع؟ لا شك أن الإشارة في الآية إنما هي إلى هذا المتلو المسموع، إذ ما في ذات الله ونفسه؛ غير مشارٍ إليه، ولا مُنَزَّلٍ ولا متلوٍّ ولا مسموع.. ثم إن قوله: {لا يأتون بمثله} أفتَراه سبحانه يقول: لا يأتون بمثل ما في نفسي مما لم يسمعوه ولم يعرفوه؛ وما في نفس الله لا حيلة إلى الوصول إليه ولا إلى الوقوف عليه، ولو كانت هذه التلاوة حكاية لكان الناس قد أتوا بمثل كلام الله، فأين عجزهم؟! ويكون التالي - في زعمهم - قد حكى بصوت وحرف ما ليس بصوت وحرف.

وقول الطحاوي: (ولا يشبه – أي القرآن – قول البشر)، يعني أنه أشرف وأفصح وأصدق، قال تعالى: { قل لئنِ اجْتَمَعَت الْإِنْسُ وَالجِنُّ عَلَى أَنْ يأتوا بمثل هذا القُرْآن لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ } [الإسراء: ٨٨]، ثم تحداهم بأن يأتوا بعشر سور أو بسورة فلما عجزوا - وهم فصحاء العرب، مع شدة العداوة - تبين صدق الرسول أنه من عند الله، وإعجازه من جهة نظمه ومعناه، لا من جهة أحدهما فقط .. فنَفَي المشابهة من حيث التكلم به، ومن حيث النظم والمعنى، لا من حيث الكلمات والحروف، وإلى هذا وقعت الإشارة بالحروف المقطعة في أوائل السور، لبيان أن القرآن المعجز إنما أتي على أسلوب كلامهم وبلغتهم التي يتخاطبون بها، ألا ترى أنه يأتي بعد الحروف المقطعة بذكر القرآن؟ { ألم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ } [البقرة: ١- ٢] وهكذا في أوائل سور آل عمران والأعراف ويونس وهود ويوسف والرعد وإبراهيم والحجر والشعراء والنمل والقصص ولقمان والسجدة و{ص} والحواميم و{ق}.. ولكن أهل المقالات الفاسدة يتذرعون بمثل هذا لنفي تكلم الله به وسماع جبريل منه، وبقوله تعالى: { لَيْس كَمِثْلِهِ شَيْءٌ } [الشورى:١١] على نفي الصفات وفي الآية ما يرد عليهم قولهم، وهو قوله: { وهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}

وصفوة القول: أنا إنما أردنا من التوسع في هذا الأمر الخطير والمهم: بيان أن الله تعالى كما أنه بصفاته ليس كالبشر، فإنه وإن وُصف بأنه متكلم، لكن لا يُوصف بمعنى من معاني البشر التي يكون الإنسان بها متكلمًا، فإن الله {ليس كمثله شيء وهو السميع البصير}؛ وما أحسن المثل المضروب للمُثبت للصفات من غير تشبيه ولا تعطيل: بـ(اللبن الخالص السائغ للشاربين، يَخرج من بين فَرْثِ التعطيل ودم التشبيه) .. وأن (المعطل يعبد عدما، والمشبه يعبد صنمًا) .. ومن كلام الشيخ: (ومن لم يتوق النفي والتشبيه، زل ولم يصب التنزيه)، وأن (دين الإسلام هو بين التشبيه والتعطيل)، وليس ما وصف الله به نفسه ولا ما وصفه به رسوله تشبيهًا، بل صفات الخالق كما يليق به، وصفات المخلوق كما يليق به، (ومن أبصر هذا اعتبر وعن مثل قول الكفار انزجر، وعلم أنه تعالى بصفاته ليس كالبشر)"إ.هـ بتصرف

(١) أهل البدع يطلقون مثل هذه الألفاظ لينفوا بها الصفات بغير الألفاظ التي تكلم الله بها، وذلك لئلا يفتضحوا وحتى لا يشنع عليهم أهل الحق، والمثبتون من اهل السنة – والطحاوي بالطبع واحد منهم وكلامه في هذه العقيدة يفسر بعضه بعضًا – يريدون بها: تنزيه الله عن مشابهة المخلوقات، فمن قال من السلف بإثبات الحد في الاستواء وغيره من الصفات الذاتية كاليد والقدم ونحو ذلك، مراده منه حد يعلمه الله ولا يعلمه العباد، وكذلك مرادهم من الصفات الذاتية والفعلية: تنزيهه تعالى عن مشابهة الحوادث، وليس نفي علو الله وفوقيته واستوائه على عرشه.

والمعراج حق، وقد أُسرى بالنبي صلى الله عليه وسلم، وعُرج بشخصه في اليقظة إلى السماء، ثم إلى حيث شاء الله من العلا، وأكرمه الله بما شاء، وأوحى إليه ما أوحى، {ما كذب الفؤاد ما رأى} [النجم: ١١] .

والحوض الذي أكرمه الله تعالى به – غِياثًا لأمته – حق .. والشفاعة التي ادخرها لهم حق، كما رُوِي في الأخبار .. والميثاق الذي أخذه الله تعالى من آدم وذريته حق.

وقد علم الله تعالى – فيما لم يَزَلْ – عدد من يدخل الجنة، وعدد من يدخل النار جملة واحدة، فلا يزاد في ذلك العدد ولا ينقص منه، وكذلك أفعالهم فيما علم منهم أن يفعلوه، وكلٌّ ميسر لما خلق له، والأعمال بالخواتيم، والسعيد من سعد بقضاء الله، والشقي من شقي بقضاء الله.

وأصلُ القدر سرُّ الله تعالى في خلقه، لم يَطَّلِع على ذلك ملَك مقرّب ولا نبيٌّ مرسل، والتعمق والنظر في ذلك ذريعة الخذلان، وسلم الحرمان، ودرجة الطغيان، فالحذر كل الحذر من ذلك نظرًا وفكرًا ووسوسة، فإن الله تعالى طوى علم القدر عن أنامه، ونهاهم عن مَرَامِه، كما قال الله تعالى في كتابه: {لا يسأل عما يفعل وهم يسألون} [الأنبياء: ٢٣]، فمن سأل: لِمَ فعل؟ فقد رد حكم الكتاب، ومن رد حكم الكتاب كان من الكافرين.

فهذا جملة ما يَحتاج إليه من هو منوَّرٌ قلبُه من أولياء الله تعالى، وهي درجةُ الراسخين في العلم؛ لأن العلم علمان: علم في الخلق موجود، وعلم في الخلق مفقود(١)، فإنكارُ العلمِ الموجود كفر، وادعاءُ العلم المفقود كفر، ولا يثبت الإيمان إلا بقبول العلم الموجود وترك طلب العلم المفقود.

ونؤمن باللوح والقلم، وبجميع ما فيه قد رُقِم، فلو اجتمع الخلق كلهم على شيء كتبه الله تعالى فيه أنه كائنٌ ليجعلوه غير كائنٍ لم يقدروا عليه، ولو اجتمعوا كلهم على شيء لم يكتبه الله تعالى فيه ليجعلوه كائنًا لم يقدروا عليه، جَفَّ القَلمُ بما هو كائن إلى يوم القيامة، وما أخطأ العبد لم يكن ليصيبه، وما أصابه لم يكن ليخطئه.

وعلى العبد أن يَعلم أن الله قد سبق علمه في كل كائن مِن خلقه، فقدَّر ذلك تقديرًا محكمًا مُبرَمًا، ليس فيه ناقضٌ ولا معقبٌ، ولا مزيلٌ ولا مغيرٌ، ولا ناقصٌ ولا زائدٌ من خلقه في سماواته وأرضه، وذلك مِن عَقد الإيمان وأصولِ المعرفة، والاعتراف بتوحيد الله تعالى وربوبيته، كما قال تعالى في كتابه: {وخلق كل شيء فقدره تقديرًا} [الفرقان: ٢]، وقال تعالى: {وكان أمر الله قدرا مقدورًا} [الأحزاب: ٣٨]، فويل لمن صار لله تعالى في القدر خصيمًا، وأحضَرَ للنظر فيه قلبًا سقيمًا، لقد التمس بوهْمِه في فحص الغيب سرًّا كتيمًا، وعاد – بما قال فيه – أفّاكًا أثيمًا.

والعرش والكرسي حق، وهو مستغن عن العرش وما دونه، محيطًا بكل شيء وفوقه، وقد أعجز عن الإحاطة خلقه.

ونقول إن الله اتخذ إبراهيم خليلا، وكلم الله موسى تكليمًا، إيمانًا وتصديقًا وتسليمًا.

ونؤمن بالملائكة والنبيين والكتب المنزلة على المرسلين، ونشهد أنهم كانوا على الحق المبين.

ونسمي أهل قبلتنا مسلمين مؤمنين، ما داموا بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم معترفين، وله بكل ما قاله وأخبر؛ مصدقين.

حرمة الخوض في ذات الله والجدال في دين الله وقرآنه:

ولا نخوض في الله، ولا نماري في دين الله .. ولا نجادل في القرآن، ونشهد أنه كلام رب العالمين، نزل به الروح الأمين، فعلَّمه سيد المرسلين، محمدا صلى الله عليه وسلم، وهو كلام الله تعالى لا يساويه شيء من كلام المخلوقين، ولا نقول بخلقه، ولا نخالف جماعة المسلمين.

---

(١) وهو علم الغيب، وهو ما اختص الله به وذلك قوله تعالى: {وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو} [الأنعام: ٥٩]، وقوله: {قل لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب إلا الله} [النمل: ٦٥]، وقوله صلى الله عليه وسلم: (مفاتح الغيب خمس لا يعلمهن إلا الله، ثم تلا قوله تعالى: {إن الله عنده علم الغيب وينزل الغيث.. الآية} [لقمان: ٣٤]، وهو سبحانه لم يُعلم نبيه من ذلك إلا ما علَّمه إياه وأطلعه عليه، وهو أفضل الخلق وسيد الرسل، فغيره من باب أولى.

الرد على الخوارج والمرجئة:

وَلاَ نكَفِّرُ أحَدًا من أَهْلِ القبْلَةِ بِذنْبٍ مَا لَمْ يَسْتَحِلَّهُ .. ولا نقول: لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله، نرجو للمحسنين من المؤمنين أن يعفو عنهم، ويُدخلهم الجنة برحمته، ولا نأمن عليهم، ولا نشهد لهم بالجنة، ونستغفر لمسيئهم، ونخاف عليهم ولا نقنِّطهم.. والأمن والإياس ينقلان عن ملة الإسلام، وسبيل الحق بينهما لأهل القبلة.

ولا يُخرج العبد من الإيمان إلا بجحود ما أدخله فيه.. والإيمان: هو الإقرار باللسان، والتصديق بالجنان(١) .

وجميع ما صح عن رسول الله من الشرع والبيان، كله حق.. والإيمان واحد، وأهله في أصله سواء(٢)، والتفاضل بينهم بالخشية والتقى، ومخالفة الهوى، وملازمة الأولى.. والمؤمنون كلهم أولياءُ الرحمن، وأكرمهم عند الله أطوعهم وأتبعهم للقرآن .

والإيمان؛ هو: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره وحُلْوِه ومُرِّه؛ من الله تعالى .. ونحن مؤمنون بذلك كله، لا نفرق بين أحد من رسله، ونصدقهم كلهم على ما جاؤوا به .

وأهل الكبائر من أمة محمد صلى الله علي وسلم في النار لا يخلدون، إذا ماتوا وهم موحدون، وإن لم يكونوا تائبين، بعد أن لقوا الله عارفين مؤمنين .. وهم في مشيئته وحُكمه: إن شاء غفر لهم وعفا عنهم بفضله، كما ذكر عز وجل في كتابه: {ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء} [النساء: ٤٨، ١١٦]، وإن شاء عذبهم في النار بعدله، ثم يخرجهم منها برحمته وبشفاعة الشافعين من أهل طاعته، ثم يبعثهم إلى جنته، وذلك بأن الله تولى أهل معرفته، ولم يجعلهم في الدارين كأهل نُكْرَتِه الذين خابوا من هدايته ولم ينالوا من ولايته، اللهم يا ولي الإسلام وأهله ثبتنا على الإسلام حتى نلقاك به.

ونرى الصلاة خلف كل بر وفاجر من أهل القبلة، ونصلي على من مات منهم .. ولا ننزل أحدًا منهم جنةً ولا نارًا، ولا نشهد عليهم بكفر ولا بشرك ولا بنفاق، ما لم يَظهر منهم شيء من ذلك، ونَذَرُ سرائرهم إلى الله .

حرمة الخروج على ولاة الأمور ووجوب طاعتهم ما لم يأمروا بمعصية ولا ننزع يدًا من طاعة:

ولا نرى السيف على أحد من أمة محمد صلى الله عليه وسلم إلا من وجب عليه السيف .. ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا وإن جاروا، ولا ندعو عليهم ولا ننزع يدًا من طاعتهم، ونرى طاعتهم من طاعة الله فريضة ما لم يأمروا بمعصية، وندعو لهم بالصلاح والمعافاة.

ونتبع السنة والجماعة، ونجتنب الشذوذ والخلاف والفرقة.. ونحب أهل العدل والأمانة، ونبغض أهل الجور والخيانة .. ونقول: الله أعلم فيما اشتَبَه علينا علمُه .

ونرى المسح على الخفين في السفر والحضر، كما جاء في الأثر .. والحج والجهاد ماضيان مع أولي الأمر من المسلمين بَرِّهم وفاجرِهم إلى قيام الساعة، لا يبطلهما شيء ولا ينقضُهُما.

ونؤمن بالكرام الكاتبين، فإن الله قد جعلهم علينا حافظين .. ونؤمن بملك الموت الموكَّل بقبض أرواح العالمين، وبعذاب القبر لمن كان له أهلا، وسؤال منكر ونكير في قبرِه عن ربه ودينه ونبيه، على ما جاءت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة رضوان الله عليهم .. والقبر روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النيران .. ونؤمن بالبعث وجزاء الأعمال يوم القيامة، والعرض والحساب، وقراءة الكتاب، والثواب والعقاب، والصراط والميزان .

---

(١) وقد سبق بيان أن الحنفية – وعلى رأسهم الإمام أبو حنيفة – لا يخرجون العمل من مسمى الإيمان، ومن ثم ذكر أهل العلم أن الخلاف بينهم وبين أهل السنة خلاف صوري، فليراجع .

(٢) أما في تفاضله بما ذكر المصنف، وفي زيادته ونقصانه فهم متفاوتون تفاوتًا عظيمًا، فليس إيمان الرسل كإيمان غيرهم، وليس إيمان الخلفاء وبقية الصحابة مثل إيمان غيرهم، وهكذا ليس إيمان المؤمنين كإيمان الفاسقين، وهذا التفاوت بحسب ما في القلب من العلم بالله وأسمائه وصفاته، وهو قول اهل السنة والجماعة خلافًا للمرجئة ومن يقول بقولهم .

والجنة والنار مخلوقتان، لا تفنيان أبدًا ولا تبِيدان، وإن الله تعالى خلق الجنة والنار قبل الخلق، وخلق لهما أهلًا، فمن شاء منهم إلى الجنة فضلًا منه، ومن شاء منهم إلى النار عدلًا منه، وكلٌّ يعمل لما قد فَرَغَ له، وصائر إلى ما خُلق له .. والخير والشر مقدران على العباد .

أفعال العباد خلق الله وكسب من العباد

والاستطاعة التي يجب بها الفعلُ من نحو التوفيق الذي لا يجوز أن يوصَفُ المخلوق به تكون مع الفعل، وأما الاستطاعة من جهة الصحة والوسع والتمكن وسلامة الآلات فهي قبل الفعل، وبها يتعلق الخطاب، وهو كما قال تعالى: {لا يكلف الله نفسا إلا وسعها} [البقرة: ٢٨٦].. وأفعال العباد خلق الله، وكسب من العباد.

ولم يكلفهم الله تعالى إلا ما يطيقون، ولا يطيقون إلا ما كلفهم(١)، وهو تفسير (لا حول ولا قوة إلا بالله)، نقول: لا حيلة لأحدٍ ولا حركة لأحدٍ ولا تحوُّل لأحد عن معصية الله إلا بمعونة الله، ولا قوة لأحد على إقامة طاعة الله والثبات عليها إلا بتوفيق الله .

وكل شيء يجري بمشيئة الله تعالى وعلمه وقضائه وقدره، غلبت مشيئتُه المشيئاتِ كلِّها، وغلب قضاؤُه الحيلَ كلَّها، يفعل ما يشاء وهو غير ظالم أبدًا، تقدَّس عن كل سوءٍ وحَيْنٍ، وتنزه عن كل عيب وشَيْنٍ، {لا يسأل عما يفعل وهم يسألون} [الأنبياء: ٢٣] .

وفي دعاء الأحياء وصدقاتهم منفعة للأموات، والله تعالى يستجيب الدعوات ويقضي الحاجات .. ويملك كل شيء ولا يملكه شيء، ولا غِنَى عن الله تعالى طرفةَ عين، ومن استغنى عن الله طرفة عين فقد كفر، وصار من أهل الحَيْن.. والله يغضب ويرضى لا كأحد من الورى .

حب أصحاب النبي دين، ونبرأ من الروافض لإخلالهم بهذا الدين:

ونحب أصحاب رسول الله ولا نفرط في حب أحد منهم، ولا نتبرأ من أحد منهم، ونبغض من يبغضهم، وبغير الخير يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بخير، وحبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان.

ونثبت الخلافةَ بعد رسول الله أولًا لأبي بكر الصديق رضي الله عنه تفضيلًا له وتقديمًا على جميع الأمة، ثم لعمر بن الخطاب رضي الله عنه، ثم لعثمان رضي الله عنه، ثم لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، وهم الخلفاء الراشدون والأئمة المهتدون .

وأن العشرة الذين سمَّاهم رسول الله وبشرهم بالجنة نشهد لهم بالجنة، على ما شهد لهم صلى الله عليه وسلم، وقوله الحق، وهم: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعليٌّ، وطلحةُ، والزبيرُ، وسعدٌ، وسعيدٌ، وعبدُ الرحمن بن عوف، وأبو عبيدة بن الجراح وهو أمين هذه الأمة؛ رضي الله عنهم أجمعين.

ومن أحسنَ القولَ في أصحاب رسول الله وأزواجه الطاهرات من كل دنس وذرياته المقدَّسين من كلِّ رِجس؛ فقد برئ من النفاق.

وعلماء السلف من السابقين، ومن بعدهم من التابعين أهل الخير والأثر، وأهل الفقه والنظر، لا يُذكرون إلا بالجميل، ومن ذكرهم بسوء فهو على غير السبيل .

ولا نفضل أحدًا من الأولياء على أحد من الأنبياء عليهم السلام، ونقول: نبيٌّ واحدٌ أفضل من جميع الأولياء .. ونؤمن بما جاء من كراماتهم، وصح عن الثقات من رواياتهم .

ونؤمن بأشراط الساعة من: خروج الدجال، ونزول عيسى ابن مريم عليه السلام من السماء، ونؤمن بطلوع الشمس من مغربها، وخروج دابة الأرض من موضعها .

ولا نصدق كاهنًا ولا عرافًا، ولا من يدَّعي شيئًا يخالف الكتاب والسنة وإجماع الأمة .

ونرى الجماعة حقًّا وصوابًا، والفرقة زيغًا وعذابًا.

---

(١) أي: إلا ما أقدرهم عليه تيسيرا منه ورفعًا للحرج عنهم والمشقة، وإلا فلا يجوز للإنسان أن يصلي كل الليل ولا يجوز له أن يشرِّع ترك الزواج، وفي الحديث: (أما أنا فأصلي وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني)، فالله لا يكلف ما يشق عليهم، ولو كلفهم لأطاقوا ولكن لا يرضى لهم المشقة والعسر .

ودين الله في الأرض والسماء واحد، وهو دين الإسلام، قال الله تعالى: {إن الدين عند الله الإسلام } [آل عمران: ١٩]، وقال تعالى: {ورضيت لكم الإسلام دينًا} [المائدة: ٣] .. وهو بين الغلو والتقصير، وبين التشبيه والتعطيل، وبين الجبر والقدر، وبين الأمن والإياس .

الخاتمة: فهذا ديننا واعتقادنا ظاهرًا وباطنًا، ونحن برآءُ إلى الله من كل من خالف الذي ذكرناه وبيناه، ونسأل الله تعالى أن يثبتنا على الإيمان، ويختم لنا به، ويعصمنا من الأهواء المختلفة، والآراء المتفرقة، والمذاهب الرديَّة، مثل: المشبهة والمعتزلة والجهمية والجبرية والقدرية وغيرهم؛ من الذين خالفوا السنة والجماعة وحالفوا الضلالة، ونحن منهم بُرَآءُ، وهم عندنا ضلال وأرْدِياءُ، وبالله العصمة والتوفيق"إ.هـ بتصرف يسير.

&&&&&&&&&&

الفصل الثاني

إطلالة على مذهب إمام دار الهجرة مالك بن أنس في قضايا الاعتقاد بالمخالفة لما عليه مدعو الانتساب إليه وجولة حول معتقد من تلقى عنهم وتلقوا عنه

المبحث الأول
نبذة مختصرة عن إمام دار الهجرة ت١٧٩ هـ وعن معتقده في توحيد الصفات

أولًا: نبذة مختصرة عن الإمام مالك ونسبه ومكانته

الإمام مالك هو: شيخُ الإسلام وحجّةُ الأمة؛ وعالمُ المدينة في زمانه؛ بعد: رسول الله صلى الله عليه وسلم، وصاحبيه وزيد بن ثابت وعائشة، ثم ابن عمر، ثم سعيد بين المسيب، ثم عبيد الله بن عمر.

وهو: أبو عبد الله مالكُ بنُ أنس بن مالك بن أبي عامر الأَصبحي، ينتهي نسبه إلى ذي أَصبَح، وهي قبيلة من اليمن، قدم أحد أجداده منها إلى المدينة وسكنها، وكان جده أبو عامر من أصحاب رسول الله شهد معه المغازي كلها ما عدا بدرًا، وهو أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة وإليه تنسب المالكية، أخذ العلم عن (نافعٍ) مولى عبد الله بن عمر، وعن (ابنِ شهاب الزهري)، وأما شيخه في الفقه فهو (ربيعة بن عبد الرحمن) المعروف بربيعة الرأي .. كان مالك إمامًا في الحديث، وكان مجلسه مجلس وقار وحلم، وكان رجلًا مهيبًا، ليس في مجلسه شيء من المراء واللغط .. حدَّث عنه كثير من الأئمة، منهم: ابن المبارك والأوزاعي والليث والشافعي، قال البخاري:

(أصح الأحاديث: عن مالك عن نافع عن ابن عمر)، وكان يعطي لما جرى عليه العمل في المدينة أهمية كبرى، لاسيما عمل الأئمة وفي مقدمتهم الشيخان: أبو بكر وعمر".

حُمل إلى جعفر بن سليمان العباسي والِي المدينة، فضربه سبعين سوطًا حتى أصيب بعجز شديد في ذراعه، لأنه أفتى بعدم لزوم طلاق المكره، وهي فتوى ذات وجه وطابع سياسي، لأنها تسري إلى أيمان البيعة التي أحدثوها، وكانوا يُكْرِهون الناس على الحلف بالطلاق عند المبايعة، فرأوا أن فتوى مالك تنقض البيعة حتى للخليفة أبي جعفر المنصور، وكان مالك قد استند في إبطال يمين المكره على حديث: (رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما أكرهوا عليه).

غير أن الخليفة المنصور أحس بمرارة ما فعل أو بما وقع لـ(مالك) بعلمه، فأرسل إلى الإمام مالك ليعتذر إليه وليتنصل مما فعله والِيه الذي عزله تطييبًا لخاطر مالك، وأمر أن يؤتى به إلى بغداد محمولًا على جمل، ثم كان أن لقي المنصور مالكَ في موسم الحج سنة ١٦٣هـ واجتمع به في مِنىً، وطلب منه أن يُدَوِّن علمه في كتاب يتجنب فيه شدائد (عبد الله بن عمر) ورُخَصَ (عبد الله بن عباس) وشواذ (عبد الله بن مسعود)، وأن يقصد إلى أواسط الأمور وما اجتمع عليه من الأئمة والصحابة، وأمر له بألف دينار وكسوة، فصنف مالكُ (الموطأ) وهو أول كتاب ظهر في الفقه الإسلامي، ومن كتبه: (المدونة)، وهي مجموعة رسائل من فقه مالك جمعها تلميذه أسد بن الفرات.

أقام مالك بعد ذلك بالمدينة ولم يرحل منها إلى بلد آخر، وكان الرشيد قد وجه إليه ليأتيه فيحدثه، فقال: (العلم يؤتى)، فقصده الرشيد إلى منزله، وجلس بين يديه فحدَّثه.

وكان أكثر من رحل إليه رحمه الله: المصريون والمغربيون من أهل أفريقية والأندلس، وهم الذين نشروا مذهبه في شمال أفريقية وفي الأندلس، ثم ظهر مذهبه في البصرة وبغداد وخراسان بواسطة فقهاء رحلوا إليه من تلك البلاد.. وتوفي في المدينة ودفن بالبقيع عن عمر يناهز الستة والثمانين عامًا بعد رحلة عطاء وفترة وفاء، عاشها لدينه لم يخش خلالها في الله لومة لائم.

طرفًا من أقواله وحِكَمه المأثورة

ورد عن الإمام مالك كثيرٌ من الأقوال المأثورة والحكم المشهورة في العلم والعمل، ومما جاء عنه في العلم وآداب المتعلِّمين قوله: «ليس العلم بكثرة الرواية، وإنما العلم نور يضعه الله في القلوب»، وقوله: «طلب العلم حسَنٌ لمن رزق خيرُه»، وقوله: «العلم نَفورٌ لا يأنس إلا بقلب تقي خاشع»، وقوله: «ينبغي للرجل إذا خُوِّل علمًا وصار رأسًا يشار إليه بالأصابع، أن يضع التراب على رأسه، ويمقت نفسه إذا خلا بها، ولا يفرح بالرياسة، فإنه إذا اضطجع في قبره وتَوَسّد التراب ساءه ذلك كلَّه".

كما ورد عنه أقوالٌ في أحوال القلوب والسلوك وتربية النفس، منها قوله: «من أحب أن تُفتح له فُرجةٌ في قلبه فليكن عمله في السر أفضل منه في العلانية»، وقوله: «الزهد في الدنيا: طيب المكسب وقِصَر الأمل"، وقوله: «نقاء الثوب وحسن الهمة وإظهار المروءة: جزء من بضع وأربعين جزءً من النبوة»، وقوله: «إن كان بغيك منها ما يكفيك، فأقَلُّ عيشها يُغنيك، وما قل وكفى خير مما كثر وألهى»، وقوله لخالد بن حميد: «عليك بمجالسة من يزيد في علمك قوله، ويدعوك إلى الآخرة فعله، وإياك ومجالسة من يعلِّلُك قوله، ويعيبك دينُه، ويدعوك إلى الدنيا فعلُه"، وكان الإمام مالك يَكره كثرةَ الكلام ويعيبه، ويقول: «لا يوجد إلا في النساء والضعفاء".. ولينظر في ذلك وللمزيد: ترجمته في (سير أعلام النبلاء) ٨/ ٤٨: ١٣٥ و(البداية والنهاية) ١٠/ ١٨٠ مجلد ٥ و(تهذيب التهذيب) ٥/ ٣٥٠ وما بعدها، وغيرهما.

ثانيًا

عقيدة الإمام مالك في توحيد الله في صفاته وأفعاله

١) سئل – رحمه الله– عن الكلام والتوحيد؛ فقال: «محال أن يُظنَّ بالنبي أنه علَّم أمَّته الاستنجاء، ولم يعلمهم التوحيد، والتوحيد: ما قاله صلى الله عليه وسلم (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله)، فما عُصم به المال والدم، هو: حقيقة التوحيد" كذا في ذم الكلام للهروي.

٢) وأخرج الدارقطني في الصفات ص٧٥ والآجري في الشريعة ص٣١٤ واللالكائي في شرح أصول السنة ١/ ٤١٩ والبيهقي في الاعتقاد ص١١٨ وابن عبد البر في التمهيد ٧/ ١٤٩ والانتقاء ص٧٤عن الوليد بن مسلم قال: «سألت مالكًا والثوري والأوزاعي والليث بن سعد عن الأخبار في الصفات، فقالوا: (أمروها كما جاءت بلا كيف)»، وهذا منهم إجماع .. فـ(مالك) في وقته إمام أهل المدينة، و(الثوري) إمام الكوفة، و(الأوزاعي) إمام أهل دمشق، و(الليث) إمام أهل مصر، وهم من كبار أتباع التابعين، وقد حكى الإجماع من بعدهم (محمد بن الحسن) فقيه العراق على نحو ما مرَّ بنا، عليهم جميعًا من الله سحائب الرحمة والرضوان.

وفي تفسير عباراتهم يقول صاحب (الحموية): "فقولهم رضي الله عنهم: (أمروها كما جاءت) رَدٌّ على المعطلة، وقولهم: (بلا كيف) ردٌّ على الممثلة" .. وقال صاحب: (اجتماع الجيوش): "ومراد السلف بقولهم: (بلا كيف) هو نفي للتأويل، فإنه التكييف الذي يزعمه أهل التأويل، فإنهم هم الذين يثبتون كيفية تخالف الحقيقة، فيقعون في ثلاثة محاذير: نفي الحقيقة، إثبات التكييف بالتأويل، وتعطيل الرب تعالى عن صفته التي أثبتها لنفسه، وأما أهل الإثبات: فليس أحد منهم يكيف ما أثبته الله تعالى لنفسه"إ.هـ.

٣) وقال ابن عبد البر في التمهيد ٧/ ١٥٤ والانتقاء ص٧٣: «سُئل مالك أَيُرى اللهُ يوم القيامة؟ فقال: نعم يقول عز وجل: {وُجُوه يوْمَئذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَى ربِّها نَاظِرَةٌ} [القيامة: ٢٢]، وقال لقوم آخرين: {كَلَّا إِنَّهُمْ عنْ ربِّهِمْ يَوْمئِذٍ لَمَحْجوبُونَ} [المطففين: ١٥]».. وفي رواية للالكائي في شرح أصول السنة ١/ ٣٨٦، ٤١٨ بسنده عن أشهب بن عبد العزيز صاحب مالك وفيها قوله: قال رجل لمالك: هل يرى المؤمنون ربهم يوم القيامة؟، قال مالك: "لو لم ير المؤمنون ربهم لم يعيِّر الله الكفار بالحجاب؛ فقال: .. وذكر الآية، وحدّث أبو موسى الأنصاري بمثله، وزاد فيه فقال لمالك: إن قوماً يزعمون أن الله لا يُرى، قال مالك: "السّيف السيف".

فما يقول الأشعرية في مثل هذا؛ وهم في حكم من ينكرون رؤية الله تعالى يوم القيامة، حيث يهرفون بأن الرؤية حاصلة؛ لكن من غير جهة، الأمر الذي أضحك عليهم؛ حتى المعتزلة؟!.

٤) وأورد القاضي عياض في (ترتيب المدارك) ١/ ١٨٩ عن ابن نافع وأشهب المصري(١)، قالا: "{وُجُوه يوْمَئذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَى ربِّها نَاظِرَةٌ} ينظرون إلى الله؟ قال: نعم بأعينهم هاتين؛ فقلت له: فإن قومًا يقولون لا ينظر إلى الله، وأن {ناظرة} بمعنى: (منتظرة إلى الثواب)، قال: (كذبوا بل يُنظر إلى الله، أما سمعت قول موسى عليه السلام: {رَبِّ أَرِنِي أَنْظُر إِلَيْكَ} [الأعراف: ١٤٣]، أفَتَرى موسى سأل ربه محالًا؟ فقال الله: {لَنْ تَرَانِي}، أي: (في الدنيا) لأنها دار فناء، ولا يُنْظَرُ ما يبقى بما يفنى، فإذا صاروا إلى دار البقاء، نظروا بما يَبقى إلى ما يبقى"، وفيه الرد الفاحم والدليل العقلي القاطع – ناهيك عن النقلي الدامغ – على الأشعرية في عدم إثباتهم رؤية الله على الحقيقة، ذاهبين إلى أنها: رؤية لا من جهة، وأنها لا تعدو أن تكون مزيد انكشاف ومعرفة.

٥) وأخرج أبو نعيم في (الحلية ٦/ ٣٢٥، ٣٢٦) والذهبي (في العلو ص١٠٤)(٢) وصححه من غير ما طريق عن جعفر بن عبد الله وغيره: «كنا عند مالك فجاءه رجل فقال: يا أبا عبد الله، {الرحمن على العرش استوى}، كيف استوى؟ .. فما وَجَدَ مالك – أي:غضب – من شيء ما وَجَدَ من مسألته، فنظر إلى الأرض وجعل ينكت بعود في يده حتى علاه الرحضاء – أي: العرق – وأطرق القوم، ثم رفع رأسه ورمى بالعود وقال: (الكيف غير معقول، والاستواء منه غير مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة وأظنك صاحب بدعة، وأمر به فأُخرج».

٦) وفي رواية لابن وهب أخرجها البيهقي في الأسماء والصفات ص٥٦١ والذهبي في (العلو) ص١٠٣ وهي بمختصره للألباني ص١٤١: ".. وأخذته الرحضاء، ثم رفع رأسه فقال: (استوى كما وصف نفسه، ولا يقال: كيف؟، وكيف عنه مرفوع، وأنت صاحب بدعة .. أخرجوه)".. وعلى ذلك علق الذهبي يقول:

"هذا ثابت عن مالك، وتقدم نحوه عن (ربيعة) شيخ مالك، وهو قول أهل السنة قاطبة: أن كيفية الاستواء لا نعقلها بل نجهلها، وأن استواءه معلوم كما أخبر في كتابه، وأنه كما يليق به، لا نعمق ولا نتحذلق، ولا نخوض في لوازم ذلك نفيًا ولا إثباتًا، بل نسكت ونقف كما وقف السلف، ونعلم أنه لو كان له تأويل لبادر إلى بيانه: الصحابة والتابعون، ولما وسعهم إقراره وإمراره والسكوت عنه، ونعلم يقينًا مع ذلك أن الله لا مثل له في صفاته ولا في استوائه ولا في نزوله، سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا"إ.هـ.

٧) وفي أخرى بلفظ: "استواؤه معقول وكيفيته مجهولة، وسؤالك عن هذا بدعة، وأراك رجل سوء"، وعليها علق ابن القيم في اجتماع الجيوش ص٤٨ بقوله: وعلى "ذلك: أئمة أصحاب مالك من بعده، قال يحيى بن إبراهيم في كتابه (سير الفقهاء): إنهم كانوا يكرهون قول الرجل: (والله حيث كان)، أو (أن الله بكل مكان)، قال أصبغ: (وهو مستو على عرشه، وبكل مكان علمه وإحاطته)، وأصبغ من أجل أصحاب مالك وأفقههم"إ.هـ

٨) وأخرج أبو نعيم في (الحلية ٣٢٥/٦) والقاضي عياض في (ترتيب المدارك ١/ ١٩١) عن يحيى بن الربيع قال: «كنت عند مالك بن أنس ودخل عليه رجل فقال يا أبا عبد الله، ما تقول فيمن يقول: (القرآن مخلوق؟)، فقال مالك: (زنديق؛ فاقتلوه) (٣)، فقال: يا أبا عبد الله إنما أحكي كلامًا سمعته، فقال: (لم أسمعه من أحد إنما سمعته منك)، وعظّم هذا القول»(٤) .

---

(١) هو أشهب بن عبد العزيز داود القيسي أبو عمر المصري قال عنه ابن حجر: «ثقة ففيه مات سنة ٢٠٤هـ»، تقريب التهذيب (٨٠/١)، وانظر ترجمته في تهذيب التهذيب (٣٥٩/١)

(٢) وأخرجه كذلك: اللالكائي في (شرح أصول السنة) ١/ ٣٢٨ والصابوني في (عقيدة السلف أصحاب الحديث) ص١٨، والبيهقي في (الأسماء والصفات) ص٥٦١ وابن عبد البر في (التمهيد) ٧/ ١٥١ وابن قدامة في (العلو) ص٨١ .

(٣) الزنديق: كلمة معربة عن الفارسية استعملها المسلمون أولًا في الدلالة على القائلين بالأصلين النور والظلمة على مذهب المانوية وغيرهم ثم اتسع معناها عندهم فشمل الدهريين والملحدين وسائر أصحاب المعتقدات الضالة بل أطلق على المتشككين وكل متحرر عن أحكام الدين فكرًا وعملًا.. انظر الموسوعة المُيسرة (١/ ٩٢٩) وتاريخ الإلحاد لعبد الرحمن بدوي ص١٤ - ٣٢.

(٤) ورواه اللالكائي في (شرح أصول اعتقاد أهل السُّنة الجماعة ٢٢٥/١) بسنده – تحت عنوان: أقاويل جماعة من اتباع التابعين من أهل الحرمين ومصر والشام والعراق وخراسان – من طريق يحيى بن خلف المقرئ، غير أنه زاد: "فقدمت مصر فلقيت الليث بن سعد وحكي له

٩) وأخرج ابن عبد البر عن عبد الله بن نافع قال: «كان مالك بن أنس يقول: (من قال القرآن مخلوق يوجع ضربًا ويحبس حتى يتوب)» كذا في الانتقاء ص٧١، والسنة لعبد الله بن أحمد ص٥.. وقد أخرجه الحافظ الذهبي في (العلو) ص١٠٤ عن ميمون بن يحيى البكري، بلفظ: "من قال: (القرآن مخلوق) يستتاب، فإن تاب وإلا ضربت عنقه".

وفي تمام ذلك أورد له الذهبي بنفس المصدر قوله: "القرآن كلام الله، وكلام الله منه، وليس من الله شيء مخلوق".. فما بال الأشعرية يقولون: إنه خُلق في اللوح المحفوظ، ثم أخذه جبريل فتلقاه عنه النبي عليهما السلام، فهو عبارةٌ وحكايةٌ عنه؟، كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبًا.

١٠) كما أخرج أبو داود في (مسائل الإمام أحمد ص٢٦٣)، وعبد الله بن أحمد في (السُّنَّة ص٥)(١) عن عبد الله بن نافع قال: «قال مالك: الله في السماء وعلمه في كل مكان، لا يخلو منه شيء».

١١) قال شيخ المالكية ابن أبي زيد القيرواني، والملقب بـ(مالك الصغير) في رسالته المشهورة في مذهب الإمام مالك: "فصل فيما اجتمعت الأئمة عليه من أمور الديانة، ومن السنن التي خلافها بدعة وضلالة:

أن الله كلم موسى بذاته وأسمعه كلامه، لا كلامًا قام في غيره .. وأن يديه مبسوطتان، والأرض جميعًا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه، وأن يديه غير نعمته في ذلك وفي قوله: {ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي} [ص: ٧٥]، وأنه يجيء يوم القيامة بعد أن لم يكن جائيًا والملك صَفا صفًا لعرض الأمم وحسابها .. وأنه يرضى ويحب التوابين، ويسخط على من كفر به ويغضب، وأنه فوق سماواته على عرشه دون أرضه، وأنه في كل مكان بعلمه وأن له كرسيًّا كما قال: (وسع كرسيه السماوات والأرض) [البقرة:٢٥٥]، وكما جاءت به الأحاديث أن الله يضع كرسيه يوم القيامة لفصل القضاء، وقال مجاهد: (كانوا يقولون: ما السماوات والأرض في الكرسي إلا كحلقة في فلاة)" .. إلى أن قال في آخرها: "كل هذا قول مالك، فمنه منصوص من قوله ومنه معلوم من مذهبه".

وبما سبق يعلم أن الإمام مالكًا يثبت كل ما تعطله الأشعرية – وبخاصة ممن يدَّعون أنهم على مذهبه – وتنفيه عن الله من: أن القرآن بلفظه هو كلام الله، ومن رؤية، وفوقية، واستواء، ومجيء، وكرسي، ويد، وقبضة، إلى غير ذلك من سائر صفاته تعالى وأفعاله، وأن يثبتها على نحو يليق بجلاله، وبلا تجسيم ولا تشبيه ولا تكييف ولا تفويض للمعنى، وعلى كلِّ من ينتسب لـ(مالك) إذًا إن كان صادقًا في اتباع مالك، أن يتعصب ويتبعه في معتقده على نحو ما يتعصب ويتبعه في مذهبه الفقهي، وألّا يتبع أصحاب الخصومات في الدين من المتكلمة والأشعرية.

****

الكلام الذي كان عند مالك فقال: (كافر)، فلقيت ابن لهيعة فقلت له ما قلت لليث وحكيتُ له الكلام فقال: (كافر) .. وزاد عباس الأزهر – وهو من روى عنه يحيى بن خلف هذا الخبر–: فأتيت مكة فلقيت سفيان بن عيينة فحكيتُ له كلام الرجل فقال: (كافر)، ثم قدمت الكوفة فلقيتُ أبا بكر بن عياش فقلت له: ما تقول فيمن يقول: القرآن مخلوق؟ وحكيتُ له كلام الرجل، فقال: (كافر، ومن لم يقل إنه كافر فهو كافر)، فلقيت علي بن عاصم وهشيم، فحكيت لهما كلام الرجل: فقالا: (كافر)، فلقيتُ عبد الله بن إدريس ووكيعاً – وسمى جماعة – فقالوا: (كافر)، فلقيت ابن المبارك – وسمى غيره – فحكيتُ لهم الكلام، فقالوا كلهم: (كافر).

(١) والآجري في (الشريعة) ص٢٧٨ وابن قدامة في (العلو) ص٧٧ وابن عبد البر في (التمهيد ١٣٨/٧) و(الانتقاء ص٧١) وابن القيم في (اجتماع الجيوش) ص٤٧ وغيرهم.

المبحث الثاني
معتقد الإمام مالك في: (النهي عن الخصومات في الدين .. وسائر أمور الاعتقاد)

١٢) فقد «كان – رحمه الله – يقول: (الكلام في الدين أكرهه، ولم يزل أهل بلدنا يكرهونه وينهون عنه، نحو الكلام في رأى جهم والقدر وكل ما أشبه ذلك، ولا أُحب الكلام إلا فيما تحته عمل، فأما الكلام في دين الله وفي الله عز وجل، فالسكوت أحب إليَّ لأني رأيت أهل بلدنا ينهون عن الكلام في الدين إلا فيما تحته عمل)» .. قال: "أهل الأهواء هم اهل الكلام، فكل متكلم ه من أهل الأهواء والبدع أشعريًّا كان او غير أشعري، ولا تقبل له شهادة في الإسلام أبدًا، ويُهجر ويؤدب على بدعته، فإن تمادى عليها استُتيب منها" كذا ذكره ابن عبد البر في (جامع بيان العلم وفضله) ص٣٦٧، ٣٦٩.

١٣) كما نقل أبو نعيم في الحلية ٦/ ٣٢٥ من طريق عبد الله بن نافع، قوله: «لو أن رجلًا ركب الكبائر كلها بعد ألا يشرك بالله؛ ثم تخلى من هذه الأهواء والبدع – وذكر كلامًا – دخل الجنة».

١٤) وذكر الهروي في (ذم الكلام) من طريق إسحاق بن عيسى(١)، قوله: «من طلب الدين بالكلام تزندق، ومن طلب المال بالكيمياء أفلس، ومن طلب غريب الحديث كذب».

١٥) وأخرج الخطيب في (شرف أصحاب الحديث) ص٥، عن إسحاق بن عيسى قال: «سمعت مالك يعيب الجدال في الدين ويقول: كلما جاءنا رجل أجدل من رجل، أرادنا أن نرد ما جاء به جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم»، وفي لفظ لابن عبد البر في الجامع والهروي في ذم الكلام٥/ ٩٤/ ١: "تركنا ما نزل به جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم لجدله".

١٦) وأخرج الهروي في (ذم الكلام) عن عبد الرحمن بن مهدي قال: «دخلت على مالك وعنده رجل يسأله فقال: (لعلك من أصحاب عمرو بن عبيد، لعن الله عمرو بن عبيد فإنه ابتدع هذه البدعة من الكلام، ولو كان الكلام علمًا لتكلم فيه الصحابة والتابعون كما تكلموا في الأحكام والشرائع)».

١٧) كما أخرج بنفس المصدر عن أشهب بن عبد العزيز قال: «سمعت مالكًا يقول – يعني: في التعريف بأهل الكلام –: (إياكم والبدع)، قيل يا أبا عبد الله، وما البدع؟ قال: (أهل البدع الذين يتكلمون في أسماء الله وصفاته وكلامه وعلمه وقدرته، ولا يسكتون عمّا سكت عنه الصحابة والتابعون لهم بإحسان)».

١٨) وفي الانتقاء لابن عبد البر ص٧٤ أن مالكاً كان يتمثل في ذلك قول الشاعر:

وخيرُ أمور الدين ما كان سنةً * وشرُّ الأمور المحدثات البدائعُ

١٩) وورد عنه بنفس المصدر ص٧٠ قوله في سماع ابن القاسم: "ما آية في كتاب الله أشد على اهل الأهواء من هذه الآية: {يوم تبيض وجوه وتسود وجوه} يقول: {فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون} [آل عمران: ١٠٦]"، يقول: "فأي كلام أبين من هذا؟ يتأولها على أهل الأهواء".

٢٠) وأخرج أبو نعيم في الحلية ٦/ ٣٢٤ عن الشافعي قال: «كان مالك بن أنس إذا جاءه بعض أهل الأهواء قال: أما إني على بينة من ربي وديني، وأما أنت فشاكٌّ فاذهب إلى شاكٍّ مثلك فخاصمه».

٢١) وروى ابن عبد البر في جامع البيان ص ٣٦٩ عن محمد بن أحمد بن خويز منداد المصري المالكي قال في كتاب الإجارات من كتابه الخلاف: «قال مالك: (لا تجوز الإجارات في شيء من كتب الأهواء والبدع والتنجيم)، وذكر كتبًا ثم قال: (وكتب أهل الأهواء والبدع عند أصحابنا؛ هي كتب أصحاب الكلام من المعتزلة وغيرهم، وتَفْسُخُ الإجارةُ في ذلك)».

٢٢) وعنه كما في السِّير ٨/ ١٠٦ قوله: "الجدال في الدين يُنشئ المراء، ويَذهب بنور العلم، ويقسِّ القلب، ويورث الضِّغَن".

---

(١) هو إسحاق بن عيسى بن نجيح البغدادي قال عنه ابن حجر: «صدوق مات سنة ٢١٤هـ»، تقريب التهذيب (١/ ٦٠) وتنظر ترجمته في تهذيب التهذيب (١/ ٢٤٥) .

قوله في الإيمان ودحض حجج المرجئة:

٢٣) أخرج ابن عبد البر في الانتقاء ص٧١ عن عبد الرزاق بن همام قال: "سمعت ابن جريج(١) وسفيان الثوري ومعمر بن راشد وسفيان بن عيينة ومالك بن أنس يقولون: الإيمان قول وعمل يزيد وينقص".

٢٤) وأخرج أبو نعيم في الحلية ٦/ ٣٢٧ عن عبد الله بن نافع قال: "كان مالك بن أنس يقول: (الإيمان قول وعمل)".

٢٥) وأخرج ابن عبد البر في الانتقاء ص٧١ عن أشهب بن عبد العزيز قال: "قال مالك: أقام الناس يصلون نحو بيت المقدس ستة عشر شهرًا، ثم أمروا بالبيت الحرام فقال الله تعالي: {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ} [البقرة: ١٤٣] أي: صلاتكم إلى بيت المقدس، قال مالك: (وإني لأذكر بهذه قول المرجئة: إن الصلاة ليست من الإيمان)"، وينظر في ذلك أيضًا (شرح أصول السنة) للالكائي١/ ٧١٦، ٢/ ٨١٤، ٨١٥.

هذا، وبنحو ما نقلناه عن الحنفية عن الخوارج والقدرية وسائر مخالفي السنة، تكلم مالكٌ إمام دار الهجرة:

٢٦) فذكر في معتقده عن الحرورية أنهم "يُقتلون إذا لم يتوبوا، إن خرجوا على إمام عدل وهو يريدون قتاله ويَدعُون إلى ما هم عليه"، و"أن دماءهم موضوعة عنهم وأما أموالهم فتؤخذ لأنهم إنما استهلكوها على التأويل وعلى دينٍ يرون أنه صواب، وأنه لا يصلى على موتاهم ولا تُتّبع جنائزهم ولا يُعاد مرضاهم، فإذا قَتلوا فذلك أحرى ألا يُصلى عليهم"ـ كذا في المدونة الكبرى للإمام مالك.

٢٧) وتحت عنوان: (ما أجمعت عليه الأمة من أمور الديانة من السنن التي خلافها بدعة وضلالة) نقل بن أبي زيد القيرواني المعروف بـ (مالكٍ الصغير) – في أول رسالته المشهورة في مذهب مالك؛ وهي بنصها في اجتماع الجيوش ص٥١ وفي جمهرة عقائد أئمة السلف ص٣٧٤ والجامع الفريد ص١١٧ وما بعدهما – عن إمام دار الهجرة قوله:

"لا نُصلي خلف المبتدع منهم – يعني: ولاة الأمر؛ وغيرهم من باب أولى – إلا أن نخافه فنصلي، واختُلف في الإعادة، ولا بأس بقتال من دافعك من الخوارج واللصوص من المسلمين وأهل الذمة عن نفسك ومالك، والتسليمُ للسنن لا تعارَض برأي ولا تُدافَع بقياس، وما تأوله منها السلف الصالح – أي: فسروه – تأوّلناه، وما عملوا به عملناه، وما تركوه تركناه، ويسعنا أن نمسك عما أمسكوا ونتَّبعهم فيما بينوا، ونقتدي بهم فيما استنبطوه ورأوه في الحوادث، ولا نخرج عن جماعتهم فيما اختلفوا فيه وفي تأويله، وكل ما قدمنا ذكره هو قول أهل السنة وأئمة الناس في الفقه والحديث، وكله قول مالك، فمنه منصوص من قوله، ومنه معلوم من مذهبه".

٢٨) بل أفتى مالك بعدم قبول شهادة من كان على بدعةِ الخوارج وغيرهم، ولا توليتهم إمامة المسلمين في الصلاة ولا في الثغور، ولا حتى مكالمتهم، وذلك قوله فيما نقله عنه القاضي عياض في ترتيب المدارك ١/ ١٩٣، ١٩٤: "لا تجوز شهادة القدري الذي يدعو إلى بدعته، ولا الخارجي والرافضي"، وقال عياض بنفس المصدر: "سُئل مالكٌ عن أهل القدر أنَكُفُّ عن كلامهم؟، قال: (نعم؛ إذا كان عارفًا بما هو عليه)، وفي رواية أخرى قال: (لا يصلى خلفهم ولا يُقبل عنهم الحديث، وإن وافيتموهم في ثغر فأخرجوهم منه)"إ.هـ.. يعني: لكونهم وأمثالهم من أهل البدع خونة؛ ولا يبعد أن يعملوا كجواسيس وعيون لصالح أعداء المسلمين، وقد رأينا بأعيننا من ذلك الكثير؛ نسأل الله العافية.

---

(١) هو عبد الله الملك بن عبد العزيز بن جريج الرومي الأموي مولاهم المكي، قال عنه الذهبي: «الإمام الحافظ فقيه الحرم أبو الوليد» مات سنة ١٥٠هـ، تذكرة الحفاظ (١/ ١٦٩)، وانظر ترجمته في تاريخ بغداد (١٠/ ٤٠٠) .

كذا هو حكم الله فيمن يدين بغير دين أهل السنة والجماعة من الشيعة والتكفيريين وخوارج العصر.. وإنما نصارحهم بهذا خوفًا عليهم، وليدركوا خطورة ما هم عليه، وليرجعوا عن غيِّهم إلى منهاج النبوة ونهج الفرقة الناجية.

٢٩) ومما قاله القاضي عياض بحق الإمامة العظمى (الخلافة) – كما نقل عنه ذلك المناوي في فيض القدير ٣/ ٢٤٧ وابن حجر في الفتح ١٣/ ١٠٦ –: إن "اشتراط كون الإمام قرشيًا: مذهب العلماء كافة، وقد عدُّوها من مسائل الإجماع، ولم ينقل عن أحد من السلف فيها خلاف، وكذلك مَن بعدهم في جميع الأعصار، قال: ولا اعتداد بقول الخوارج ومن وافقهم من المعتزلة"، ويفاد منه: بطلان انعقادها لكل من يدعيَها في زماننا؛ وبخاصة من يدين منهم بمذهب الخوارج من كافة جماعات التكفير وعلى رأسهم جماعة الإخوان.

وبنحوٍ من ذلك تكلم عن القدرية

٣٠) قال القاضي عياض: "سُئل الإمام مالك عن القدرية: مَن هم؟ قال :من قال: ما خلق المعاصي؟(١) .. وسُئل كذلك عن القدرية، فقال: (هم الذين يقولون: إن الاستطاعة إليهم إن شاءوا أطاعوا وإن شاءوا عصوا)"(٢)

٣١) وأخرج ابن أبي عاصم عن سعيد بن عبد الجبار قال» :سمعت مالك بن أنس يقول: رأيي فيهم أن يُستتابوا فإن تابوا وإلا قُتلوا – يعني القدرية)(٣).

٣٢) وقال ابن عبد البر كما في الانتقاء ص٧٠: "قال مالك: (ما رأيت أحدًا من أهل القدر إلا أهل سخافة وطيش وخفة)"

٣٣) وأخرج ابن أبي عاصم عن مروان بن محمد الطاطري قال: (سمعت مالك بن أنس يسأل عن تزويج القدري؟ فقرأ: {وَلَعَبْد مؤمنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ} [البقرة: ٢٢١)(٤).

قوله في الصحابة والرد على الرافضة

٣٤) أخرج أبو نعيم في الحلية ٦/ ٣٢٧ عن عبد الله العنبري(٥)، قال: «قال مالك بن أنس: من تنقص أحدًا من أصحاب رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ، أو كان في قلبه عليهم غِلٌّ، فليس له حق في فيء المسلمين، ثم تلا قوله تعالى: {والَّذين جاءُوا منْ بعدهمْ يقولُون ربَّنا اغفرْ لَنا ولإِخْوَاننا الَّذِينَ سبَقُونَا بالْإِيمَانِ وَلَا تجعَلْ في قُلُوبِنَا غِلًّا} [الحشر: ١٠]، فمَن تنقصهم أو كان في قلبه عليهم غل، فليس له في الفيء حق)".

٣٥) وأخرج أبو نعيم في الحلية ٦/ ٣٢٧ عن رجل من ولد الزبير(٦) قال: «كنا عند مالك فذكروا رجلًا يتنقص أصحاب رسول الله، فقرأ مالك هذه الآية: {مُحمَّدٌ رسول اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ} - حتى بلغ – {يعْجِبُ الزُّرَّاعَ ليغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ} [الفتح: ٢٩]، فقال مالك: (من أصبح في قلبه غيظ على أحد من أصحاب رسول الله، فقد أصابته الآية)".

---

(١) وهم الذين ينفون قدر الله تعالى؛ ويقولون: (إن الله لم يخلق أفعال العباد وأن العبد هو خالق أفعال نفسه)؛ ويقولون: (إن الأمر أُنف وأن الله لا يعلم الشيء إلا بعد وقوعه) أعاذنا الله من الضلال والمضلين

(٢) ينظر ترتيب المدارك.. ورواه اللالكائي بسنده في شرح أصول السنة بلفظ: (الذي يقول: إن الله لم يعلم ما العباد عاملون؛ حتى يعملوا)، وفيه أنهم يُستتابون فإن تابوا وإلا قُتلوا، وقوله عن تزويج القدري: {ولعبد مؤمن خير من مشرك} [البقرة: ٢٢١] ينظر ١/ ٦١٨، ٦٢٣، ٦٢٦، ٦٤٤.

(٣) السُّنَّة لابن أبي عاصم (١/ ٨٧، ٨٨)، وأخرجه أيضًا أبو نعيم في الحلية (٦/ ٣٢٦) .

(٤) السُّنَّة لابن أبي عاصم (١/ ٨٨) وينظر الحلية (٦/ ٣٢٦).

(٥) هو عبد الله بن سوار بن عبد الله العنبري البصري القاضي، قال عنه ابن حجر: «ثقة مات سنة ٢٢٨هـ» وقيل غير ذلك .. ينظر تقريب التهذيب (١/ ٤٢١)، وتهذيب التهذيب (٥/ ٢٤٨) .

(٦) الذي تتلمذ على مالك وسمع منه من ولد الزبير بن العوام هو عبد الله بن نافع بن ثابت بن عبد الله بن الزبير بن العوام، وقد تقدم التعريف به، ومصعب بن عبد الله بن مصعب، وسيأتي التعريف به.

٣٦) وأورد القاضي عياض في ترتيب المدارك ١/ ١٩١ عن أشهب بن عبد العزيز قال: "كنا عند مالك إذ وقف عليه رجل من العلويين – وكانوا يُقبلون على مجلسه – فناداه: يا أبا عبد الله فأشرف له مالك – ولم يكن إذا ناداه أحد يجيبه أكثر من أن يشرف برأسه – فقال له العلوي: (إني أريد أن أجعلك حجة فيما بيني وبين الله، إذا قدمتُ عليه فسألني، قلتُ له: مالك قال لي)، فقال له مالك: (قُل)، فقال العلوي: (مَن خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم؟، قال: (أبو بكر)، قال العلوي: (ثم مَن؟)، قال مالك: (ثم عمر)، قال العلوي: (ثم مَن؟) قال: (الخليفة المقتول ظلمًا، عثمان)، قال العلوي: (والله لا أجالسك أبدًا)، قال له مالك: (فالخيار إليك)".

وبعد: فهذه بعض عبارات وأقوال ومواقف لإمام دار الهجرة، حَرِيَّةٌ بالاعتبار وبأن تحتذى، وتُنظرُ وللمزيد منها: (سير أعلام النبلاء) ٨/ ١٠٠ وما بعدها، و(ترتيب المدارك ١/ ٨٩: ٣٧٣) .. لكن يبقى السؤال: أين الأشعرية والمالكية منهم بالذات من كل هذا؟ .

المبحث الثالث
جولة حول مقولات أبرز مشايخ مالك وتلامذته في أمور الاعتقاد

=وعلى ما يبدو، فقد أخذ الإمام مالك مقولته الشهيرة في الاستواء عن شيخه **ربيعة** بن عبد الرحمن المعروف بربيعة الرأي، فقد أورد له الذهبي وغيره عنه قوله – وقد سأله رجل عن الاستواء أيضًا؛ فقال– : "الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة" .. وفي رواية لابن عيينة بلفظ: "الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول، ومن الله الرسالة وعلى الرسول البلاغ وعلينا التصديق"(١).

وكلها عبارات تَصُبّ في إثبات الصفة ومعرفتها ووجوب الإيمان بها دون ما تأويلها ولا البحث عن كيفيتها، وتنبئ بأن عقيدة مالك وشيوخه وكذا تلامذته عقيدة واحدة لا يحيد عنها إلا: ضالٌّ ومعاندٌ وعلى معتقد الجهمية وأهل الاعتزال، ونافٍ لعلو الله تعالى وفوقيته على خلقه.. ولا غرو

= فهذا **نافع الفقيه مولى ابن عمر وأحد شيوخ مالك**، ت١١٧ .. أحد أئمة التابعين بالمدينة وهو ثبت فقيه، وإمام في العلم متفق عليه صحيح الرواية لا يُعرف له خطأ في جميع ما رواه(٢) .. يَحكي عن ابن عمر أنه "لما قُبض رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال أبو بكر: (أيها الناس إن كان محمد إلهكم الذي تعبدونه، فإن إلهكم قد مات، وإن كان إلهكم الذي في السماء، فإن إلهكم لم يمت، ثم تلا من سورة آل عمران ١٤٤: {وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ..} حتى ختم الآية"(٣) .

= **وذا أيوب السِّختياني(٤)** أحد شيوخ مالك، والمتوفى سنة١٣١ يحكى عنه الحافظ الذهبي في تهذيب التهذيب ١/ ٢٥٢ نقلًا عن أئمة أهل العلم أنه كان ثبتًا ثقة في الحديث لا يُسأل عن مثله، كما كان من عبّاد الناس وخيارهم، وكان سيدَ الفقهاء وسيد شباب أهل البصرة، وأشد الناس اتباعًا للسنة .

كما يحكي عنه في العلو ص٩٩ – وهو بمختصره ص١٣٢ – قوله وقد ذُكر المعتزلة: "إنما مدار القوم على أن يقولوا: (ليس في السماء شيء)"، وقد علق عليه الذهبي بقوله: "هذا إسناد كالشمس وضوحًا، وكالاسطوانة ثبوتًا، عن سيد أهل البصرة وعالمهم".

---

(١) روى هذا الأثر فيمن روى: اللالكائي في (شرح أصول السنة) ١/ ٣٢٨، ٤٤٣ والبيهقي في (الأسماء والصفات) ص٥٦٢ وابن قدامة في العلو ص ٧٦ والذهبي في (العلو) ص ٩٨ وهو بمختصره ١٣٢ .. كما رُوى ذلك عن ربيعة: الخلالُ بإسناد كلهم أئمة ثقات، وابن القيم في اجتماع الجيوش ص٤٤ .

(٢) ينظر في ترجمته ابن حجر في تهذيب التهذيب ٥/ ٦٠٦.

(٣) أورده ابن القيم في اجتماع الجيوش ص ٣٩ من غير ما طريق .

(٤) بفتح السين نسبة إلى عمل السختيان وبيعه، وهو: جلود الضأن .

= وذاك **زيد بن أسلم** أحد شيوخه، ت١٣٦ .. وهو رجل صالح ثقة؛ من أهل الفقه والحديث والتفسير، ينقل عنه مالك فيما رواه عن ابن عجلان قال: "ما هبتُ أحدًا قط هيبتي زيد بن أسلم"(١) .. وها هو يحكي عن ابن عمر أنه – رضي الله عنهما – "مَرَّ براعٍ فقال: هل من جزرة؟، فقال: ليس هاهنا ربها، فقال له ابن عمر: (تقول له: أكلها الذئب)، فرفع الراعي رأسه إلى السماء وقال: (فأين الله؟)، فقال ابن عمر: (أنا والله أحق أن أقول: أين الله؟)، واشترى الراعي والغنم، فأعتقه وأعطاه الغنم"(٢)

=وأولاء؛ أئمة الهدى ومصابيح الدجى .. **الإمام الأوزاعي** أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو عالم أهل الشام في زمانه، وأحد شيوخ مالك وأحد أئمة الدنيا الأربعة والمتوفى سنة ١٥٧ هـ، يروي عنه محمد بن كثير المصيصي قوله – فيما أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات ص٥٦١ والذهبي في العلو ص ١٠٢ وهو بالمختصر ص ١٣٧، وغيرهما –: "كنا والتابعون متوافرون نقول إن الله تعالى ذكرُه فوق عرشه ونؤمن بما وردت السنة به من صفاته" وهذا الأثر يدخل في حكاية مذهبه ومذهب التابعين، وإنما قال الأوزاعي ذلك بعد ظهور جهم المنكر لكون الله عز و جل فوق عرشه والنافي لصفاته ليعرف الناس أن مذهب السلف كان بخلاف قوله .

وكان الأوزاعي قد سئل عن قوله تعالى: {ثُمَّ استَوَى عَلَى الْعَرْش} فقال: "هو على عرشه كما وصف نفسه"، وسأله الوليد بن مسلم عن أحاديث الصفات فقال: "أمروها كما جاءت"، وروي اللالكائي في شرح أصول السنة ١/ ٣٥٣ بسنده عن بقية؛ قال: قال لي الأوزاعي: "ما تقول في قوم يبغضون حديث نبيهم؟!"، قلت: قوم سوء، قال: "ليس من صاحب بدعة تحدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بخلاف بدعته؛ إلا أبغض الحديث"، ومن كلامه رحمه الله قوله بنفس المصدر: "إذا بلغك عن رسول الله حديث فلا تظنن غيره، فإن محمدا صلى الله عليه وسلم كان مبلغاً عن ربه" .. ومن مآثره كذلك ما جاء في قوله: "عليك بآثار من سلف وإن رفضك الناس، وإياك وآراء الرجال وإن زخرفوه لك بالقول"، أخرجه الآجري في (الشريعة) (١٠٢) بسند صحيح.. وكان اللالكائي قد ساق معتقده في أصول السنة ١/ ١٤٧.

= و**سفيان الثوري ت١٦١**، وهو – على حد قول الذهبي في ترجمته له في العلو ١٠٣ – وبمختصره ١٣٩ – "عالم زمانه .. لا نظير له في عصره .. بثَّ كثيرًا من أحاديث الصفات، ومذهبه فيها: (الإقرار والإمرار والكف عن تأويلها)"، فقد نَقَل عنه الوليد بن مسلم قوله فيها: "أمروها كما جاءت" .. كما سُئل عن قوله تعالى: {وهو معكم أينما كنتم}؛ فقال: "علمه"(٣) .

وعن مقولته في القرآن ذكر له الذهبي – فيما صحح نقله عنه في العلو – قوله رحمه الله: "من قال: (القرآن مخلوق) فهو كافر"، وقوله – وقد سأله شعيب بن حرب عن شيء من السنة – : "القرآن كلام الله غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، من قال غير هذا فهو كافر، والإيمان قول عمل، ويزيد وينقص، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، ولا يجوز القول إلا بالعمل، ولا يجوز القول والعمل إلا بالنية، ولا يجوز القول والعمل والنية إلا بموافقة السنة".. إلى أن قال:"يا شعيب: لا ينفعك ما كتبت حتى ترى الصلاة خلف كل بَرٍّ وفاجر، والجهاد ماض إلى يوم القيامة، والصبر تحت لواء السلطان جار أم عدل" .. وذكر فصلًا طويلًا أورده له بنصه اللالكائي في شرح أصول السنة ١/ ١٤٥، ١٤٦، ومحب الدين أبو زيد في (جمهرة عقائد أئمة السلف) ص١٤٧ وما بعدها.

= و**الليث بن سعد** الثقة الثبت، عالم مصر في زمانه وإمام وقته بلا مدافعة ولم يُرَ مثله، وهو أحد شيوخ وأقران مالك، بل قال عنه ابن بكير: "الليث أفقه من مالك ولكن كانت الحظوة لمالك"(٤)، والمتوفى سنة

---

(١) تهذيب التهذيب ٢/ ٢٣١ .
(٢) أورده الذهبي في العلو ص١٠٣ وهو بمختصره ص ١٢٧ .
٣ وهو في (الشريعة) للآجري ص٢٧٨ و(أصول السنة) للالكائي ١/ ٣٣١ و(الأسماء والصفات) للبيهقي ص٥٨٣ والتمهيد ٧/ ١٣٩ و(العلو) لابن قدامة ص٧٦، ٧٨.
(٤) كذا ذكره ابن حجر في تهذيب التهذيب ٤/ ٦١٠ .

١٧٥ .. ترجم له الذهبي في العلو ص١٠٥ – وهو بالمختصر ص١٤٣ – ونقل؛ وكذا اللالكائي في أصول السنة ١/ ٤٤٣، ٧٤٧ عن الوليد بن مسلم قوله: "سألت الأوزاعي والليث ابن سعد ومالكًا والثوري عن هذه الأحاديث التي فيها الرؤية وغير ذلك؟ فقالوا: (امضها بلا كيف)" .

ومعلوم بالضرورة أن مرادهم بقولهم: (أمضوها) – وهي في معني (أمِرُّوها) –: الكيف، وهذا يقتضي إبقاء دلالتها على ما هي عليه، فإنها جاءت ألفاظًا دالةً على معاني، فلو كانت دلالتها منتفية لكان الواجب أن يقال: (أمروا لفظها مع اعتقاد أن المفهوم منها غير مراد)، وحينئذ تكون قد أُمِرَّت كما جاءت ولا يقال حينئذ (بلا كيف)، إذ نفي الكيف عما ليس بثابت لغو من القول.. ثم إن قولَهم: (أمرُّوها) ردٌّ على المعطلة، وقولهم: (بلا كيف) ردٌّ على الممثلة وهو نفيٌ للتأويل، فإنه التكييف الذي يزعمه أهل التأويل، فإنهم هم الذين يثبتون كيفية تخالف الحقيقة فيقعون في: نفي الحقيقة، وإثبات التكييف بالتأويل، وتعطيل الرب تعالى عن صفته التي أثبتها لنفسه .. وأما أهل الإثبات فليس أحد منهم يكيف ما أثبته الله تعالى لنفسه .

ومن طريف ما حكاه القاضي عياض في (ترتيب المدارك) عن لقاء الإمامين أبي حنيفة ومالك وثناء كلٍّ على الآخر: قول الليث بن سعد: "لقيت مالكًا في المدينة، فقلت له: (إني أراك تمسح العرق عن جبينك)، قال: (عَرَقْتُ مع أبي حنيفة، إنه لفقيه يا مصري)، يقول الليث: (ثم لقيت أبا حنيفة وقلت له: ما أحسن قبول هذا الرجل – يقصد: مالكًا – منك!)، فقال أبو حنيفة: (ما رأيت أسرع منه بجواب صادق ونقد تام!)".

هذا رأي إمام العراق أبي حنيفة في إمام دار الهجرة مالك .. وذلك رأي إمام الحجاز مالك في شيخ الكوفة وفقيه العراق أبي حنيفة، كلاهما يعلم مكان صاحبه في الفقه والنظر، وينصفه في آرائه وفكره، ويضعه في مكانه في العلم

=والسؤال الذي يطرح نفسه: هل بعد قول خيرة الصحابة وتابعيهم؛ وكذا مالك وشيوخه وتلامذته من بعده المتمذهبين بمذهبه، وكذا بقية فقهاء المذاهب وشيوخهم وتلامذتهم، بإثبات علوه تعالى واستوائه على عرشه فوق سماواته .. من قول!؛ حتى يخالفه معاشر الأشعرية؛ بل ويصروا على مخالفته؟ وماذا بعد الحق والقول بخلاف قولهم والزيغ عن طريقهم والخروج عن معتقدهم، إلا الضلال المبين؟!.

يقول القاضي الباقلاني أبو بكر محمد بن الطيب الذي – على حد قول الذهبي في العلو ١٧٣ – ليس في المتكلمين الأشعرية أفضل منه مطلقًا، يقول في كتابه (الذب عن أبي الحسن الأشعري) وهو يسوق قول مالك وشيخه الزهري، يقول:

"كذلك قولنا في جميع المروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في صفات الله – إذا صح – من إثبات اليدين والوجه والعينين، ونقول: إنه (يأتي يوم القيامة في ظلل من الغمام)، وأنه (ينزل إلى السماء الدنيا) كما في الحديث، وأنه مستو على عرشه، إلى أن قال:

"وقد بينا دين الأئمة وأهل السنة أن هذه الصفات تمر كما جاءت بغير تكييف، ولا تحديد ولا تجنيس ولا تصوير، كما روي عن الزهري وعن مالك في الاستواء، فمن تجاوز هذا فقد تعدى وابتدع وضل".

وماذا عن تلامذة مالك والمتمذهبين بمذهبه؟

أما عن تلامذة مالك وعمن تمذهبوا بمذهبه بعد وفاته، وصدعهم بالحق وثباتهم على معتقد شيخهم – معتقد أهل السنة والجماعة – فحدث ولا حرج .. وقد كان من أنجبهم:

= الإمام أبو محمد عبد الله **بن أبي زيد القيرواني** المغربي شيخ المالكية في زمانه ت٣٨٦، والملقب بـ(مالك الصغير)(١)، فقد ذكر مجملًا لما عليه الإمام مالك إمام المذهب وأتباعه، وذلك في خطبةِ ومقدمة رسالته المشهورة في مذهب مالك.. حريٌّ أن نبدأ بها ونوردها – ومعها ما ذكره في كتابه: (المفرد في السنة) – بنصهما، نظرًا لأهميتهما وشمولهما لجلِّ قضايا الاعتقاد إن لم يكن لجميعها، وصلاحيتهما لأن

(١) ترجم له الحافظ الذهبي في كتابه العلو ص١٧٢ وهي بمختصره ص٢٥٦ فقال: "وكان ابن أبي زيد من العلماء العاملين بالمغرب، وكان يلقب بـ(مالكٍ الصغير)، وكان غاية في علم الأصول، وقد ذكره الحافظ ابن عساكر في كتاب: (تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الأشعري)".

يُدَرَّسا في معاهد العلم .. حيث يقول رحمه الله في الأولى منهما فيما نقله عنه الذهبي في (العلو ص١٧٢) وابن القيم في (اجتماع الجيوش ص٥١):

{معتقد ابن أبي زيد القيرواني شيخ المالكية والملقب بـ(مالك الصغير) .. نموذجًا}

"باب ما تنطق به الألسنة وتعتقده الأفئدة من واجب أمور الديانات.. ومن ذلك: الإيمان بالقلب والنطق باللسان أن الله إله واحد لا إله غيره، ولا شبيه له ولا نظير له، ولا ولد له ولا والد له، ولا صاحبة له ولا شريك له، ليس لأوَّليته ابتداء ولا لآخريَّته انقضاء، ولا يبلغ كنه صفته الواصفون ولا يحيط بأمره المتفكرون، يَعْتَبِرُ المتفكرون بآياته؛ ولا يتفكرون في ماهية ذاته، ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء، وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤده حفظهما وهو العلي العظيم، وهو العليم الخبير المدبر القدير السميع البصير العلي الكبير، **وإنه فوق عرشه المجيد بذاته** وهو بكل مكان بعلمه".

وكذلك ذكر – ابن أبي زيد القيرواني – مثل هذا في نوادره وغيرها من كتبه، وذكر في كتابه (المفرد في السنة) تقرير العلو واستواء الرب تعالى على عرشه بذاته أتم تقرير، فقال فيما يعدُّ شرحًا لما جاء في بقية مقدمة رسالته المشهورة في مذهب الإمام مالك:

"فصل في بيان ما اجتمعت عليه الأمة من السنن فيما اجتمعت عليه الأمور من أمور الديانة من السنن التي خلافها بدعة وضلالة:

أن الله تعالى له الأسماء الحسنى والصفات العلى لم يزل بجميع صفاته، وهو سبحانه موصوف بأن له علمًا وقدرةً وإرادةً ومشيئةً، أحاط علمًا بجميع ما بدا قبل كونه، وفطر الأشياء بإرادته وبقوله (كن): {إنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون} [يس: ٨٢]، وأن كلامه صفة من صفاته، ليس بمخلوق فيبيد ولا صفة لمخلوق فينفد، وأن الله كلّم موسى عليه السلام بذاته وأسمعه كلامه لا كلامًا قام في غيره، وأنه يسمع ويرى ويقبض ويبسط، وأن يديه مبسوطتان {والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه}، وأن يديه غير نعمته في ذلك وفي قوله سبحانه: {ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي} [ص: ٧٥].

وأنه يجيء يوم القيامة بعد أن لم يكن جائيًا والملك صفًا صفا لعرض الأمم وحسابها وعقابها وثوابها، فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء، وأنه يرضى ويحب التوابين، ويسخط على من كفر به ويغضب فلا يقوم شيء لغضبه، وأنه فوق سمواته على عرشه دون أرضه، وأنه في كل مكان بعلمه، وأن الله سبحانه كرسيًّا كما قال: {وسع كرسيه السموات والأرض} [البقرة: ٢٥٥]، وكما جاءت به الأحاديث: (أن الله سبحانه يضع كرسيه يوم القيامة لفصل القضاء)، قال مجاهد: (كانوا يقولون: ما السموات والأرض في الكرسي إلا كحلقة ملقاة في فلاة من الأرض).

وأن الله سبحانه يراه أولياؤه في المعاد بأبصارهم؛ لا يضاهون في رؤيته كما قال في كتابه: {وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة} [القيامة: ٢٢، ٢٣]، وكما قال صلى الله عليه وسلم في قول الله: {للذين أحسنوا الحسنى وزيادة} [يونس: ٢٦]، هو: (النظر إلى وجهه الكريم)، وأنه يكلم عبادة يوم القيامة ليس بينه وبينهم واسطة ولا ترجمان .

وأن الجنة والنار داران قد خلقتا، أُعدت الجنة للمؤمنين المتقين والنار للكافرين الجاحدين، ولا يفنيان .. والإيمان بالقدر خيره وشره وكل شيء قد قدره ربنا وأحصاه علمه، وأن مقادير الأمور بيده ومصدرها عن قضائه، تفضل على من أطاعه فوفَّقه وحبَّب الإيمان إليه وزيَّنه في قلبه، فيسَّره له وشرح له صدره ونوَّر له قلبه؛ فهداه، ومن يهد الله فما له من مضل، وخذَل مَن عصاه وكَفَر به فأسلمه وحجبه وأضله، {ومن يضلل الله فلن تجد له وليًّا مرشدًا}، وكلٌّ ينتهي إلى سابق علمه لا محيص لأحد عنه.

وأن الإيمان: (قول باللسان؛ وإخلاص بالقلب؛ وعمل بالجوارح)، يزيد ذلك بالطاعة وينقص بالمعصية نقصًا عن حقائق الكمال لا محبطٌ للإيمان، ولا قول إلا بعمل ولا قول ولا عمل إلا بنية ولا قول ولا عمل ولا نية إلا بموافقة السنة .

وأنه لا يَكفر أحد من أهل القبلة بذنب وإن كان كبيرًا، ولا يُحبط الإيمان غيرَ الشرك بالله كما قال سبحانه: {لئن أشركت ليحبطن عملك} [الزمر: ٦٥]، وقال: {إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء} [النساء: ٤٨]، وأن على العباد حفظة يكتبون أعمالهم كما قال تعالى: {وإنَّ عليكم لحافظين كراما كاتبين. يعلمون ما تفعلون} [الانفطار: ١٠، ١١]، وقال: {ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد} [ق: ١٨].

وأن ملك الموت يقبض الأرواح كلها بإذن الله متى شاء؛ كما قال: {قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم} [السجدة: ١١]، وأن الخلق ميِّتون بآجالهم، فأرواح أهل السعادة باقية منعمة إلى يوم القيامة وأرواح أهل الشقاء في سِجِّين معذبة إلى يوم القيامة، وأن الشهداء أحياء عند ربهم يُرزقون، وأن عذاب القبر حق وأن المؤمنين يفتنون في قبورهم ويُضغطون ويُسألون، ويُثبِّت الله منطق من أحب تثبيته، وأنه يُنفخ في الصور فيَصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله، ثم يُنفخ فيه أخرى فإذاهم قيام ينظرون، كما بدأهم يعودون حُفاةً عُراة غُرْلًا، وأن الأجساد التي أطاعت أو عصت هي التي تبعث يوم القيامة لتُجازى، والجلود التي كانت في الدنيا والألسنة والأيدي والأرجل التي تشهد عليهم يوم القيامة على من تشهد عليه: منهم، وتُنصب الموازين لوزن أعمال العباد فأفلح من ثقلت موازينه وخاب وخسر من خفت موازينه، ويُؤتَون صحائفهم فمن أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابًا يسيرًا، ومن أوتي كتابه بشماله فأولئك يصلون سعيرًا .

وأن الصراط جسرٌ مورود يَجُوزُه العباد بقدر أعمالهم فناجون متفاوتون في سرعة النجاة عليه من نار جهنم وقوم أوبقتهم أعمالهم فيها يتساقطون، وأنه يَخرج من النار مَن في قلبه شيء من الإيمان، وأن الشفاعة لأهل الكبائر من المؤمنين، ويَخرج من النار بشفاعة رسول الله قوم من أمته بعد أن صاروا فيها حِمَمًا، يُطرحون في نهر الحياة فينبتون كما تنبت الحبة في حمِيل السّيل".

ومما اجتمعت عليه الأمة من أمور الديانة: "الإيمان بحوض رسول الله تَرِدُه أمتُه، لا يظمأ من شرب منه ويُذاد عنه من غَيَّرَ وبَدَّل.

والإيمان بما جاء من خبر الإسراء بالنبي إلى السموات على ما صحت به الروايات وأنه رأى من آيات ربه الكبرى، وبما ثبت من خروج الدجال ونزول عيسى عليه السلام حكمًا عدلًا؛ يقتل الدجال .. وبالآيات التي بين يدي الساعة من: طلوع الشمس من المغرب وخروج الدابة وغير ذلك مما صحت به الروايات.

ونصدق بما جاءنا عن الله تعالى في كتابه وثبت عن رسول الله وأخباره، ونوجب العمل بمُحكَمِه، ونؤمن ونقرُّ بمشكله ومتشابهه ونكِلُ ما غاب عنا من حقيقة تفسيره إلى الله، والله يعلم تأويل المتشابه من كتابه والراسخون في العلم يقولون آمنا به، ونؤمن بكل ما غاب عنا من حقيقة تفسيره، كلٌّ من عند ربنا .. وأن من المتشابه ما يعلمه الراسخون في العلم ويعلمون مشكله .

وأن أفضل القرون: قرن الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم كما قال صلى الله عليه وسلم، وأن أفضل الأمة بعد نبيها: أبو بكر ثم عمر ثم علي، وأيضًا: عثمان وعلي ونكفُّ عن التفضيل بينهما، رُوي ذلك عن مالك وقال: (ما أدركت أحدًا اقتُدِي به؛ يفضِّل أحدهما على صاحبه) فرأى الكف عنهما .. ثم بقية العشرة ثم أهل بدر من المهاجرين ومن الأنصار ومن جميع الصحابة على قدر الهجرة والسابقة والفضيلة، وكلٌّ من صحبه ولو ساعة أو رآه ولو مرة فهو بذلك أفضل من التابعين، والكف عن ذكر أصحاب رسول الله إلا بخير ما يُذكرون به.

وأنهم أحق أن ننشر محاسنهم ونلتمس لهم أفضل مخارجهم، ونظن بهم أحسن المذاهب، قال صلى الله عليه وسلم: (لا تؤذوني في أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبًا ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه)(١)، وقال: (إذا ذكر أصحابي فأمسكوا)(١) قال أهل العلم: لا يُذكرون إلا بأحسن ذكر .

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٧٣) ومسلم (٢٥٤١) من حديث أبي سعيد الخدري .. والنصيف: لغة في النصف، والمعنى: أن الواحد من غير الصحابة لو أنفق في سبيل الله مثل جبل أحد ذهبًا ما بلغ من الثواب، ثواب من أنفق من الصحابة مدًّا أو نصفه، والمدُّ: مِلْءُ الكفين من الرجل المعتدل .

والسمع والطاعة لأئمة المسلمين وكل من ولي أمر المسلمين عن رضى أو عن غلبة واشتدت وطأته من بَرٍّ أو فاجرٍ؛ فلا يُخرج عليه جارَ أو عدَلَ، ونغزو معه العدو، ونحج معه البيت، ودفع الصدقات اليهم مجزية إذا طلبوها، ونصلي خلفهم الجمعة والعيدين، قاله غير واحد من العلماء، وقال مالك: (لا نصلي خلف المبتدع منهم إلا أن نخافه فنصلي) واختُلف في الإعادة، ولا بأس بقتال من دافعك من الخوارج واللصوص من المسلمين وأهل الذمة عن نفسك ومالك، والتسليم لجماعة المسلمين.

لا تُعَارِض برأي ولا تُدَافِع بقياس، وما تأوله منها السلف الصالح تأوّلناه؛ وما عملوا به عمِلناه؛ وما تركوه تركناه، ويسعنا أن نمسك عما أمسكوا ونتَّبعُهم فيما بيَّنوا، ونقتدي بهم فيما استنبطوه ورأوه في الحوادث، ولا نخرج من جماعتهم فيما اختلفوا فيه وفي تأويله، وكل ما قدَّمنا ذكره فهو قول أهل السنة وأئمة الناس في الفقه والحديث على ما بيناه، وكلُّه قولُ مالك فمنه منصوص من قوله؛ ومنه معلوم من مذهبه، قال مالك:

قال عمر بن عبد العزيز: (سن رسول الله وولاة الأمر من بعده سننًا، الأخذ بها تصديق لكتاب الله واستكمال لطاعته، وقوة على دين الله، ليس لأحد تبديلها ولا تغييرها ولا النظر فيما خالفها، من اهتدى بها هُدى؛ ومن استنصر بها نُصر؛ ومن تركها واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله ما تولى وأصلاه جهنم وساءت مصيرًا)، قال مالك: (وأعجبني عزم عمر رضي الله عنه في ذلك)، وقال في مختصر المدونة: (وأنه تعالى فوق عرشه بذاته فوق سبع سمواته دون أرضه) رضي الله عنه ما كان أصلبه في السنة وأقومه بها"إ.هـ

= وكان الإمام **(أبو بكر محمد بن مَوْهَب)** ت ٤٠٦ قد عكف على (مقدمة رسالة ابن أبي زيد) وتناولها بالشرح والتحليل، وذكر الذهبي في كتابه العلو ص١٩٢ – وهو بمختصره ص٢٨٢ – طرفًا مهمًا من كلام ابن مَوهب، جاء فيه ما نصه:

"أما قوله: (إنه فوق عرشه المجيد بذاته) فمعنى (فوق) و(على) عند جميع العرب واحد؛ وفي الكتاب والسنة تصديق ذلك، وهو قوله {ثُمَّ استَوَى عَلَى الْعَرْشِ} [الأعراف: ٥٤]، وقال: {الرَّحمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} [طه: ٥]، وقال: {يخَافُونَ رَبَّهُمْ منْ فَوْقِهِم} [النحل: ٥٠].. وساق حديث الجارية والمعراج إلى سدرة المنتهى"، إلى أن قال:

"وقد تأتي لفظة (في) في لغة العرب بمعنى (فوق)، كقوله: {فَامْشُوا في مَنَاكِبِهَا} [الملك: ١٥] و{فِي جُذُوعِ النَّخْلِ} [طه: ٧١] و{أَأَمنْتُمْ منْ فِي السَّمَاء} [الملك: ١٦]، قال أهل التفسير: يريد: فوقها، وهو قول مالك مما فهمه عمن أدرك مِن التابعين مما فهموه عن الصحابة، مما فهموه عن النَّبِيِّ صلَّى اللَّهُ عَلَيَهْ وسلم أن الله في السماء، يعني فوقها وعليها، فلذلك قال الشيخ أبو محمد: (أنه فوق عرشه) ثم بين أن علوه فوق عرشه إنما هو بذاته، لأنه تعالى بائن عن جميع خلقه بلا كيف وهو في كل مكان بعلمه لا بذاته، إذ لا تحويه الأماكن، لأنه أعظم منها، قد كان ولا مكان".. ثم سرد كلامًا طويلًا إلى أن قال:

"فلما أيقن المنصفون إفراد ذكره بالاستواء على عرشه بعد خلق سماواته وأرضه وتخصيصه بصفة الاستواء، علموا أن (الاستواء) هنا غير (الاستيلاء) ونحوه، فأقروا بوصفه تعالى بـ(الاستواء على عرشه)، وأنه على الحقيقة لا على المجاز، لأنه الصادق في قِيله، ووقفوا عن تكييف ذلك وتمثيله إذ ليس كمثله شيء" .. فرحمة الله على الجميع.

= على أن ذاك المجمل لابن أبي زيد لم ينفرد باعتقاده القيرواني ولا شارحه، بل هو ما كان عليه جميعُ من تلقوا عن الإمام مالك وصدَقوا في اتباع مذهبه الفقهي .. وها هو **عبد الله بن نافع الصائغ** المخزومي

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٢/ ٩٦، ١٠/ ١٩٨) وابن حبان في المجروحين (٣/ ١١٥) وابن عدي في الكامل في ترجمة (محمد بن الفضل بن عطية، والألباني في الصحيحة (٣٤) .

ت٢٠٦ كان أعلم الناس برأي مالك وحديثه(١) – يروي عن مالكٍ قوله: "الله في السماء، وعلمه في كل مكان لا يخلو منه شيء"(٢) .

هذا، وممن تتلمذ على الإمام مالك وأخذ عنه معتقده الذي هو معتقد أهل السنة:

= إمام أهل الدنيا في وقته شيخ الإسلام **عبد الله بن المبارك** رحمه الله تعالى ت١٨١، فقد صح عنه صحة قريبة من التواتر أنه قيل له بماذا نعرف ربنا؟، قال: (بأنه فوق سمواته على عرشه – وفي بعض الروايات: على السماء السابعة على عرشه – بائن من خلقه، ولا نقول كما تقول الجهمية: أنه هاهنا في الأرض) فقيل هذا لأحمد بن حنبل، فقال: (هكذا هو عندنا)، ذكره الذهبي في العلو ص١١٠(٣).

وفي رواية أوردها الذهبي أيضًا – وكذا اللالكائي في (شرح أصول السنة) ١/ ٣٥٤ والبيهقي في (الأسماء والصفات) ص٤٦٩– عن أفلح بن محمد، قال: "قلت لابن المبارك: إني أكره الصفة، عَنى: صفة الرب تبارك وتعالى، فقال: وأنا أشد الناس كراهة لذلك، ولكن إذا نطق الكتاب بشيء قلنا به، وإذا جاءت الآثار بشيء جسرنا عليه" .. وفي أخرى عن عبد الله بن أحمد في (الرد على الجهمية) أن رجلًا سأل ابن المبارك عن الجهمية فقال: "إنهم يزعمون أن إلهك الذي في السماء ليس بشيء".

كما أورد له اللالكائي ١/ ٤٢٥ بسنده قوله: "ما حجب الله أحداً إلا عذبه، ثم قرأ: {كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون. ثم إنهم لصالوا الجحيم. ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون} [المطففين: ١٥: ١٧]، وقوله – وقد سئل عن قوله عز وجل: {فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً} [الكهف: ١١٠] –: "من أراد النظر إلى وجه خالقه فليعمل عملاً صالحا ولا يخبر به احداً" .. وكان ممن نص على معتقده ونقله بتمامه: محب أبو زيد في (جمهرة عقائد أئمة السلف) ص١٥٤ وما بعدها.

= **والقعنبي** – شيخ البخاري وأكبر شيوخ مسلم، وهو إمام من أئمة الهدى ت٢٢١ – يحكي عنه الذهبي في العلو ص١٢١ أنه سمع رجلًا من الجهمية يقول: (الرحمن على العرش استولى)، فقال القعنبي: "من لا يوقن أن الرحمن على العرش استوى كما يَقَرُّ في قلوب العامة فهو جهمي"(٤)، يقول الذهبي: "والمراد بالعامة: عامة أهل العلم، كما بيناه في ترجمة يزيد بن هارون إمام أهل واسط .. ولقد كان القعنبي من أئمة الهدى، حتى لقد تغالى فيه بعض الحفاظ وفضله على مالك الإمام.

= وعالم المشرق، **يحيى بن يحيى النيسابوري** ت ٢٢٦: قال ابن مندة: أنبأ محمد بن يعقوب الشيباني: حدثنا محمد بن عمرو بن النضر حدثنا يحيى بن يحيى قال: كنت عند مالك فجاءه رجل فقال: يا أبا عبد الله {الرَّحمَنُ عَلَى الْعَرشِ اسْتَوَى}؟ فأطرق ثم قال: "الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة"(٥) .. وكان الحافظ الذهبي قد نقل عنه في العلو ص١٢٣ – وهو بمختصره ١٨١ – قوله: "(من زعم أن مِن القرآن من أوله إلى آخره؛ آية مخلوقة، فهو كافر) .. كان يحيى بن يحيى إليه المنتهى في الإتقان والورع والجلالة بنيسابور، قلَّ أن ترى العيون مثله، حمَل عن مالك وخارجة بن مصعب والكبار"إ.هـ .

---

(١) وقد ترجم لابن نافع ابنُ حجر في تهذيب التهذيب ٣/ ٢٨٢ ونقل أثناء ترجمته: كلام ابن حبان وغيره في توثيقه؛ وثناء الشافعي عليه؛ وأنه كان من رواة الموطأ .. كما ذكر له فيما ذكر قول ابن سعد عنه: "كان قد لزم مالكًا لزومًا شديدًا، وكان لا يقدِّم عليه أحدًا"، وقول أبي داود: "كان عبد الله عالمًا بمالك وكان صاحب فقه وربما دل على مالك"

(٢) أورد ذلك الحافظ الذهبي في العلو ١٠٣، وكذا ص١٦٦، وهما بمختصره ١٤٠، ٢٤٧، وقد جاء قول نافع في الصفحة الأخيرة منهما إبان ترجمة الذهبي لأبي بكر الآجري وقوله – كما في كتاب الشريعة ص٢٧٧ –: "والذي يذهب إليه أهل العلم، أن الله تعالى على عرشه فوق سمواته، وعلمه محيط بكل شيء، قد أحاط بجميع ما خلق في السموات العلى وبجميع ما في سبع أرضين وما بينهما وما تحت الثرى.. فهو على عرشه تُرفع إليه أعمال العباد وهو أعلم بها.. فإن قيل: فما معنى قوله: {ما يكُون مِنْ نَجْوى ثلاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُم}؟ قيل: علمه، والله على عرشه، وعلمه محيط بهم وبكل شيء من خلقه، كذا فسره أهل العلم، والآية يدل أولها وآخرها على أنه العلم وهو على عرشه، هذا قول المسلمين".. ثم ذكره.

(٣) وهو بمختصره ص١٥١ كما رواه عنه من غير الذهبي: البيهقي في الأسماء ص٥٨٠ وابن قدامة ص٧٩، ٨٠ ومن قبل هؤلاء الدارمي عثمان والحاكم.

(٤) ومن غير الذهبي فقد روى هذين الأثرين عنه: عبد الرحمن بن أبي حاتم في كتاب (الرد على الجهمية).

(٥) وهو في الأسماء والصفات للبيهقي ص٥٦١

= **وقتيبة بن سعيد**، شيخ خراسان ت٢٤٠، حدث عنه محمد بن على النسائي، قال: سمعت قتيبة يقول" "قول الأئمة المأخوذ به في الإسلام والسنة: الإيمان بالرؤية؛ والتصديق بالأحاديث التي جاءت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها" كذا ذكره اللالكائي في أصول السنة ١/ ٤٢٢ .. كما حدث عنه أبو العباس السراج قال: سمعت قتيبة بن سعيد يقول: "هذا قول الأئمة في الإسلام والسنة والجماعة: (نعرف ربنا في السماء السابعة على عرشه، كما قال جل جلاله {الرَّحمَنُ عَلَى الْعَرشِ اسْتَوَى}) .. ونقل عنه موسى بن هارون قوله: (نعرف ربنا في السماء السابعة على عرشه كما قال تعالى: {الرحمن على العرش استوى} [طه: ٥]) .

وعلى ذلك يعلق الحافظ الذهبي في العلو ص١٢٨ – وهو بمختصره ص١٨٧ – فيقول: "فهذا قتيبة في إمامته وصدقه قد نقل الإجماع على المسألة، وقد لقي مالكًا والليث وحماد بن زيد والكبار، وعمَّر دهرًا وازدحم الحفاظ على بابه، قال لرجل: أقم عندنا هذه الشتوة حتى أخرج لك عن خمسة أناسي مائة ألف حديث".. وهكذا كانوا.

وكان صاحب (جمهرة عقائد أئمة السلف) قد ذكر معتقده ص١٧٨ وما بعدها، وبها: "ترك الجدال والماء والخصومات في الدين .. والصلاة مع كل برٍّ وفاجر، والإيمان قول وعمل، والقرآن كلام الله.. وألا نخرج على الأمراء بالسيف وإن جاروا، ونتبرأ من كل من يرى السيف في المسلمين كائناً من كان".. إلى أن قال: "ولا يُصلى خلف القدري ولا الرافضي ولا الجهمي، ونعرف الله في السماء السابعة على عرشه كما قال".

=وشيخ المالكية في عصره العلامة أبو إسحاق **محمد بن القاسم بن شعبان المصري**، كان من كبار الأئمة ت٣٥٥.. ترجم له الحافظ الذهبي في العلو ص١٧٠ – وبمختصره ص٢٥٢ – وفي السير ١٦/ ٧٨ وذكر في الأخير أنه من ولد عمار بن ياسر، ويعرف بابن القرطي نسبة بيع القِرَط، وأنه كان صاحب سنةٍ واتباعٍ؛ وباعٍ مديدٍ في الفقه؛ مع بصرٍ بالأخبار وأيامِ الناس، مع الورعِ والتقوى وسعةِ الرواية، يحكي الذهبي عنه فيقول: "رأيت له تأليفًا في تسمية الرواة عن مالك، بدأه بقوله:

(الحمد لله الحميد، أحق ما بدا وأول من شكر، الواحد الصمد، ليس له صاحبة ولا ولد، جل عن المثل، بلا شَبه ولا عِدل، على عرشه استوى، فهو دان بعلمه، أحاط علمه الأمور، ونفذ حكمه في سائر المقدور)، وله من هذا كتاب: (الزاهي) في الفقه وهو مشهور، وكتاب (أحكام القرآن)، و(مناقب مالك) وهو كتاب كبير، وغير ذلك .. توفي – عليه من الله سحائب الرحمة والرضوان – بمصر سنة ٣٥٥ وقال عنه القاضي عياض: (كان ابن شعبان رأسَ المالكية بمصر، وأحفظهم للمذهب، مع التفنن) .

=والإمام أبو عبد الله محمد بن أبي عيسى المالكي نزيل قرطبة المعروف **بـ(ابن أبي زَمَنِين)** ت ٣٩٩، ترجم له الذهبي في (تاريخ الإسلام) والسيوطي في طبقات المفسرين، وقالا عنه: إنه كان عارفًا بمذهب مالك؛ بصيرًا به .. وكان من الراسخين في العلم متفننًا في الأدب والشعر متفننًا لآثار السلف مع الزهد والنسك وصدق اللهجة والإقبال على الطاعة، ومن شعره:

الموتُ في كلّ حينٍ ينشُرُ الكفنا * ونحنُ في غفْلةٍ عمّا يُرادُ بنا
لا تطمئنَ إلى الدنيا وبهجتها * وإن توشّحْت مِنْ أثوابها الحسَنَا
أين الأحبّةُ والجيرانُ؟ ما فعلوا؟ * أين الّذين همُو كانوا لنا سكَنا
سقاهمُ الموتُ كأسًا غيرَ صافيةٍ * فصيّرتْهمُ لأطباقِ الثّرى رُهُنا

وبعد أن بدء – رحمه الله – كتابه الذي صنفه في (أصول السنة) – وهو مطبوع بـ(دار الفرقان للنشر والتوزيع) –: بـ(باب في الحض على لزوم السنة واتِّباع الأئمة) وأوضح أن "السنة دليل القرآن؛ وأنها لا تدرك بالقياس ولا تؤخذ بالعقول؛ وإنما هي في: اتِّباع الأئمة ولِمَا مشى عليه جمهور هذه الأمة"؛ مستدلًا على ذلك بالعديد من أدلة القرآن والسنة والآثار .. قال في ص١٨ من (باب الإيمان بالعرش):

"ومن قول أهل السنة أن الله خلق العرش واختصه بالعلو والارتفاع فوق جميع ما خلق ثم استوى عليه كيف شاء كما أخبر عن نفسه" وذكر الآيات والأحاديث والآثار في ذلك؛ إلى أن قال في (باب الإيمان بالنزول):

"ومن قول أهل السنة أن الله ينزل إلى سماء الدنيا – وذكر حديث النزول(١) ثم قال: – وهذا الحديث يبين أن الله تعالى على عرشه في السماء دون الأرض، وهو أيضا بيِّنٌ في كتاب الله وفي غير ما حديث عن رسول الله، قال الله عز وجل: {يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه} [السجدة: ٥]"، وساق الآيات في العلو، وذكر من طريق مالك قول النبي صلى الله عليه وسلم: (أين الله؟)، ثم قال: "والحديث في مثل هذا كثير"

ثم كان أن بوب (في أن الإيمان قول وعمل) قائلًا: "ومن قول أهل السنة: أن الإيمان إخلاص لله بالقلوب؛ وشهادة بالألسنة؛ وعمل بالجوارح، على نية حسنة وإصابة السنة .. وأن الإيمان بالله؛ هو: باللسان والقلب وتصديق ذلك: العمل، فالقول والعمل قرينان لا يقوم أحدهما إلا بصاحبه" وأقام على ذلك الأدلة مستوفيًا إياها.

ثم أتبع ذلك بـ(باب في وجوب السمع والطاعة)، وبدأه ص٧٨ بقوله: "ومن قول أهل السنة: أن السلطان ظلُّ الله في الأرض، وأنه من لم يرَ على نفسه سلطانًا – برًّا كان أو فاجرًا – فهو على خلاف السنة .. وأن السمع والطاعة لولاة الأمر أمر واجب، ومهما قصَّروا في ذاتهم فلم يبلُغُوا الواجب عليهم، غير أنهم يُدْعَون إلى الحق ويُؤمرون به ويُدَلُّون عليه، فعليه ما حُمل وعلى رعاياهم ما حُمِّلوا من السمع والطاعة لهم" .. ثم بـ(باب في الصلاة خلف الولاة) وآخر (في دفع الزكاة إليهم)، وآخر (في الحج والجهاد معهم)، وآخر في: (النهي عن مجالسة أهل الأهواء)، وأقام في كل ذلك من كلام مالك ومن سائر الأدلة ما تقام به الحجة وتبرأ به الذمة وتزال به الشبهة .. فهو من ثم، كتاب في غاية الأهمية، بل ومما يجب على كل مسلم قراءته واقتناؤه ومدارسته.

=**والقاضي أبو محمد عبد الوهاب بن نصر بن علي** التغلبي البغدادي، إمام المالكية بالعراق وأحد أعلام المذهب المالكي، من كبار أهل السنة رحمهم الله تعالى ولد ونشأ ببغداد وتلقى العلم فيها عن أفاضل شيوخها، ت٤٢٢ .. فقد صرح بأن الله سبحانه استوى على عرشه بذاته نقله شيخ الإسلام عنه في غير موضع من كتبه ونقله عنه القرطبي في شرح الأسماء الحسنى.

ومما تجدر الإشارة إليه أن القاضي عبد الوهاب كان له الاثر الكبير في نشر المذهب المالكي في العراق، وإذا أطلق لقب القاضي عند المالكية، فإنما يقصدونه هو، وقد أكثر متأخرو المالكية من النقل عنه واعتماد ترجيحاته في المذهب.. له مؤلفات مشهورة، المطبوع منها: (الإشراف على نكت مسائل الخلاف)، بتحقيق الحبيب بن طاهر طبع في دار ابن حزم، و(المعونة على مذهب عالم المدينة) تحقيق عبد الحق حميش، و(شرح رسالة ابن أبي زيد)، و(التلقين في الفقه المالكي)، (الملخص في أصول الفقه) .. وكان والده من العلماء ببغداد كما كان أخوه أديبًا مشهورًا هنالك.

=**والحافظ الإمام أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد الله الأندلسي الطلمنكي** ت٤٢٩، ترجم له الحافظ الذهبي في كتابه العلو ص١٧٩ – وهو بمختصره ص٢٦٤ – قائلًا: "كان من كبار الحفاظ وأئمة القراء بالأندلس"، واخلولق ينقل عنه قوله من كتاب (الأصول إلى معرفة الأصول) وهو مجلدان:

"أجمع المسلمون من أهل السنة على أن معنى قوله: {وهُوَ معَكم أَيْنَ مَا كُنْتُمْ} ونحو ذلك من القرآن؛ أنه: (علمه)، وأن الله تعالى فوق السموات بذاته، مستو على عرشه كيف شاء على الحقيقة لا على المجاز، فقد قال قوم من المعتزلة والجهمية: (لا يجوز أن يسمى الله بهذه الأسماء على الحقيقة، ويسمى بها المخلوق)، فنفوا عن الله الحقائق من أسمائه وأثبتوها لخلقه، فإذا سُئلوا: ما حملهم على هذا الزيغ؟!، قالوا: (الاجتماع في التسمية يوجب التشبيه)، قلنا: (هذا خروج عن اللغة التي خوطبنا بها، لأن المعقول في اللغة

(١) وهو من طريق أبي هريرة بلفظ: (ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير، فيقول: (من يدعوني فأستجب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له) أخرجه البخاري (١١٤٥، ٦٣٢١، ٧٤٩٤) ومسلم (٧٥٨)

أن الاشتباه في اللغة لا يحصل بالتسمية .. ولو كانت الأسماء توجب اشتباهًا لاشتبهت الأشياء كلها، لشمول اسم الشيء لها وعموم تسمية الأشياء به)، فنسألهم: أتقولون إن الله موجود؟، فإن قالوا: نعم، قيل لهم: (يلزمكم على دعواكم أن يكون مُشْبِهًا للموجودين)، وإن قالوا: موجود ولا يوجب وجود الاشتباه بينه وبين الموجودات، قلنا: (فكذلك هو: حي، عالم، قادر، مريد، سميع، بصير، متكلم)، يعني: ولا يلزم من ذلك اشتباهه بمن اتصف بهذه الصفات، وكان أن ساق إبان ذلك بسنده عن مالك قوله: (الله في السماء وعلمه في كل مكان)

=**وأبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر** النميري الأندلسي صاحب (التمهيد) و(الاستيعاب) و(العلم) والتصانيف النفيسة ت٤٦٣ .. ترجم له الحافظ الذهبي في العلو ص١٨٢ – وهو بالمختصر ص٢٦٩ – قائلًا: "كان أبو عمر ابن عبد البر من بحور العلم، ومن أئمة الأثر، قَلَّ أن ترى العيون مثله، وكان عالي الإسناد، لقي أصحاب ابن الأعرابي وإسماعيل الصفار، وروى المصنفات الكبار، واشتهر فضله في الأقطار".

وما لبث أن نقل عنه قوله في التمهيد ٤/ ٤٥ لما انتهى في: شرح حديث النزول من الموطأ(١): "هذا حديث ثابت من جهة النقل، صحيح الإسناد؛ لا يختلف أهل الحديث في صحته .. وفيه دليل على أن الله تعالى في السماء على العرش فوق سبع سموات بلا كيف، كما قال الجماعة، وهو من حجتهم على المعتزلة والجهمية في قولهم: (إن الله في كل مكان وليس على العرش)".. إلى أن قال: "وهذا أشهر وأعرف عند الخاصة والعامة، وأعرف من أن يحتاج إلى أكثر من حكايته، لأنه اضطرار لم يؤنبهم عليه أحد، ولا أنكره عليهم مسلم" .

وكان قد أفاض إبان ذلك في ذكر الأدلة على علوه تعالى، وردَّ بها على من ادعى المجاز وأوَّل الاستواء بالاستيلاء، وكذا من زعم أنه بذاته في كل مكان، وكان من قوله بنفس المصدر ٤/ ٥٣ – وقد نقله عنه ابن قدامة في العلو ص٧٨، وغيره –: "أجمع علماء الصحابة والتابعين الذي حُمل عنهم التأويل، قالوا في تأويل قوله تعالى: {مَا يكُون مِنْ نَجْوى ثلاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعهُمْ} [المجادلة: ٧]: هو على العرش، وعلمه في كل مكان، وما خالفهم في ذلك أحد يحتج بقوله"(٢).

وقوله بنفس المصدر ٤/ ٥٦: "أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة في الكتاب والسنة، وحملِها على الحقيقة لا على المجاز، إلا أنهم لا يكيِّفون شيئًا من ذلك .. وأما أهل البدع والجهمية والمعتزلة والخوارج فكلهم ينكرها، ولا يحمل منها شيئًا على الحقيقة، ويزعمون أن من أقر بها مُشَبِّه، وهم عند من أقر بها نافون للمعبود، والحق فيما قاله القائلون بما نطق به كتاب الله وسنة رسوله، وهم أئمة الجماعة .. والذي عليه أهل السنة وأئمة الفقه والأثر: .. الإيمان بما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم والتصديق بذلك وترك التحديد والكيفية في شيء منها".

وعليه علق الذهبي بقوله: "صدق والله، إن من تأول سائر الصفات، وحمل ما ورد منها على مجاز الكلام، أداه ذلك السلب إلى تعطيل الرب، وأن يشابه المعدوم، كما نقل عن حماد بن زياد أنه قال: "مثل الجهمية كقوم قالوا: (في دارنا نخلة)، قيل: فلها سعف؟ قالوا: (لا)، قيل لهم: فلها كرب – أي: أصول السعف –؟ قالوا: (لا)، قيل: لها رطب وقِنو – أي: عِذق –؟؛ قالوا: (لا)، قيل: فلها ساق؟ قالوا: (لا)، قيل: فما في داركم نخلة"(٣).

---

(١) والذي لا يحلف إلا به؛ لحري بهذا الشرح أن يقرر على طلبة العلم وفي معاهده، وقد نقله – ضمن من نقله –: ابن القيم في اجتماع الجيوش ص ٤٨: ٥١ .

(٢) وقد علق الألباني في مختصر العلو ص٢٦٨ على هذا بقوله: "في هذا النص رَدٌّ صريح لما ذهب إليه الإمام الشوكاني في آخر (تحفته) (ص٩٥- ٩٦ المجموعة المنيرية ج٢) من أن (تأويل هذه الآية وآية {وهُوَ معكم أَيْنَ مَا كُنْتُمْ} [الحديد: ٤] بالمعية العلمية، إنما هو شعبة من شعب التأويل المخالف لمذهب السلف وما كان عليه الصحابة والتابعون وتابعوهم).. كذا قال الشوكاني، وكأنه لم يقف على هذا النص من الحافظ ابن عبد البر، ولا على ما سبق من القول عن الأئمة الفحول: كسفيان الثوري ومالك ومقاتل بن حيان الذي فسروا الآيتين بمثل ما نَقَلَ ابن عبد البر إجماع الصحابة ومن بعدهم عليه، فلا تغتر إذن بما زعمه الشوكاني من المخالفة، فإن لكل عالم زلة، ولك جواد كبوة".

(٣) وقد علق الألباني أيضًا على ذلك بقوله: "كذلك هؤلاء النفاة قالوا: إلهنا الله تعالى، وهو: لا في زمان ولا في مكان، ولا يُرى، ولا يُسمع، ولا يُبصر، ولا يَتكلم، ولا يَرضى، ولا يَغضب، ولا يريد، ولا، ولا ... وقالوا: سبحان المنزه عن الصفات! بل نقول: (سبحان الله العلي العظيم

=**وأبو عبد الله القرطبي المالكي صاحب التفسير المشهور ت ٦٧١:** ذلك أنه – وبعد أن أوضح في كتابه (الأسنى) أن السلف الأول لم ينفوا الجهة بل نطقوا هم والكافة بإثباتها الله تعالى كما نطق كتابه وأخبر رسوله صلى الله عليه وسلم، ولم ينكر أحد من السلف الصالح أنه استوى على العرش حقيقة، وأنه خص العرش بذلك دون غيره لأنه أعظم مخلوقاته وإنما جهلوا كيفية الاستواء فإنه لا تعلم حقيقته – قد ذكر قول أم سلمة: (الاستواء ثابت بلا كيف) وقول مالك (الاستواء معلوم، والكيفية مجهولة، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة)، وقوله لمن سأله عن الكيفية: هو (كما وصف نفسه ولا يقال: كيف؟، وكيف عنه مرفوع)، ثم قال:

"قال الشيخ أبو الحسن الأشعري: (أُثْبِتُه مستويًا على عرشه، وأَنْفِي عنه كل استواء يوجب حدوثه) .. وبه قال الطبري وابن أبي زيد وعبد الوهاب وجماعة من شيوخ الفقه والحديث.. وهو قول القاضي أبي بكر بن الطيب في كتاب (تمهيد الأوائل) والأستاذ أبي بكر بن فورك في (شرح أوائل الأدلة) .. وقول أبي عمر بن عبد البر والطلمنكي وغيرهما من الأندلسيين"(١)إ.هـ.

وكان ابن القيم في اجتماع الجيوش ص١١٠؛ قد نسب للقرطبي قوله: "وأظهر الأقوال: ما تظاهرت عليه الآي والأخبار، وقال جميع الفضلاء الأخيار: إن الله على عرشه كما أخبر في كتابه وعلى لسان نبيه بلا كيف، بائن من جميع خلقه، هذا مذهب السلف الصالح فيما نقل عنهم الثقات"، وكذا فعل ابن تيمية في كتابه بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، وغيره .

وقال في قوله تعالى: {الرحمن على العرش استوى}، "هذه مسألة .. قد بيَّنا فيها كلام العلماء في كتاب (الأسنى في شرح الأسماء الحسنى)، وذكرنا فيها هنالك أربعة عشر قولًا"، وذكر قول المتكلمين الذين يقولون: (إنه إذا وجب تنزيه الباري عن التميز فمن ضرورة ذلك تنزيهه عن الجهة) .. فليس تعالى بجهة فوق عندهم؛ لأنه يلزم من ذلك عندهم أنه متى اختص بجهة أن يكون في مكان أو حيز، ويلزم على المكان والحيز: الحركة والسكون للمتحيز والتغيير والحدوث"(٢) – وقال: "هذا قول المتكلمين"(٣).

ثم قال بعد أن حرر قول المتكلمة ومتأخري الأشعرية: "وقد كان السلف الأول رضي الله عنهم لا يقولون بنفي الجهة ولا ينطقون بذلك، بل نطقوا هم والعامة بإثباتها لله كما نطق كتابه وأخبرت به رسله، ولم ينكر أحد من السلف الصالح أنه استوى على عرشه حقيقة .. وإنما جهلوا كيفية الاستواء فإنه لا تُعلم حقيقته، قال مالك: (الاستواء معلوم – يعني: في اللغة – والكيف مجهول، والسؤال عن هذا بدعة)، وكذا قالت أم سلمة رضي الله عنها، وهذا القدر كافٍ"(٤)إ.هـ هذا لفظ القرطبي، وهو بعدُ من فقهاء المالكية ومن علمائهم .

السميع البصير، المريد، الذي كلم موسى تكليمًا، واتخذ إبراهيم خليلًا، ويُرى في الآخرة، المتصف بما وصف به نفسه، ووصفه به رسله، المنزه عن سمات المخلوقين، وعن جحد الجاحدين، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير)".

(١) الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى وصفاته العلى للإمام شمس الدين أبي عبد الله القرطبي ت الشحات الطحان ص٢٢٠ وينظر العلو ص١٩٤ ومختصره ٢٨٦.

(٢) يعني: لأنه يلزم من ذلك – عندهم وعلى حدِّ زعمهم – أنه متى اختص بجهة أن يكون في مكان وحيز، ويلزم من المكان والحيز: الحركة والسكون للتميز والتغير

(٣) وفضلًا عن أن ما ذكره المتكلمون ليس بلازم، لكونه من لوازم الحوادث وهو سبحانه ليس كذلك، فقد أعرضوا بمقتضاه عن مقتضى الكتاب والسنة وأقوال السلف وفطر الخلائق؛ وإنما يلزم ما ذكروه في حق الأجسام؛ والله تعالى لا مثل له، ولازم صرائح النصوص حق، ولكنا لا نطلق عبارة إلا بأثر، ثم نقول: لا نسلم أن كون الباري على عرشه فوق السموات يلزم منه أنه في حيز وجهة، إذ ما دون العرش يقال فيه حيز وجهات، وما فوقه فليس هو كذلك، والله فوق عرشه كما أجمع عليه الصدر الأوَّل ونقله عنهم الأئمة.. وقد قالوا ذلك رادِّين على الجهمية القائلين بأنه (في كل مكان) محتجين بقوله {وهو معكم}.. فهذان القولان – قول الجهمية وقول أهل السنة في الرد عليهم – هما – على أي الأحوال – اللذان كانا في زمن التابعين وتابعيهم.

فأما القول الثالث المتولد أخيرا من أنه تعالى ليس في الأمكنة، ولا خارجًا عنها، ولا فوق عرشه، ولا هو متصل بالخلق ولا بمنفصل عنهم، ولا ذاته المقدسة متحيزة ولا بائنة عن مخلوقاته، ولا في الجهات، ولا خارجًا عن الجهات، ولا، ولا، فهذا شيء لا يعقل ولا يفهم مع ما فيه من مخالفة الآيات والأخبار

(٤) تفسير القرطبي المسمى بالجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٣/ ٢٧٣٧ ط.دار الغد العربي ١/ ١٩٨٩- ١٤٠٩ وينظر العلو للذهبي ص ١٩٤ ومختصره ص٢٨٦ واجتماع الجيوش ص١٠٣ .

الفصل الثالث
معتقد (الإمام الشافعي) في توحيد الصفات وقضايا الاعتقاد وجولة حول معتقد من تلقى عنهم وتلقوا عنه

المبحث الأول
معتقد (الإمام الشافعي) في توحيد الله في صفاته تعالى وأفعاله

أما الشافعي، فهو: الإمام فقيه الملة عالم عصره وناصر القرآن والسنة: أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد ابن عبد يزيد بن هشام بن المطلب بن عبد مناف بن قصي القرشي المكي، نسيب رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ يجتمع معه في عبد مناف.

أ) ترجمة مختصرة للإمام الشافعي ت ٢٠٤:

وُلد رحمه الله بغزة بفلسطين، سنة خمسين ومائةٍ من الهجرة، وهو العام الذي توفِّي فيه أبو حنيفة.. ثم بعد وفاة أبيه تحولت به أمه وهو ابن سنتين إلى مكة؛ وعنيت به ما وسعها الجهد!؛ يقول: (كنت يتيمًا في حجر أمي، ولم يكن لها ما تعطيني للمعلم، وكان المعلم قد رضي مني أن أقوم على الصبيان إذا غاب وأخفف عنه) ويقول: (حفظت القرآن وأنا ابن سبع سنين، وحفظت الموطأ وأنا ابن عَشْر سنين)، أقبل رحمه الله على الرمي، حتى فاق فيه الأقران، ثم أقبل على العربية والشرع، فبرع فيهما وتقدم، ثم حُبِّب إليه الفقه وأخذه في بلده مكة فيمن أخذ؛ عن:

مسلم بن خالد الزنجي مفتي مكة، وداود ابن عبد الرحمن العطار وعمه محمد بن علي بن شافع ابن عم العباس جد الشافعي، وابن عيينة، وعبد الرحمن بن أبي بكر المليكي، وسعيد بن سالم، وفضيل بن عياض.

ثم ارتحل في طلبه وهو ابن نيف وعشرين إلى المدينة، وتأهل للإمامة وأخذ عن إبراهيم بن سعد الزهري وعبد العزيز بن محمد الدراوردي وإبراهيم بن محمد بن أبي يحيى الأسلمي ومحمد بن أبي سعيد بن أبي فُدَيك، وطبقتهم إسماعيل ابن علية وعبد الوهاب الثقفي وخلق.. والتقى هنالك مالكَ بن أنس فقربه إلى نفسه وقرأ عليه الموطأ، ولم يزل معه حتى توفي مالك(١) .

ثم قدم بغداد ولازم محمد بن الحسن فقيه العراق الشيباني الحنفي، وأخذ عن وكيع بن الجراح الكوفي، وحماد بن أسامة بن زيد أبو أسامة الكوفي، وإسماعيل بن إبراهيم بن مقسم البصري، وعبد الوهاب بن عبد المجيد بن الصلت الثقفي البصري، ورحل إلى اليمن ليكمل مسيرة العلم وأخذه هنالك عن مُطَرِّف بن مازن الصنعاني وهشام بن يوسف قاضي صنعاء، وطائفة .

صنف الشافعي – رحمه الله – التصانيف، ودوَّن العلم، ورد على الأئمة متبعًا الأثر، وألف في أصول الفقه وفروعه وبَعُدَ صيته وتكاثر عليه طلبة العلم، وظل كذلك حتى ساد أهل زمانه.. يَحكي عنه يونس بن عبد الأعلى – كما في (حلية الأولياء) لأبي نعيم – أنه كان "يصنع كتابًا من غدوةٍ إلى الظهر من حفظه، من غير أن يكون في يده أصلٌ!".. فكان أن تفقه به جماعة، منهم: الحُميدي وأبو عبيد القاسم بن سلام وأحمد بن حنبل وأبو ثور والمُزَني وابن راهويه والربيع بن سليمان وأبو يعقوب يوسف البويطي، وخلق سواهم.

قال ابن كثير في مناقب الشافعي ص١٨٩: "وقد أثنى على الشافعي غير واحد من الأئمة" وعدَّد منهم: عبد الله بن مهدي، وقد سأله أن يكتب له كتابًا في الأصول، فكتب له (الرسالة) وكان يدعو له في دبر صلاته .. وشيخه مالك بن أنس قائلًا: (ما يأتيني قرشيٌّ أفهم من هذا الفتى) أي: الشافعي.. وقتيبة بن سعيد

(١) ما يعني: أن مالكًا بذلك يعد أحد شيوخه، كما كان أحمد أحد من تلقوا عنه .. وهو ما نص عليه ابن حجر إبان تراجمهم في (تهذيب التهذيب) ٥/ ٢٠، ٣٥١ .

وقال: (هو إمام)، وسفيان بن عيينة، ويحيى القطّان الذي كان هو الآخر يدعو له في كل صلاة .. وأبو عبيد القاسم بن سلام الذي قال: (ما رأيت أفصح ولا أعقل ولا أورع ولا أنبل رأيًا من الشافعي) .. وكذا أحمد بن حنبل الذي كان يدعو له في السحر ولنحوٍ من أربعين سنة؛ ويقول: (ما من أحد مسَّ محبرة وقلمًا إلا وللشافعي في عنقه مِنَّة)، ويقول: (لولا الشافعيِ ما عرفنا فقه الحديث)، ويقول: "كان الشافعي كالشمس للدنيا وكالعافية للناس فانظر هل لهذين من عوض" ونص على ذلك الذهبي في (السير) ١٠/ ٤٥، ٤٧، ٨٢، والانتقاء له ص١٢٤.

وعنه قال ابن العماد الحنبلي في (شذرات الذهب): "فقيه العصر، والإمام الكبير".. وقال إسحاق بن راهويه: "لقيني أحمد بن حنبل بمكة، فقال: تعال حتى أريك رجلًا لم تر عيناك مثله، قال: فأقامني على الشافعي" .. وقال الإمام أحمد: "ما أحد مسَّ محبرة، ولا قلمًا؛ إلاَّ للشافعي في عنقه منَّة، وكان من أفصح الناس"، وكان أحمد قد سُئل: ما ترى من الكتب أنظر فيه ليفتح لي الآثار؟، رأي مالك أو الثوري او الأوزاعي؟ فقال: (عليك بالشافعي فإن أكثرهم صوابًا أو اتبعهم للآثار) كذا حكاه عنه ابن أبي حاتم الرازي في (آداب الشافعي ومناقبه) ص٦٠.

ومما حكاه عنه بنفس المصدر ص٦٨؛ والذهبي في (السِّير) ١٠/ ٣٣، ٥٣، ٦٠، ٦٩ قوله: "كلُّ ما قلتُ، وكان عن النبي صلى الله عليه وسلم خلافُ قولي مما يصحُّ، فحديثُ النبي أَوْلى، ولا تقلِّدوني"، "كلُّ حديثٍ عن النبي فهو قولي، وإن لم تسمعوه مني"، "إذا صحَّ الحديث فهو مذهبي، إذا صح الحديث فاضربوا بقولي عُرض الحائط"، "أصلُ العلم: التثبيت وثمرته: السلامة، وأصل الورَع: القناعة وثمرته: الراحة، وأصل الصبر: الحزم وثمرته: الظَّفَر، وأصل العمل: التوفيق وثمرته: النُّجْح، وغاية كل أمرٍ: الصدقُ"، "العالمُ يسأل عما يعلَم وعما لا يعلم، فيُثبت ما يعلم، ويتعلم ما لا يعلم، والجاهل يغضب من التعلُّم، ويأنَف من التعليم"، "ينبغي للفقيه أن يضع التراب على رأسه تواضعا لله، وشكرًا لله"، "إذا رأيتُ رجلا من أصحاب الحديث كأني رأيتُ رجلًا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم"، "إذا خِفتَ على عملك العُجْب، فاذكر رضَا مَن تطلب، وفي أي نعيمٍ ترغب، ومن أي عقابٍ ترهب، فمَن فكَّر في ذلك صغُر عنده عملُه".

وقد أثر عن الشافعي قوله: (من حضر مجلس العلم بلا محبرة وورق؛ كان كمن حضر الطاحون بغير قمح)، وقوله: (ما ناظرتُ أحدًا قط إلا أحببتُ أن يوفَّق أو يسدد، أو يُعان ويكون له رعاية من الله تعالى وحفظ، وما ناظرتُ أحدًا إلا ولم أُبالِ بيَّنَ الله تعالى الحق على لساني أو لسانه) .

كما جاء عنه قوله في فضيلة طلب العلم: (ما تقرب العبد إلى الله بعد اداء ما افتُرِضَ عليه بشيء أفضل من طلب العلم، وقوله: (طلب العلم أفضل من صلاة النافلة)، وقوله: (من أراد الدنيا فعليه بالعلم، ومن أراد الآخرة فعليه بالعلم)، وقوله: (العلم إن تعطه كلك ،لم يعطك بعضه)، وقد خرج البرزنجي هذه الأقوال وغيرها إبان سرد عقيدة الشافعي رحمة الله تعالى عليهما .. ولينظر في ذلك (سير النبلاء) للذهبي ١٠/ ٥: ٩٩ و(البداية والنهاية) ١٠/ ٢٦٢ مجلد٥ وابن حجر في (تهذيب التهذيب) لابن حجر ٥/ ٢٠ وما بعدها وغير ذلك من كتاب التراجم.

ب) عقيدة الإمام الشَّافعي في توحيد الصفات:

للشافعي (مختصرٌ في العقيدة) و(وصية) أخرجهما عنه: أبو شعيب(١) وأبو ثور ويونس بن عبد الأعلى والحسين بن هشام البلدي .. وجمعهما برواياتها المختلفة ونقلهما عنه: البرزنجي ت ١١٠٣، كما جاء نصُّهما في: (العلو) لابن قدامة ص٨٢ وما بعدها .. وضمن (جمهرة عقائد أئمة السلف) لمحمد محب الدين أبو زيد ص١٥٧ .. وفيهما يحكي الشافعي السَّنَّة التي كان عليها رحمه الله، وأجمع أهل الحديث – من نحو: (ابن عيينة ومالك) وغيرهما – عليها، وقد جاء فيهما:

(١) هو الشيخ المحدث المعمر المؤدِب عبد الله بن الحسن بن احمد بن أبي شعيب، قال الدارقطني: (ثقة مأمون).. ت٢٩٥ ينظر سير أعلام النبلاء ١٣/ ٥٣٦ .

١) "أن الله على عرشه في سمائه، يقرب من خلقه كيف شاء"، وهي في وصيته التي أوردها عنه الحسين بن هشام البلدي بالمصدر السالف الذكر بلفظ: "وأنه تعالى فوق العرش"، ولفظ البرزنجي في سرد عقيدة الشافعي: "وأنه فوق العرش بقوله تعال: {ثم استوى عل العرش} [السجدة: ٤]، وبقوله: {الرحمن على العرش استوى} [طه: ٥].

٢) "وأن الله ينزل إلى سماء الدنيا كيف شاء"، وما سبق ساقه ابن قدامة ونقله عن الشافعي في (العلو) ص٨٤ .

٣) والإيمان "برؤية الله تعالى في الآخرة، كما جاء في الحديث" .. وفي لفظ للبرزنجي: "وأن المؤمنين يرون ربهم عز وجل يوم القيامة بأبصارهم كما يَرَون القمر ليلة لبدر" .

٤) وكان الشافعي قد أكد ذلك في (وصيته) – كما في (الجمهرة) ص ١٦٠ و(عقيدة الشافعي) البرزنجي ص٩١– فقال ما نصه: "وأن الله عز وجل يُرى في الآخرة، يَنظر إليه المؤمنون عيانًا جهارًا، ويسمعون كلامه".

٥) كما أكده الربيع بن سليمان في روايته، قال: «سمعت الشافعي يقول في قول الله عز وجل: {كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ} [المطففين: ١٥]: (أعلمنا بذلك أن ثَمَّ قومًا غير محجوبين ينظرون إليه لا يضامُّون في رؤيته»(١).

٦) وأكده كذلك اللالكائي في (شرح أصول السنة) ١/ ٤٢١ فيما رواه عن الربيع أيضًا، قال: «حضرت محمد بن إدريس الشافعي – وقد جاءته رقعة فيها: ما تقول في قوله تعالى: {كَلَّا إِنَّهُم عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ}؟ – قال: (لما حُجب هؤلاء في السُّخط، كان هذا دليلًا على أن غيرهم يرونه في الرضا) قال الربيع: قلت: يا أبا عبد الله؛ وبه تقول؟ قال: (نعم؛ وبه أدين الله؛ لو لم يوقن محمد بن إدريس أنه يرى الله لما عبد الله تعالى)».

وبنحوٍ من ذلك جاءت رواية المزني وفيها قوله رحمه الله: "في الآية دلالة على ان أولياء الله يرون ربهم يوم القيامة" .. وأخرى عن محمد بن عبد الحكم وقد ذكر مالك الآية ثم قال: "ففي هذا دليل على أن المؤمنون لا يحجبون عن الله عز وجل" كذا في شرح السنة للالكائي ١/ ٣٨٦، ٣٨٧.

٧) وكان الشافعي قد أورد في كتابه (الرسالة) ص٨؛ قوله في إثبات جميع ما وصف به تعالى نفسه: "الحمد لله الذي لا يبلغ الواصفون كنه عظمته، الذي هو كما وصف به نفسه، وفوق ما يصف خلقه».

٨) كما أورد الذهبي له في (السير) ١٠/ ٨٠ والبرزنجي ص٩١ قوله: "نثبت هذه الصفات التي جاء بها القرآن ووردت بها السنة، وننفي التشبيه عنه كما نفى عن نفسه فقال: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} [الشورى: ١١]»(٢).

&&&&&&&&&

(١) كذا في معتقد الشافعي من رواية أبي ثور (بالجمهرة) ص ١٥٨ و(الانتقاء في فضائل الأئمة الثلاثة الفقهاء) لابن عبد البر ص١٣٢.

(٢) وفي هذا ما يدل دلالة قاطعة على أن الشافعي هو الآخر ومن قبله أبو حنيفة ومالك عليهم من الله سحائب الرحمة والرضوان، كانوا ممن يقولون بإثبات الصفات وليس كما يدَّعي كثير من الأشعرية ومنهم فضيلة شيخ الأزهر د.أحمد الطيب: من أن الأمر في إثباتها وعدم تأويلها قاصر على الحنابلة.

المبحث الثاني
قوله فيمن ردَّ صفات الله تعالى .. وفي سائر قضايا الاعتقاد

٩) **ومن معتقداته:** ما تواتر عنه من: أن من أنكر أو جحد أو ردَّ صفاته تعالى بعد بلوغه الحجة يكفر .. "يقول يونسُ بن عبد الأعلى(١): سمعت أبا عبد الله الشَّافعي يقول – وقد سُئل عن صفات الله تعالى وما يؤمن به –:

"لله أسماءٌ وصفاتٌ، جاء بها كتابُه وأخبر بها نبيُّه صلى الله عليه وسلم أمتَه، لا يسَعُ أحدًا قامت عليه الحجة ردُّها؛ لأن القرآن نزل بها وصح عن رسول الله القول بها، فإن خالف ذلك بعد ثبوت الحجة عليه، فهو كافرٌ، فأما قبل ثبوت الحجة فمعذورٌ بالجهل؛ لأن عِلمَ ذلك لا يُدرَك بالعقل ولا بالرويَّة والفكر، ولا نكفِّر بالجهل بها أحدًا إلا بعد انتهاء الخبر إليه بها، ونُثبت هذه الصفات ونَنفي عنها التشبيه كما نفاه عن نفسه، فقال: {لَيْس كَمثْله شيْءٌ وهُوَ السَّميع الْبَصِيرُ} [الشورى: ١١]".

١٠) وزاد أبو طالب العشاري(٢) – وبنحوه البرزنجي – في جزء الاعتقاد المنسوب للشافعي: "ونحو ذلك – يعني: في كفر من رده بعد بلوغ الحجة –: إخبار الله عز وجل أنه سميع .. وأن له يدين بقوله: {بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ} [المائدة: ٦٤] .. وأن له يمينًا بقوله: {والسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمينِهِ} [الزمر: ٦٧] .. وأن له وجهًا بقوله: {كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ} [القصص: ٨٨]، وقوله: {ويبقَى وَجْهُ ربِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ} [الرحمن: ٢٧] .. وأن له قَدَمًا بقوله صلى الله عليه وسلم – فيما أخرجه البخاري (٤٨٤٨) ومسلم (٢٨٤٨) –: (حتى يضع الرب عز وجل فيها قدمه) يعني: جهنم .

وأن له عينين بقوله تعالى: {تجري بأعيننا} [القمر: ١٤]، وأنه ليس بأعور بقول النبي – صلى الله عليه وسلم فيما أورداه – إذ ذُكر الدجال فقال: (إنه أعور وإن ربكم ليس بأعور)(٣) .. وأن له كلامًا بقوله: {وكلم الله موسى تكليمًا} [النساء: ١٦٤]، وبقوله: {حتى يسمع كلام الله} [التوبة: ٦] .. وأن له أصبعًا بقوله – صلى الله عليه وسلم –: (ما من قلب إلا هو بين أصبعين من أصابع الرحمن عز وجل)(٤).. وأنه تعالى يضحك بقوله عن الذي قُتل في سبيل الله أنه: (لقي الله وهو يضحك إليه) (٥) .

وإن هذه المعاني التي وَصَف الله بها نفسه ووصفَه بها رسوله مما لا يُدْرَكُ حقيقته بالفكر والدراية، ولا يكفر بجهلها أحد إلا بعد انتهاء الخبر إليه .. وإن كان الوارد بذلك خبرًا، يقوم في الفهم مقام المشاهدة في السماع، ووجبت الدينونة على سامعه بحقيقته، والشهادة عليه كمن عاين وسمع من رسول الله، ولكن نثبت هذه الصفات وننفي التشبيه، كما نفى ذلك عن نفسه – تعالى ذِكره – فقال: {لَيْسَ كَمثْله شيْءٌ وهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الشورى: ١١]"(٦) إ.هـ.

---

(١) فيما رواه عنه ابن قدامة في العلو ص ٨٥ والحافظ الذهبي في (سير أعلام النبلاء) ١٠/ ٧٩، ٨٠ ، والبرزنجي ص٨٨ وغيرهم .. وبنحوٍ مما فاه به الشافعي من ضوابط التكفير والاحتراز من التسرع بشأنه إلا بعد تحقق شروط وانتفاء موانع وأن تقام الحجة الرسالية من أهلها، فاه شيخ الإسلام ابن تيمية وذلك قوله: "ليس لأحدٍ أن يُكفِّر أحدًا من المسلمين وإن أخطأ وغلِطَ، حتى تُقام عليه الحُجة، وتُبَيّنَ له المحجة، ومن ثَبَت إسلامُه بيقينٍ لم يَزُل ذلك عنه بالشّكّ، بل لا يزولُ إلَّا بعد إقامة الحجّة، وإزالة الشُّبهة"، وكذا تلميذه ابن القيم قال: "قيام الحجّة يختلفُ باختلاف الأزمنة والأمكنة والأشخاص؛ فقد تقومُ حُجّةُ الله على الكفّارِ في زمان دون زمانٍ، وفي بقعة وناحيةٍ دون أُخرى، كما أنّها تقومُ على شخص دون آخر؛ إما لعدم عَقله وتمييزه؛ كالصّغير والمجنون، وإمّا لعدم فَهمه؛ كالذي لا يفهم الخطاب، ولم يحضُر تَرجمان يُترجِم له، فهذا بمنزلة الأَصمّ الذي لا يسمَعُ شيئًا ولا يتمكّن من الفَهم".

(٢) هو "محمد بن علي العشاري شيخ صدوق معروف، وقد تفرد برواية هذا الجزء، وهو مما أدخل عليه فحدّث به بسلامة باطن" قاله الذهبي في الميزان (٦٥٦/٣) .. لكن اعتمد غير واحد من السلف ما هو مثبت في هذه العقيدة كالموفَّق ابن قدامة في كتاب (صفة العلو) ص٢٤ و(ذم التأويل) ص٣٠، وابن أبي يعلى في الطبقات (١/ ٨٣)، وابن القيم في اجتماع الجيوش ص٥٩، والذهبي نفسه (العلو) ص١٢١ وهو بمختصره ص١٧٧.

(٣) أخرجه البخاري (٧١٣١) ومسلم (٢٩٣٣) .

(٤) أخرجه وبنحوه مسلم (٢٦٥٤) عن ابن عمرو مرفوعًا، الترمذي (٢١٤٠) من حديث أنس .. كما أخرجه أحمد (٤/ ١٨٢) وابن ماجة (١٩٩) والحاكم (١/ ٥٢٥) وصححه ووافقه الذهبي، وابن مندة في الرد على الجهمية ص٨٧ .

(٥) البخاري (٢٨٢٦) ومسلم (١٨٩٠) .

(٦) وينظر إلى جانب ما ذكرنا: (الرد على الجهمية والزنادقة) للإمام أحمد بن حنبل، و(صفة العلو) لابن قدامة ص٢٤، و(طبقات الحنابلة) لابن أبي يعلى ١/ ٨٣ و(اجتماع الجيوش) ص١٦٥ و(عقيدة الشافعي) للبرزنجي ص ٨٨ .

١١) ومن معتقدات الإمام الشافعي ما في رواية البرزنجي وغيره عنه من: "أن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق، والكلام في اللفظ والوقف بدعة" .. وزاد أحمد في (الرد على الجهمية والزنادقة) قوله: "إنما خلق الله الخلق بـ(كن)، فإن كانت (كن) مخلوقة؛ فكأن مخلوقًا خُلق بمخلوق" .

١٢) وما رواه الحافظ الذهبي عنه في (السير) أيضًا ١٠/ ١٨، من قوله: " القرآن كلام الله، مَن قال: (مخلوقٌ) فقد كفر"، وفي رواية للالكائي في (شرح أصول السنة) ١/ ٢٢٧ والبيهقي في (الأسماء والصفات) ص٣٥٧ وغيرهما عن الربيع بن سليمان: "فهو كافر"، وأخرى لمن قالها: "كفرت بالله العظيم" حتى إن الشافعي أراد قتله .. أورد ذلك اللالكائي والبيهقي أثناء ذكره للعديد من الروايات خرّجها الربيع والمزني وأبو شعيب المصري عن الإمام الشافعي.

وكان البيهقي قد علق في (معرفة السنن والآثار) ١/ ١٩١على بعض هذه الأخبار بقوله: "وكل من لم يقُلْ من أصحابنا بتكفير أهل الأهواء من أهل القبلة، فإنه يَحمل قول السلف في تكفيرهم؛ على أنه: (كفر دون كفر) وهو المروي عن ابن عباس في تفسير الآية ٤٤ من سورة المائدة"، أي: كفر عملي لا يُخرج من الملة.

١٣) وما أخرجه البيهقي في (مناقب الشافعي) ١/ ٤٠٨، عن أبي محمد الزبيري قال: «قال رجل للشافعي أخبرني عن القرآن خالق هو؟؛ قال الشافعي: (اللهم لا)، قال: فمخلوق؟؛ قال الشافعي: (اللهم لا)، قال: فغير مخلوق؟؛ قال الشافعي: (اللهم نعم)، قال: فما الدليل على أنه غير مخلوق؟ فرفع الشافعي رأسه وقال:

(تُقر بأن القرآن كلام الله؟)، قال: نعم، قال الشافعي: (قال الله تعالى: {وَإِنْ أَحدٌ من الْمُشْرِكِين اسْتَجارَكَ فَأَجِرهُ حتَّى يسْمعَ كَلَامَ اللَّهِ} [التوبة: ٦]، {وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا} [النساء: ١٦٤]، قال الشافعي: فتقرُّ بأن الله كان وكان كلامه، أو كان الله ولم يكن كلامه؟)، فقال الرجل: بل كان الله وكان كلامه، فتبسم الشافعي وقال: (يا كوفيون إنكم لتأتوني بعظيم من القول؛ إذا كنتم تُقرُّون بأن الله كان قبل القبل وكان كلامه، فمن أين لكم القول بأن: الكلام الله، أو سوى الله، أو غير الله، أو دون الله؟)، فسكت الرجل وخرج»

١٤) ومما ورد عن الشافعي بحق إثبات تكليم الله لموسى عليه السلام على خلاف ما يدين الأشعرية الله به: ما أخرجه ابن عبد البر في (الانتقاء) ص١٣٢ عن الجارودي، قال: «ذُكر عند الشافعي إبراهيم بن إسماعيل ابن عُليَّة، فقال: أنا مخالف له في كل شيء .. أنا أقول: (لا إله إلا الله الذي كلّم موسى عليه السلام تكليمًا من وراء حجاب)، وذلك يقول: (لا إله إلا الله الذي خلق كلامًا أسمعه موسى من وراء حجاب)».

يَرُدُّ بكل ذلك على الأشعرية وغيرهم ممن ادَّعوا أن القرآن مُنَزَّه عن النزول والحرف والصوت واللفظ، وكذا من قال بخلق القرآن أو توقف عن القول بأنه غير مخلوق، أو قال: (لفظي بالقرآن مخلوق) لكونها عبارة ملبسة .. أو اعتقد بأن الله لم يكلم موسى وإنما خلق الكلام والصوت في الشجرة؛ وأن موسى سمع من الشجرة لا من الله، ولا ندري بأي منطق تقول الشجرة {كُن}، أو تقول لموسى: {إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري} [طه: ١٤]؟! .

كما يردُّ به على من عطل من المتكلمة صفات (الفوقية) و(الاستواء) و(العلو) و(النزول) و(رؤيته يوم القيامة من جهة)، على الرغم من ردِّ أهل السنة بأن ذلك كله ثابت له سبحانه على الوجه الذي يليق بجلاله على ما جاء في قوله: {ليس كمثله شيء} [الشورى: ١١] وبحيث لا يحويه مكان ولا زمان لكونه خالق المكان والزمان.

١٥) ومما تضافر عن الإمام الشافعي قوله بحق الأشعرية وعموم أهل الكلام: "حُكمي في أصحاب الكلام أن يضرَبوا بالجريد، ويحمَلوا على الإبل، ويُطاف بهم في العشائر والقبائل، ويُنادى عليهم: هذا

جزاءُ مَن ترك الكتاب والسنَّة وأقبل على الكلام"(١).. وأضاف الذهبي في السير ١٠/ ٢٩ لهذه الصيغة صيغةً أخرى للشافعي ونصها: "مذهبي في أهل الكلام تقنيعُ رءوسهم بالسياط وتشريدهم في البلاد" .

١٦) وأخرج الهروي في (ذم الكلام) – والذهبي في السير ١٠/ ٣١ – قوله: «لو أن رجلًا أوصى بكتبه من العلم لآخر، وكان فيها كتب الكلام، لم تدخل في الوصية لأنه ليس من العلم»، وقوله: «ما ناظرت أحدًا في الكلام إلا مرة؛ وأنا أستغفر الله من ذلك»، وكذا قوله: «لو أردتُ أن أضع على كل مخالف كتابا كبيرًا لفعلت، ولكن ليس الكلام من شأني، ولا أحب أن ينسب إليَّ منه شيء»، وقوله: "لأن يبتلي الله المرء بما نهى الله عنه – خلا الشرك بالله – خير من أن يبتليه بالكلام».. وهي في (آداب الشافعي ومناقبه) ص ١٨٧ بلفظ: "خير له من يلقاه بشيء من الأهواء".. وزاد ابن أبي حاتم في ص ١٨٢: "ولقد اطلعتُ من أصحاب الكلام على شيء ما ظننتُ أن مسلمًا يقول ذلك"،

١٧) كما أخرج ابن بطة في (الإبانة الكبرى) عن أبي ثور – وبنحوه البيهقي في (آداب الشافعي) لابن أبي حاتم ص ١٨٦ و(السير) للذهبي ١٠/ ١٨، ٢٧– قوله: «ما رأيت أحدًا ارتدى شيئًا من الكلام فأفلح»، وفي السير أيضًا ١٠/ ٢٨ للشافعي قوله: "المِراء في الدين يُقَسِّي القلب ويورث الضغائن" .

١٨) وقال محمَّد بن عبد الله بن عبد الحكم – كما في (الحلية) ٩/ ١١١ و(السير) ١٠/ ١٦، ١٨ والانتقاء ص١٣٢–: سمعت الشَّافعي يقول: "لو علِم الناس ما في الكلام والأهواء، لفرُّوا منه كما يفرُّون من الأسد".

جـ - ومما قاله الشافعي في سائر قضايا التوحيد والاعتقاد:

١٩) أن "الإيمان قولٌ وعملٌ، يزيد وينقص"؛ كذا في معتقده من رواية أبي شعيب وأبي ثور، وقد أخرجه الذهبي في السير ١٠/ ٣٢، وهي في وصيته من رواية ابن هشام البلدي عنه، بلفظ: "وأشهد أن الإيمان: قول وعمل ومعرفة بالقلب، يزيد وينقص"، وزاد البرزنجي – وبنحوه ابن أبي حاتم في (آداب الشافعي) ص١٩١ واللالكائي في أصول السنة ٢/ ٧٥٤– استدلال الشافعي في هذا بقوله تعالى: {ليزدادوا إيمانًا} [الفتح: ٤]، وبقوله هو بعدُ: "ليس على أهل الإرجاء أحج من هذه الآية: {وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة} [البينة: ٥]" .

وأخرجه ابن عبد البر في (الانتقاء) ص١٣٥ بلفظ: "الإيمان: قول وعمل واعتقاد بالقلب، ألا ترى قول الله عز وجل: (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ) [البقرة: ١٤٣]، يعني: صلاتكم إلى بيت المقدس؛ فسمى الصلاة إيمانًا وهي قول وعمل وعقد» .

والأشعرية بذلك – وبخاصة الشافعية منهم – يخالفون شيخهم ويناقضونه في معتقده، إذ هم من يرون الإيمان – كما في شرح الطحاوية ص ٢٧٥ –: مجرد (اعتقاد بالقلب) وزاد بعضهم: (وإقرار باللسان) ما جعلهم لا يُدخلون العمل في مسمى الإيمان؛ ويجيزون لأفجر واحد منهم أن يقول: (إيماني كإيمان أبي بكر بل كإيمان الأنبياء والمرسلين وجبريل وميكال عليهم السلام).

٢٠) وأن "من حلف بالله أو باسم من أسمائه فحنث فعليه الكفارة، ومن حلف بشيء غير الله مثل أن يقول الرجل: (والكعبة، وأبي، وكذا وكذا، ما كان)، فحنث فلا كفارة عليه، ومثل ذلك قوله: (لعَمْري) .. لا كفارة عليه، وكلُّ يمين بغير الله فهي مكروهة منهيٌّ عنها من قِبَلِ قول الرسول – صلى الله عليه وسلم في الحديث المتفق عليه –: (إن الله عزّ وجل نهاكم أن تحلفوا بآبائكم، فمن كان حالفًا فليحلف بالله أو ليسكت»، وعلل الشافعي لذلك بأن أسماء الله غير مخلوقة، فمن حلف باسم الله فحنث فعليه الكفارة(٢).

---

(١) ينظر (مناقب الشافعي) للبيهقي ١/ ٤٦٢، و(ذم الكلام وأهله) ٦/ ٨٥، و(مناقب الشافعي) لابن كثير ص١٨٦، و(الانتقاء) ص١٣٤، و(عقيدة الشافعي) للبرزنجي ص٨٨ .

(٢) كذا ذكره البيهقي في (مناقب الشافعي) ١/ ٤٠٤، ٤٠٥ و(الأسماء والصفات) ص٣٦٢، وبنحوه: ابن أبي حاتم في (آداب الشافعي) ص ١٩٣وأبو نعيم في (الحلية) ٩/ ١١٣ والبيهقي في (الأسماء والصفات) ص٢٥٥ والبغوي في شرح السنة ١/ ١٨٨ والذهبي في (السير) ١٠/ ١٩، ٥٤ و(العلو) ١٢١ و(مختصره) للألباني ص٧٧١ .

٢١) وكان اللالكائي قد خرّج بسنده في (شرح أصول السنة) ١/ ٦١٨ عن المُزَني قوله: «قال الشافعي: (تدري ما القدري؟، القدري الذي يقول إن الله لم يخلق الشيء حتى عُمل به)، قال المزني والشافعي بكفره"

٢٢) كما أورد البيهقي في (مناقب الشافعي) ١/ ٤١٥ أن الشافعي قال: «إن مشيئة العباد هي إلى الله تعالى؛ ولا يشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين، فإن الناس لم يخلقوا أعمالهم؛ وهي – أي: أفعال العباد – خَلْق من خلقِ اللهِ، وإن القدر خيره وشره من الله عز وجل(١) .. وإن عذاب القبر حق، ومساءلة أهل القبور حق، والبعث حق، والحساب حق، والجنة والنار حق، وغير ذلك مما جاءت به السنن».

٢٣) وأورد بنفس المصدر ١/ ٤١٢ عن الربيع بن سليمان، قول الشافعي – وقد «سُئل عن القدر – فقال:

ما شئتَ كان وإن لم أشأ * وما شئتُ إن لم تشأ لم يكن
خلقتَ العباد على ما علمتَ * ففي العِلم يجري الفتى والمُسِن
فمنهم شقي ومنهم سعيد * ومنهم قبيح ومنهم حسن
على ذا مننتَ وهذا خذلتَ * وذاك أعنتَ وذا لم تُعن"

٢٤) وفي معتقده من رواية أبي شعيب وأبي ثور، قوله: "وأرضى بقضاء الله وقدره وإرادته، بخيره وشره جميعًا، وهما مخلوقان مقدَّران على العباد من الله، فمن شاء الله أن يكفر كفر، ومن شاء أن يؤمن آمن، ولم يرض عز وجل بالشرِّ ولا يأمر به ولا يحبه، بل أمر بالطاعة وأحبها ورضيها، ولا أُنزل المحسن من أمة محمد الجنة بإحسانه، ولا المسيء بإساءته النار" .

٢٥) ونقل الربيع عن الشافعي قوله: "لم أرَ أحدًا من أصحاب الأهواء أشهَدَ بالزور؛ مِن الرافضة"(٢).

٢٦) وقوله له: "أقبل مني ثلاثةً: لا تخوضَنَّ في أصحاب رسول الله؛ فإنَّ خَصمَك النبيُّ صلى الله عليه وسلم غدًا، ولا تشتغل بالكلام؛ فإني قد اطلعتُ من أهل الكلام على التعطيل، ولا تشتغل بالنجوم" (السِّيَر) ١٠/ ٢٨.

٢٧) وعن فضل الصحابه أورد البيهقي في (مناقب الشافعي) ١/ ٤٤٢ قول الشافعي: «أثنى الله على أصحاب رسول الله في القرآن والتوراة والإنجيل، وسبق لهم على لسانه صلى الله عليه وسلم من الفضل ما ليس لأحد بعدهم، فرحمهم الله وهنأهم بما أتاهم من ذلك ببلوغ أعلى منازل الصديقين والشهداء والصالحين، فهم أدوا إلينا سُنن رسول الله وشاهدوه والوحي ينزل عليه، فعلموا ما أراد صلى الله عليه وسلم عامًّا وخاصًّا وعزمًا وإرشادًا، وعرفوا من سُنته ما عرفنا وجهلنا، وهم فوقنا في كل علم واجتهاد وورع وعقل، وفي كل أمر استُدرك به علم واستنبط به، وآراؤهم لنا أحمد وأولى بنا من آرائنا عندنا لأنفسنا»(٣).

٢٨) وأخرج البيهقي في (مناقب الشافعي) ١/ ٤٣٣ عن محمد بن عبد الله بن عبد الحكم(٤) قال: «سمعت الشافعي يقول: أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم: أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم»(١).

---

(١) وهي في عقيدة الشافعي للبرزنجي ص٩١ بلفظ: "وأن لله إرادة، وأنه لا يكون إلا ما أراده عز وجل وقضاه وقدره، وأن المشيئة له دون عباده بقول الله تعالى: {وما تشاءون إلا أن يشاء الله} [الإنسان: ٣٠]، فأعلم خلقه أن المشيئة له" .. وينظر في ذلك: (مناقب الشافعي) للبيهقي ١/ ٤١٢ وما بعدها و(البداية والنهاية) ١٠/ ٢٥٤ و(مناقب الشافعي) لابن كثير ص١٩١.

(٢) ينظر (آداب الشافعي) ص١٤٤، ١٤٥ و(حلية الأولياء) ٩/ ١١٤ و(مناقب الشافعي) للبيهقي ١/ ٤٦٨ والانتقاء لابن عبد البر ص٧٩، والسِّير للذهبي ١٠/ ٨٩ .

(٣) وعبارته لدى البرزنجي ص٩٢ بلفظ: "وأعرف حق السلف الصالح الذين اختارهم الله لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم، وآخذ بفضائلهم، وأُمسك عما شجر بينهم كبيرهم وصغيرهم، فتلك دماء طهر الله يدي منها فلا أريد أن أخلط لساني، وأتولاهم وأستغفر لهم ولأهل الجمل وصفين؛ القاتلين والمقتولين، وجميع أصحاب رسول الله أجمعين .

(٤) هو محمد بن عبد الله بن عبد الحكم المصري أبو عبد الله، قال عنه الشيرازي: «صحب الشافعي وتفقه به وحمل في المحنة إلى بغداد إلى ابن أبي دؤاد ولم يجب إلى ما طلب منه ورد إلى مصر ... مات في سنة اثنتين وستين ومائتين»، طبقات الفقهاء ص٩٩ وانظر ترجمته في طبقات الشافعية لابن هداية الله ص٣٠ وشذرات الذهب (١٥٤/٢)

٢٩) وأخرج الهروي عن يوسف بن يحيى البويطي قال: «سألت الشافعي أصلي خلف الرافضي؟؛ قال: (لا تصل خلف الرافضي، ولا القدري، ولا المرجئ)، قلت: صفهم لنا، قال: (من قال: الإيمان قول فهو مرجئ، ومن قال: إن أبا بكر وعمر ليسا بإمامين فهو رافضي، ومن جعل المشيئة إلى نفسه فهو قدري)»إ.هـ وينظر في شأنه (السير) ١٠/ ٣١

٣٠) ومما ورد في معتقده من رواية أبي شعيب وأبي ثور، قوله: "لا أكفر أحدًا من أهل التوحيد بذنب وإن عمل الكبائر، وأكِلُهم إلى الله عز وجل .. والشفاعة لأهل الكبائر من أمة محمد صلى الله عليه وسلم".

٣١) "والجهاد ماض مع كل بر وفاجر، وصلاة العيدين والجمعة إلى يوم القيامة .. والدعاء لأئمة المسلمين بالصلاح، ولا يُخرج عليهم بالسيف".

٣٢) ومما جاء في وصيته من رواية ابن هشام البلدي – وبنحوه في رواية البرزنجي ص٩٢ – قوله: "السمع والطاعة لأولي الأمر ما داموا يصلُّون، والولاة لا يُخرج عليهم بالسيف، والخلافة في قريش".

٣٢) وكان البرزنجي في روايته قد أعقب ذلك بقول الشافعي: "وأوصي بتقوى الله ولزوم السنة والآثار عن رسول الله وأصحابه، وترك البدع والأهواء واجتنابها"، وبختمه معتقده بقوله: "الإيمان بهذا كله حق، فمن ترك من هذا شيئًا فهو مخالف لكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، فاتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون، فإنها وصية الله تعالى في الأولين والآخرين".

= هذا، وقد توفي الشافعي رحمه الله ليلة الجمعة آخر يوم رجب سنة ٢٠٤ .. يقول محمَّد بن يحيى المزني: (دخلت على الشَّافعي في مرضه الذي مات فيه، فقلت: يا أبا عبد الله، كيف أصبحتَ؟ فرفع رأسه، وقال: أصبحت من الدنيا راحلًا، ولإخواني مفارقًا، ولسوء عملي ملاقيًا، وعلى الله واردًا، ما أدري روحي تصير إلى جنةٍ فأهنِّيها، أو إلى نارٍ فأعزِّيها، ثم بكى وأنشأ يقول:

ولَمّا قسا قلبي وَضاقَت مَذاهِبي * جعلتُ الرَجا منّي لِعَفوِكَ سُلَّما
تَعاظَمَني ذنبي فلما قَرَنتُهُ * بِعفوِك رَبّي كان عفوُكَ أَعظَما
فَما زِلت ذا عفوٍ عَنِ الذنبِ لَم تزَل * تجودُ وتعفو مِنَّةً وَتَكَرُّما)

وبوسعنا في نهاية رحلتنا مع الشافعي، ومن قبلُ مع أبي حنيفة ومن بعد مع مالك؛ أن نقرر ونؤكد أنهم كانوا ممن يقول بإثبات الصفات، وليس كما ادَّعى فضيلة شيخ الأزهر من أن الأمر في إثباتها وعدم تأويلها كان قاصرًا على الحنابلة .. رحم الله الإمام الشَّافعي، وجمعنا معه في الفردوس الأعلى من الجنة مع النبيِّين والصِّدِّيقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقًا .

****

(١) وقد أفاض البرزنجي ص٩٣ في ذكر المزيد من ذلك من أقوال الشافعي .. فليراجع هنالك.

المبحث الثالث
جولة حول معتقد من تلقى الشافعي منهم ومن تلقوا عنه

أولًا: من تلقى الشافعي عنهم معتقده

على أن ما دان الشافعي – رحمه الله – به ربه، إنما تلقاه بالطبع عن شيوخه الذين هم في معتقداتهم على طليعة أئمة اهل السنة والجماعة .. ونذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر:

=**الفضيل بن عياض** شيخ الحرم ت١٨٧(١)، والذي جاء ذكر معتقده في (اجتماع الجيوش)، وفيه ضمن ما فيه قوله رحمه الله: "(ليس لنا أن نتوهم في الله كيف وكيف؟، لأن الله وصف نفسه فأبلغ؛ فقال: {قل هو الله أحد. الله الصمد. لم يلد ولم يولد. ولم يكن له كفوا أحد}، فلا صفة أبلغ مما وصف الله به نفسه.

وكذا النزول والضحك والمباهات والاطلاع كما شاء أن ينزل وكما شاء أن يباهي وكما شاء أن يطلع وكما شاء أن يضحك، فليس لنا أن نتوهم كيف وكيف؟)، وإذا قال لك الجهمي: (أنا كفرت برب ينزل عن مكانه) فقل أنت: (أنا أومن برب يفعل ما يشاء)، وقد ذَكَرَ هذا الكلام الأخير عن الفضيل: البخاري في كتاب (خلق الأفعال) فقال: وقال الفضيل بن عياش إذا قال لك الجهمي .. فذكر قول يحيى بن معاذ الرازي؛ قال: (الله تعالى على العرش بائن من الخلق، قد أحاط بكل شيء علمًا وأحصى كل شيء عددًا، ولا يشك في هذه المقالة إلا جهمي رديء، ضليل وهالك مرتاب يمزج الله بخلقه ويخلط الذات بالأقذار والأنتان)".

كما حكى اللالكائي عنه في أصول السنة ١/ ٢١٦ وقد سئل عن القرآن، قوله: "القرآن كلام الله غير مخلوق، كذلك بلغنا عن أيوب السختياني وسليمان التيمي"

= وكان الشافعي قد أخذ عن **وكيع بن الجراح** عالم الكوفة ت١٩٧، ووكيع هذا؛ ترجم له الذهبي في العلو ص١١٧ – وبمختصره ص١٦٨ – ونقل عنه قوله: "أدركنا الأعمش والثوري يحدثون بهذه الأحاديث ولا ينكرونها"، وذلك على إثر قُشَعْرِيرة رجل كان عنده وقد حُدِّث بحديث: (إذا جلس الرب جلا جلاله على الكرسي)، فغضب وكيع وذكره.

كما نقل الذهبي قوله – فيما رواه عنه يحيى بن يحيى التميمي –: "من شك ان القرآن كلام الله – يعني: غير مخلوق – فهو كافر، ومن لم يشهد أنه منزل غير مخلوق فهو كافر بالإجماع"(٢) .. وقوله – فيما رواه عنه أحمد الدورقي –: "نسلم بهذه الأحاديث كما جاءت، ولا نقول: (كيف كذا) ولا (لم كذا)، يعني: مثل حديث: (يَحمل السموات على إصبع) و(قلب ابن آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن) .. كذا هو معتقد شيخ مالك

وكان أن أثير لغط وجدل حول ما إذا كان الشافعي أخذ عن وكيع أم لا؟، بل وما إذ كانت الأبيات التي شكا فيها الشافعي إليه سوء حفظه، هي للشافعي أم لا؟ تلك الأبيات التي يقول الشافعي في مطلعها:

(شكوت إلى وكيع سوء حفظي * فأرشدني إلى ترك المعاصي

وأخبرني بأن العلم نور * ونور الله لا يُهدى لعاصي).

والحق ألا مجال – عند التحقيق – لهذا التشكيك، وبخاصة ما عرف عن وكيع من أنه أحد الثقات الأعلام المشهورين بقوة الحفظ(٣)، فقد ذكر أبو معاوية البيروتي أن دعوى أن وكيعًا لم يكن من شيوخ الشافعي،

---

(١) ذكر ذلك الحافظ الذهبي في كتابه السير ١٠/ ٦.

(٢) وهي في أصول السنة للالكائي ١/ ١٩٩ بلفظ: "(من زعم أن القرآن مخلوق، فقد زعم بأن شيئًا من الله مخلوق .. لأن الله تعالى يقول: {ولكن حق القول مني} [السجدة: ١٣]، ولا يكون من الله شيء مخلوق)، وكذلك فسره أحمد بن حنبل ونعيم بن حماد والبزاز وابن يحيى الكناني" .. وبنفس المصدر ١/ ٤٢١ قول وكيع عن الرؤية: "يراه المؤمنون في الجنة؛ ولا يراه إلا المؤمنون"

(٣) قال عنه أحمد بن حنبل: (كان وكيع مطبوع الحفظ، كان حافظًا)؛ وقال يحيى بن معين: (ما رأيت أحدًا أحفظ من وكيع)، وقال علي بن خشرم: (ما رأيت بيد وكيع كتابًا قط، إنما هو حفظ، فسألته عن أدوية الحفظ، فقال: إن علمتك الدواء استعملتَه؟ قلت: إي والله، قال: ترك المعاصي، ما جربت مثله للحفظ)، وقال أبو سعيد الأشج: (ما رأينا في قريتنا هذه – يعني الكوفة – أحفظ من وكيع بن الجراح).

يردّها: أن الشافعي حدَّث عن وكيع بن الجراح في أكثر من عشرة مواضع في كتابه (الأم)، وأولها في كتاب الصدقات حيث قال: (أخبرنا وَكِيعُ بن الْجَرَّاحِ أو ثِقَةٌ غَيْرُهُ أو هُمَا عن زَكَرِيَّا بن إِسْحَاقَ) .

وأما عن نسبة الأبيات التي نسبت للشافعي والمذكورة آنفًا، فأقدم من نسبها للشافعي هو الخطيب البغدادي ت ٤٦٣ هـ في كتابه (الجامع لأخلاق الراوي) حيث قال: أنشدنا أبو طالب يحيى بن علي الدسكري ت ٤٣١ هـ لبعضهم .. فذكرها، وابن القيم ت ٧٥١ هـ في (الجواب الكافي) .

وعليه فأخذ الشافعي عن وكيع وكونه من مشايخه ليس ببعيد، بل المستبعد أن يُعاصره مدة طويلة؛ ويكون عمرُ الشافعي حين توفي وكيع (٤٧) سنة، ولا يأخذ عنه، مع سعة علم وكيع وشهرته، ومع حرص الشافعي وتفانيه في أخذ العلم عن الصغير والكبير.

وكان وكيع بن الجراح بن مليح بن عدي بن فرس بن جمجمة بن سفيان بن الحارث بن عمرو بن عبيد بن رؤاس الإمام الحافظ محدث العراق أبو سفيان الرؤاسي الكوفي، قد عُرف بإقبال الطلبة عليه وتَصَدُّرِه لمجلس تحديث الثوري، إلا أن ذلك لم يشغله عن حاله مع ربه، فقد كان عابدا زاهدًا، يديم الصوم في السفر والحضر ويختم القرآن في الأسبوع الواحد عدة مرات، كما كان مدمنًا لقيام الليل مشتغلًا بالأوراد والأذكار لا يضيع لحظة من وقته هدرًا، وكان يقسم يومه على نفع نفسه والناس.

عرض الرشيد منصب القضاء على وكيع عدة مرات فرفض بشدة، وكان منصرفًا عن السلطان ومجالسه مثل أستاذه الثوري؛ بل كان مجافيًا حتى لمن يتلبس بشيء من أمور السلطان؛ فلقد هجر أقرب أصدقائه – وهو حفص بن غياث – لمّا تولى منصب القضاء.

=**وعن سفيان بن عيينة**، أحد الأعلام ت١٩٨ وأحد من تلقوا عن مالك بن أنس، فقد روى عنه اللالكائي ١/ ٤٢٠ والحافظ الذهبي في السير ١٠/ ٦ والعلو ص ١١٥ – وهو بمختصره ص١٦٤ – قوله وقد سأله رجل ما تقول في القرآن؟: "كلام الله منه خرج وإليه يعود" .. وقوله وقد سأله آخر عن أحاديث الرؤية: "حق نرويها على ما سمعناها ممن نثق به ونرضاه" .. وقوله وقد سأله ثالث عن أحاديث: (إن الله يحمل السموات على أصبه .. الحديث)، (وإن الله يعجب أو يضحك ممن يذكره في الأسواق)، وحديث: (إن قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن)(١) –: "هي كما جاء نقِرُّ بها، وَنُحدِّثُ بهَا بِلا كيف".

وقد حكى أبو نصر السُّجَزي عن ابن عيينة وغيره من أهل الحديث: إثبات فوقيته تعالى وعلوه على خلقه .. قال: "وأئمتنا كالثوري ومالك وابن عيينة وحماد بن زيد والفضيل وأحمد وإسحاق متفقون على أن الله فوق العرش بذاته وأن علمه بكل مكان"إ.هـ

ولابن عيينة – فيما ذكره له (البيهقي) في (الأسماء والصفات) ص٤٤٦، وغيره – قوله: "ما وصف الله به نفسه في كتابه فقراءته تفسيره" .. وله – فيما ذكره له (محمد محب الدين أبو زيد) في (جمهرة عقائد أئمة السلف) ص١٥٦ من طريق بكر بن الفرج – قوله: "السُّنَّة عشرة، فمن كن فيه فقد استكمل السنة، ومن ترك منها شيئًا فقد ترك السنة:

إثبات القدر، وتقديم أبي بكر وعمر، والحوض، والشفاعة، والميزان، والصراط، والإيمان قول وعمل، والقرآن كلام الله، وعذابُ القبر، والرؤية – وفي لفظ للالكائي في شرح أصول السنة ١/ ١٤٧: البعث – يوم القيامة"إ.هـ

ثانيًا: أما عن تلامذته فهم كثر .. ونذكر منهم:

=الحميدي أبا بكر عبد الله بن الزبير القرشي الأسدي، صاحب المسند ومفتي أهل مكة وعالمهم بعد شيخه سفيان بن عيينة، وهو شيخ البخاري وإمام أهل الفقه والحديث في وقته؛ توفي سنة ٢١٩ .. ترجم له الذهبي في العلو ص١٢٢ – وهو بمختصره ص١٨٠ – ونقل عنه قوله: "أصول السنة عندنا" – وذكر أشياء؛ ثم قال –:

---

(١) سبق تخريجه .

"وما نطق به القرآن والحديث مثل قوله تعالى: {وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان} [المائدة: ٦٤] ومثل قوله: {والسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمينِهِ} [الزمر: ٦٧] وما أشبه هذا من القرآن والحديث، لا نزيد فيه ولا نفسره – يعني: تفسير الجهمية – ونقف على ما وقف عليه القرآن والسنة؛ ونقول: {الرَّحمَنُ عَلَى الْعَرشِ اسْتَوَى} ومن زعم غير هذا فهو مبطل جهمي"، والمعتقد بتمامه مطبوع ضمن متون (الجامع الفريد) لإسلام محمد هيبة، وألحقه بعضهم بمعتقد البربهاري.

=**وأبا عبيدة القاسم بن سلام** ت٢٢٤، ترجم له الذهبي في العلو ص١٢٧ – وهو بمختصره ١٨٥ – فقال: "كان أبو عبيدة من أئمة الاجتهاد، رأسًا في اللغة، حسبك أن إسحاق بن راهويه قال: (الله يحب الإنصاف، أبو عبيدة أعلم مني ومن الشافعي ومن أحمد) .. وقد ألف كتاب (غريب الحديث) وما تعرض لأخبار الصفات بتفسير، بل عنده أن لا تفسير لذلك غير موضع الخطاب العربي" .. وكان مما نقله عنه الذهبي(١) قوله – وقد ذَكَرَ الباب الذي يروى فيه حديث الرؤية، والكرسي، وموضع القدمين، وضحك ربنا، وحديث (أين كان ربنا) –:
"ولكن إذا قيل لنا: كيف وضع قدمه وكيف يضحك؟ قلنا: لا نفسر هذا ولا سمعنا أحدًا يفسره" يعني: على غير وجهه وكما يفعل المعتزلة والمتأولة .

= والفقيه **أبا ثور إبراهيم بن خالد الكلبي**، أحد أئمة العلم والاجتهاد ت٢٤٠، ترجم له الذهبي في العلو ص١٣٤ – وهو بمختصره ص١٩٨ – ونقل عنه قوله: "من زعم أن القرآن مخلوق فهو كافر بالله، ولا يكون الرجل صاحب سنة .. حتى يقول: القرآن غير مخلوق، ويقول: الإيمان قول وعمل يزيد وينقص" .. وقوله ص١٠٤: "سمعت الشافعي يقول: (كان مالك إذا جاءه بعض أهل الأهواء يقول: أما إني على بينة من ديني، وأما انت فَشَاكٌّ، فاذهب إلى شاكٍّ مثلك فخاصمه".. وهو مَن روى عن الشافعي – فيما سبق ذكره – معتقده، وروى عنه قوله: "ما ارتدى أحد بالكلام فأفلح".
ولأبي ثور في (شرح أصول السنة) ١/ ١٦١ وكذا في الجمهرة ص١٧٧؛ معتقدٌ جاء عن طريق سؤال وجواب، رواه عنه: أبو الحسن إدريس بن عبد الكريم، قال: "أرسل رجل من أهل خراسان إلى أبي ثور إبراهيم بن خالد بكتاب، يسأل عن الإيمان ما هو؟ ويزيد وينقص؟ وقول أو قول وعمل؟ أو قول وتصديق وعمل؟ فأجابه:
(إنه التصديق بالقلب والإقرار باللسان وعمل الجوارح) .. وسأله عن القدرية من هم؟ فقال: (إن القدرية من قال: إن الله لم يخلق أفاعيل العباد، وإن المعاصي لم يُقَدِّرْها الله على العباد ولم يخلقها، فهؤلاء قدرية؛ لا يُصلى خلفهم ولا يُعاد مريضُهم ولا تُشهدُ جنائزهم، ويُستتابون من هذه المقالة، فإن تابوا وإلا ضُربت أعناقهم) .. وسألتَ عن الصلاة خلف من يقول: القرآن مخلوق؟ (فهذا كافر بقوله لا يُصلى خلفه، وذلك أن القرآن كلام الله – جل ثناؤه – ولا اختلاف فيه بين أهل العلم، ومن قال: كلام الله مخلوق فقد كفر وزعم أن الله حدث فيه شيء لم يكن) وسألتَ: يخلد في النار أحد من أهل التوحيد؟ (والذي عندنا أن نقول: لا يخلد موَحِّدٌ في النار)"إ.هـ .

= **والإمام عبد العزيز بن يحيى** الكناني صاحب الشافعي ت ٢٤٩، له كتاب في (الرد على الجهمية) قال فيه:
"باب قول الجهمي في قوله تعالى: {الرحمن على العرش استوى} .. زعمت الجهمية أن معنى (استوى): (استولى) من قول العرب: (استوى فاطن على مصر)؛ يريدون: (استولى عليها) .. قال:
فيقال له: (هل يكون خَلْقٌ من خلق الله أتت عليه مدة؛ ليس بمستولٍ عليه؟)، فإذا قال: (لا)، قيل له: (فمن زعم ذلك فهو كافر.. ويقال له: يلزمك أن تقول: إن العرش أتت عليه مدة ليس الله بمستول عليه؛ وذلك لأنه تعالى أخبر أنه خلق العرش قبل السموات والأرض ثم استوى عليه بعد خلقهن، فيلزمك أن تقول: إن المدة

(١) وكذا اللالكائي في (أصول السنة) ١/ ٤٤٣ والبيهقي في (الأسماء والصفات) ص٤٩٦ وغيرهما

التي كان العرش قبل خلق السموات والأرض ليس الله تعالى بمستول عليه فيها، إذ كان استوى على العرش معناه عندك: استولى، فإنما استولى بزعمك في ذلك الوقت لا قبله" .. ثم ذكر كلاما طويلا في تقرير العلو والاحتجاج عليه.

= وممن تمذهب بمذهب الشافعي وأخذ عنه معتقده الذي هو معتقد أهل السنة والجماعة: **المُزَنِي أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى**؛ فقيه الديار المصرية في زمانه، وهو من كبار أصحاب الشافعي في وقته ومن أنبل تلامذته؛ ت٢٦٤ .. ترجم له الذهبي في العلو ص١٣٥، ونقل عنه قوله: "لا يصح لأحد توحيد، حتى يعلم أن الله على العرش بصفاته" .. وله رسالة في (السَّنّة) رواها عنه أبو طاهر السلفي عنه بإسناده؛ وهي بتمامها في الجمهرة ص٢٤٧ وما بعدها، وقد جاء فيها:

"بسم الله الرحمن الرحيم عصمنا الله وإياكم بالتقوى؛ ووفقنا وإياكم لموافقة الهدى، أما بعد: فإنك سألتني أن أوضح لك من السّنّة أمرًا تُصَبِّر نفسَك على التمسك به وتدرأ به عنك شُبه الأقاويل وزيغ محدثات الضالين فقد شرحت لك منهاجًا موضحًا لم آل نفسي وإياك فيه نصحًا بدأت فيه بحمد الله ذي الرشد والتسديد، الحمد الله أحق ما بُدأ وأولى من شُكر وعليه أُثني، الواحد الصمد ليس له صاحبة ولا ولد جل عن المثل ولا شبيه له ولا عديل السميع البصير العليم الخبير المنيع الرفيع، عال على عرشه وهو دان بعلمه من خلقه أحاط علمه بالأمور ونفذ في خلقه سابق المقدور، ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور فالخلق عاملون بسابق علمه ونافذون لما خلقهم له من خير وشر لا يملكون لأنفسهم نفعًا من الطاعة ولا يجدون إلى صرف المعصية عنها دفعًا.

خلق الخلق بمشيئته من غير حاجة كانت به، فخلق الملائكة جميعًا لطاعته وجَبَلَهم على عبادته .. ثم خلق آدم بيده وأسكنه جنته وقَبْلَ ذلك للأرض خلقه، ونهاه عن شجرة قد نفذ قضاؤه عليه بأكلها ثم ابتلاه بما نهاه عنه منها، ثم سلط عليه عدوه فأغواه عليها وجعل أكله إلى الهبوط إلى الأرض سببًا؛ فما وجد إلى ترك أكلها سبيلا؛ ولا عنه لها مذهبا؛ ثم خلق للجنة من ذريته أهلًا فهم بأعمالها بمشيئته عاملون؛ وبقدرته وبإرادته ينفذون، وخلق من ذريته للنار أهلًا فخلق لهم أعينًا لا يبصرون بها وآذانا لا يسمعون بها وقلوبا لا يفقهون بها؛ فهم بذلك عن الهدى محجوبون؛ وهم بأعمال أهل النار بسابق قدره يعملون .

والإيمان قول وعمل وهما سيَّان – أي: مِثلان – ونظامان وقرينان لا يفرق بينهما، فلا إيمان إلا بعمل ولا عمل إلا بإيمان؛ والمؤمنون في الإيمان متفاضِلون وبصالح الأعمال هم متزايدون، ولا يخرجون من الإيمان بالذنوب ولا يُكَفَّرون بركوب كبيرة ولا عصيان؛ ولا يُوجَبُ لمحسنهم غير ما أوجب له النبي صلى الله عليه وسلم، ولا يُشهد على مسيئهم بالنار.

والقرآن كلام الله ومن الله وليس بمخلوق فيبيد، وقدرة الله ونعمته وصفاته كلها غير مخلوقات، دائمات أزلية ليست بمحدثات فتبيد؛ ولا كان ربنا ناقصا فيزيد، جلت صفاته عن شبه المخلوقين وقَصُرَتْ عنه فِطَنُ الواصفين، قريب بالإجابة عند السؤال؛ بعيد بالبعد لا ينال، عال على عرشه؛ بائن من خلقه، موجود ليس بمعدوم ولا مفقود .

والخلق ميتون بآجالهم عند نفاد أرزاقهم وانقطاع آثارهم؛ ثم هم بعد الضغط في القبور مسئولون؛ وبعد البلى منشورون ويوم القيامة إلى ربهم محشورون، وعند العرض عليه محاسبون .. وهو أسرع الحاسبين .. إلى أن قال:

وأهل الجنة يومئذ يتنعمون وبصنوف اللذات يتلذذون وبأفضل الكرامة يحبرون، فهم حينئذ إلى ربهم ينظرون؛ لا يمارون في النظر إليه ولا يَشُكُّون، فوجوههم بكرامته ناضرة وأعينهم بفضله إليه ناظرة .. وأهل الجَحْدِ عن ربهم يومئذ لمحجوبون وفي النار لمسجَّرون .. لا يقضي عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها؛ إلا من شاء الله إخراجه من الموحدين منها.

والطاعة لأُولِي الأمر فيما كان عند الله عز و جل مُرْضِيًا واجتناب ما كان مُسْخِطًا، وترك الخروج عند تعديهم وجورهم، والتوبة إلى الله كيما يَعطِفُ بهم على رعيتهم، والإمساك عن تكفير أهل القبلة والبراءة

منهم فيما أحدثوا ما لم يبتدعوا ضلالة؛ فمن ابتدع منهم ضلالة، كان على أهل القبلة خارجًا ومن الدين مارقًا؛ ويُتقربُ إلى الله بالبراءة منه، ونهجرُه ونتجنب عُرَّتَهُ – أي: بدعته – فهي أعدى من عُرَّةِ الجرب.

ويُقال بفضل خليفة رسول الله ثم عمر، فهما وزيرا رسول الله وضجيعاه، ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم أجمعين، ثم الباقين من العشرة الذين أوجب لهم رسول الله الجنة؛ ويُخلِص لكلِّ رجلٍ منهم من المحبة بقدر الذي أوجبه له رسول الله من يوم التفضيل لسائر أصحابه من بعده، ويُقال بفضلهم ويُذكرون بمحاسن أفعالهم ويُمسك عن الخوض فيما شجر بينهم، وهم خيارُ أهلِ الأرض بعد نبيهم؛ اختارهم الله وجعلهم أنصارًا لدينه، فهم أئمة الدين وأعلام المسلمين.

ولا تُترك حضور صلاة الجمعة وصلاة مع بَرَ هذه الأمة وفاجرها ما كان من البدعة بريًّا، والجهاد مع كل إمام عَدْلٍ أو جائر والحج .. وقصر الصلاة في الأسفار والتخيير فيه بين الصيام والإفطار.

هذه مقالات اجتمع عليها الماضون الأولون من أئمة الهدى؛ وبتوفيق الله اعتصم بها التابعون قدوة ورضا؛ وجانبوا التكلف فيما كفوا فسُدِّدوا بعون الله ووُفِّقوا، لم يرغبوا عن الاتباع فيُقَصِّروا، ولم يجاوزوا فيَعْتدوا فنحن بالله واثقون وعليه متوكلون، وإليه في اتِّباع آثارهم راغبون".

وختم يقول: "فهذا شرح السنة تحريتُ كشفها وأوضحتُه، فمن وفقه الله للقيام بما أبنته مع معونته له بالقيام على أداء فرائضه بالاحتياط في النجاسات وإسباغ الطهارات على الطاعات وأداء الصلوات على الاستطاعات وإيتاء الزكاة على أهل الجِدّات، والحج على أهل الجدة والاستطاعات، وصيام شهر رمضان لأهل الصِّحات؛ وخمس صلوات سنها رسول الله والوتر في كل ليلة وركعتا الفجر وصلاة الفطر والنحر وصلاة الكسوف وصلاة الاستسقاء واجتناب المحارم والاحتراز من النميمة؛ والكذب والغيبة؛ والبغي بغير الحق وأن يقول على الله ما لا يعلم، كل هذه كبائر محرمات والتحري في المكاسب والمطاعم والمحارم والمشارب والملابس واجتناب الشهوات فإنها داعية لركوب المحرمات، فمن رعى حول الحمى فإنه يوشك أن يقع في الحمى، ومن يُسِّرَ لهذا؛ فإنه من الدين على هدى، ومن الرحمن على رجا، وفقنا الله وإياك إلى سبيله الأقوم بمنِّه الجزيل الأقدم؛ وجلاله العلي الأكرم(١)"إ.هـ.

=**وأبو العباس أحمد بن عمر بن سريج**، فقيه العراق ت٣٠٦، ترجم له الحافظ الذهبي في العلو ص١٥٢ قائلًا عنه: "إليه المنتهى في معرفة المذهب، بحيث أنه كان يُفَضَّل على جميع أصحاب الشافعي، حتى على المزني، قال الإمام أبو إسحاق صاحب التنبيه: سمعت أبا الحسن الشيرجي يقول: إن فهرست كتب أبي العباس تشتمل على أربعمائة مصنف، وكان العلامة أبو حامد الاسفراييني يقول: نحن نجري مع أبي العباس في ظواهر الفقه دون الدقائق".

وكان أن نقل عنه بعض ما قاله، وأنا آتيك بتمام كلامه كما جاء في (اجتماع الجيوش) ص ٦٢ مع تصرف يسير .. يقول رحمه الله – وقد سؤل عن صفات الله تعالى –:

"حرام على العقول أن تمثل الله تعالى، وعلى الأوهام أن تحدَّه .. وعلى الألباب أن تصفه إلا بما وصف به نفسه في كتابه أوعلى لسان رسوله، وقد صح عن جميع أهل الديانة؛ والسنة والجماعة؛ من: السلف الماضين؛ والصحابة والتابعين من الأئمة المهتدين الراشدين المشهورين إلى زماننا هذا:

أن جميع الآي الواردة عن الله تعالى في ذاته وصفاته، والأخبار الصادقة الصادرة عن رسول الله في الله وفي صفاته التي صححها أهل النقل وقبلها النقاد الأثبات، يجب على المرء المسلم المؤمن الموفق: الإيمان بكل واحد منه كما ورد؛ وتسليمُ أمره إلى الله كما أمر؛ وذلك مثل قوله تعالى: {هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة}، وقوله: {وجاء ربك والملك صَفًا صفًا}، وقوله: {الرحمن على العرش استوى}، وقوله: {والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه}.

---

(١) بتصرف من اجتماع الجيوش ص٥٩ وما بعدها، وجمهرة عقائد أئمة السلف لمحمد محب الدين أبو زيد ص٢٤٧ وما بعدها، والجامع الفريد ص٣٧ وما بعدها.

ونظائرها مما نطق به القرآن؛ كـ(الفوقية والنَّفْس واليدين والسمع والبصر والكلام والعين والنظر والإرادة والرضى والغضب والمحبة والكراهة والعناية والقرب والبعد والسخط والاستحياء؛ والدنو كقاب قوسين أو أدنى؛ وصعود الكلام الطيب إليه؛ وعروج الملائكة والروح إليه؛ ونزول القرآن منه؛ وندائه الأنبياء عليهم الصلاة السلام، وقوله للملائكة؛ وقبضه وبسطه وعلمه ووحدانيته وقدرته ومشيئته وصمدانيته وفردانيته وأوليته وآخريته وظاهريته وباطنيته؛ وحياته وبقائه وأزليته وأبديته؛ ونوره وتجليه؛ والوجه وخلق آدم عليه السلام بيده؛ ونحو قوله تعالى: {أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض} [الملك: ١٦]؛ وقوله تعالى: {وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله} [الزخرف: ٨٤]؛ وسماعه من غيره وسماع غيره منه؛ وغير ذلك من صفاته المتعلقة به المذكورة في الكتاب المنزل على نبيه).

وجميع ما لفظ به المصطفى من صفاته: كـ(غرسه جنته الفردوس بيده؛ وشجرة طوبى بيده؛ وخط التوراة بيده؛ والضحك والتعجب، ووضعه القدم على النار فتقول: قط قطْ؛ وذكر الأصابع؛ والنزول كل ليلة إلى سماء الدنيا وليلة الجمعة وليلة النصف من شعبان وليلة القدر؛ وكغيرته؛ وفرحه بتوبة العبد؛ واحتجابه بالنور وبرداء الكبرياء؛ وأنه ليس بأعور؛ وأنه يُعرض عما يكره ولا ينظر إليه؛ وأن كلتا يديه يمين؛ واختيار آدم قبضة اليمنى؛ وحديث القبضة؛ وله كل يوم كذا وكذا نظرة في اللوح المحفوظ؛ وأنه يوم القيامة يحثو ثلاث حثيات من جهنم فيدخلهم الجنة؛ ولما خلق آدم مسح ظهره بيمينه فقبض قبضة فقال: (هؤلاء للجنة ولا أبالي أصحاب اليمين)؛ وقبض قبضة أخرى وقال: (هذه للنار ولا أبالي أصحاب الشمال)؛ ثم رَدَّهم في صلب آدم؛ وحديث القبضة التي يخرج بها من النار قومًا لم يعملوا خيرًا قط؛ عادوا حممًا فيلقون في نهر من الجنة يقال له نهر الحياة؛ وحديث (خلق آدم على صورته)(١)، وقوله: (لا تقبحوا الوجه فإن الله خلق آدم على صورة الرحمن)(٢)، وإثبات الكلام بالحرف والصوت وباللغات وبالكلمات وبالسور؛ وكلامه تعالى لجبريل والملائكة ولملك الأرحام وللرحم؛ ولملك الموت ولرضوان ولمالك؛ ولآدم ولموسى ولمحمد؛ وللشهداء وللمؤمنين عند الحساب؛ وفي الجنة.

ونزول القرآن إلى سماء الدنيا؛ وكون القرآن في المصاحف؛ وما أذن الله لشيء كإذنه لنبي يتغنى بالقرآن؛ وقوله: (الله أشد اذنا لقارئ القرآن من صاحب القينة إلى قينته)؛ وأن الله سبحانه يحب العطاس ويكره التثاؤب؛ وفرغ الله من الرزق والأجل؛ وحديث ذبح الموت؛ ومباهاة الله تعالى؛ وصعود الأقوال والأعمال والأرواح إليه؛ وحديث معراج الرسول ببدنه؛ وبيان نفسه ونظره إلى الجنة والنار؛ وبلوغه إلى العرش إلى أن لم يكن بينه وبين الله تعالى إلا حجاب العزة؛ وعرض الأنبياء عليه؛ وعرض أعمال الأمة عليه .. وغير هذا مما صح عنه من الأخبار المتشابهة الواردة في صفات الله سبحانه؛ ما بلغَنَا وما لم يبلغنا مما صح عنه).

اعتقادنا فيه وفي الآي المتشابهة في القرآن: أن نقبلها ولا نَرُدَّها، ولا نتأولها بتأويل المخالفين؛ ولا نحملها على تشبيه المشبهين؛ ولا نزيد عليها ولا ننقص منها؛ ولا نفسرها ولا نُكَفِّيها؛ ولا نترجم عن صفاته بلغة غير العربية؛ ولا نشير إليها بخواطر القلوب ولا بحركات الجوارح؛ بل نطلق ما أطلقه الله ونفسر ما فسره النبي وأصحابه والتابعون والأئمة المرضيون من السلف المعروفين بالدين والأمانة، ونُجْمِع على ما أجمعوا عليه؛ ونُمْسِك عما أمسكوا عنه؛ ونسَلِّم للخبر الظاهر والآية الظاهرة تنزيلها، لا

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٢٦، ٦٢٢٧) ومسلم (٢٨٤١) من حديث أبي هريرة .. وقد سبق تخريج جل الأحاديث الأخرى.

(٢) ذكره ابن حجر في الفتح ٥/ ٢١٧ ونص على أن "الزيادة أخرجها ابن أبي عاصم في (السنة) والطبراني (١٢/ ٤٣٠، ١٣٥٨٠) من حديث ابن عمر بإسناد رجاله ثقات"، كما أخرجه – وبنحوه – من غير هؤلاء: ابن خزيمة في (التوحيد) (١/٨٥)، وابن بطة في (الإبانة الكبرى) (١٩٦) والبيهقي في (الأسماء والصفات) (٦٤٠) والألباني في كتاب السنة (٥١٨) وصححه .. ومعناه: أن الله تَعالى هو الذي صوَّرَ الوجه والجسم وأحسن كُلَّ شَيْءٍ خلقه، وذمُّ الصَّنعة يعود إلى مَذمّة الصانع؛ وأن الله تعالى سَميع بصير، مُتكلِّمٌ إذا شاء ومتَى شاءَ، وله وجهٌ يليق بكماله وجلاله، وهكذا خلَق الله آدَمَ سميعا بَصيرًا ذا وجه، وذا يدٍ، وذا قَدَمٍ، وليس معنى ذلك أنَّ وجه الرب جل جلالُه يُشبه وجهَ الإنْسانِ؛ بل ليس السّمع كالسَّمعِ، وليس البصرُ كالبصر، وليس التكلُّمُ كالتكلُّمِ، بل لله صفاتُه الَّتي تليقُ بجلاله وعَظَمته، وللعبد صفاته الَّتي تَليق به؛ فصفاتُ العبدِ يَعتريها الفناءُ والنَّقصُ، وصفاتُ اللهِ سُبحانه كاملةٌ لا يَعتريها نقص، ولا زَوال، ولا فَناءٌ؛ ولهذا قال عزّ وجلّ: {لَيْس كَمثْله شيءٌ وهُوَ السَّميعُ الْبَصِيرُ} [الشورى: ١١]، وقال سُبحانَه: {وَلم يكنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ} [الإخلاص: ٤]. وهذا الحديثُ من أحاديث الصِّفات التي تُمَرُّ كما جاءتْ مِن غيرِ تَحريفٍ أو تعطيل، ومِن غيرِ تكييفٍ أو تمثيلٍ

نقول بتأويل المعتزلة والأشعرية والجهمية والملحدة والمجسمة والمشبهة والكرَّامية والمكيِّفة(١).. بل نقبلها بلا تأويل؛ ونؤمن بها بلا تمثيل؛ ونقول: (الإيمان بها واجب؛ والقول بها سُنَّة؛ وابتغاء تأويلها بدعة)" إ.هـ من آخر كلام أبي العباس بن سريج الذي حكاه أبو القاسم سعد بن علي الزنجاني في أجوبته ثم ذكر باقي المسائل وأجوبتها .

= **حجةَ الإسلام الإمامَ أبا أحمد ابن الحسين** الشافعي صاحب كتاب: (الفروع في المذهب) والمعروف بابن الحداد كان من محاسن مصر وتولى قضاءها زمن الإخشيد ت ٣٤٥(٢)، جاء معتقده في (اجتماع الجيوش) وفي (جمهرة عقائد أئمة السلف) ص٦٠٧ وما بعدها، وفيه قوله:

"الاعتقاد الحق والمنهج الصدق الذي يجب على العبد المكلف اعتقاده ويعتمده .. ويلزمه في ظاهره وباطنه:

اعتماده ما دل عليه كتاب الله تعالى وسنة رسوله وإجماع الصدر الأول من علماء السلف وأئمتهم الذين هم أعلام الدين وقدوة من بعدهم من المسلمين، وذلك أن يعتقد العبد ويقر ويعترف بقلبه ولسانه أن الله واحد .. لا إله سواه ولا معبود إلا إياه ولا شريك له، ولا نظير له ولا وزير ولا ظهير ولا سَمِيَّ ولا صاحبة ولا ولد، أبديٌّ أزليٌّ، أوَّل من غير بداية وآخر من غير نهاية، موصوف بصفات الكمال .. لا يعجزه شيء ولا يشبهه شيء ولا يعزب عن علمه شيء.. منزه عن كل نقص وآفة، مقدس عن كل عيب وعاهة .. قدَّر كل شيء وقضاه وأبرمه وأمضاه من: خير وشر؛ ونفعٍ وضرّ؛ وطاعة وعصيان؛ وعمد ونسيان؛ وعطاء وحرمان؛ لا يجري في ملكه ما لا يريد، عدل في أقضيته غير ظالم لبريته؛ لا رادَّ لأمره ولا معقب لحكمه .

{ليس كمثله شيء وهو السميع البصير} نصفه بما وصف به نفسه في كتابه العظيم وعلى لسان رسوله الكريم، لا نجاوز ذلك ولا نزيد، بل نقف عنده وننتهي إليه؛ ولا ندخل فيه برأي ولا قياس لبعده تعالى عن الأشكال والأجناس .. وأنه سبحانه مستوٍ على عرشه؛ وفوق جميع خلقه، كما أخبر في كتابه وعلى ألسنة رسله من غير تشبيه ولا تعطيل ولا تحريف ولا تأويل، وكذلك كل ما جاء من الصفات نُمِرُّهُ كما جاء من غير مزيد عليه؛ ونقتدي في ذلك بعلماء السلف الصالح.. ونسكت عما سكتوا عنه ونتأوَّلُ ما تأولوا.

وأن أعمال العباد حَسَنَها وسيئَها خلْقُ الله ومقدورُه منه عليهم؛ لا خالق لها سواه ولا مقدِّر لها إلا إياه؛ ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى؛ لا يسألُ عما يفعل وهم يسألون، وأنه عدل في ذلك غير جائر لا يظلمهم مثقال ذرة؛ وأن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرًا عظيمًا.. إلى أن قال:

وأن الإيمان: (قول باللسان ومعرفة بالقلب وعمل بالجوارح)؛ وأنه يزيد وينقص، وأن المؤمنين يرون ربهم في الآخرة من غير حجاب؛ وأن الكفار عن رؤية ربهم محجوبون، وأن القرآن كلام الله نزل به الروح الأمين؛ على قلب محمد خاتم النبيين؛ أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدًا، وأنه غير مخلوق وأن السور والآيات والحروف المسموعات والكلمات التامات التي أعجزت الإنس والجن على أن يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا؛ ليس بمخلوق كما قال المعتزلي ولا عبارة عنه كما قال

---

(١) سيأتي التعريف بهذه الفرق في حينه .

(٢) وكان قد لازم النسائي كثيرًا، وتخرج به وعوَّل عليه واكتفى به، وقال – وبنحوه الدارقطني –: (جعلته حجة فيما بيني وبين الله تعالى)، وكان في العلم بحرًا لا تكدره الدلاء، وله لَسُنٌ وبلاغة وبصر بالحديث ورجاله، وعربية متقنة، وباعٌ مديد في الفقه لا يجارى فيه مع التألُّه والعبادة والنوافل، وبعد الصيت، والعظمة في النفوس، وكان عالماً بالحديث والأسماء والرجال والتاريخ.

ذكره ابن زولاق – وكان من أصحابه – فقال: "كان تقيًّا متعبدًا، يُحسن علومًا كثيرة: علم القرآن وعلم الحديث، والرجال، والكنى، واختلاف العلماء والنحو واللغة والشعر، وأيام الناس، ويختم القرآن في كل يوم، ويصوم يوما ويفطر يومًا .. إلى أن قال: وكان حسن الثياب غير مطعون عليه في لفظ ولا فعل، وكان حاذقا بالقضاء، صنف كتاب (أدب القاضي) في أربعين جزءًا، وكتاب (الفرائض) في نحو من مائة جزء"

وقال ابن يونس: "كان ابن الحداد .. حافظا للفقه على مذهب الشافعي وكان كثير الصلاة متعبدًا، وَلِيَ القضاء بمصر نيابة لابن هروان الرملي" .. وقال المسبحي: "كان فقيهًا عالمًا.. مات ودفن بسفح المقطم عند قبر والدته، وحضر جنازته الملك أبو القاسم بن الإخشيد، وأبو المسك كافور والأعيان، وكان نسيج وحده في حفظ القرآن واللغة، والتوسع في علم الفقه.. وكان جدا كله فما خلف بمصر بعده مثله" .

الكُلَّابي، وأنه المتلو بالألسنة المحفوظ في الصدور المكتوب في المصاحف المسموع لفظه المفهوم معناه، لا يتعدد بتعدد الصدور والمصاحف والآيات؛ ولا يختلف باختلاف الحناجر والنغمات؛ أنزله إذا شاء، وهذا معنى قول السلف: (منه بدأ وإليه يعود) .

وأن خير هذه الأمة القرن الأول وهم الصحابة، وخيرهم العشرة الذين شهد لهم رسول الله بالجنة؛ وخير هؤلاء العشرة: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، ونعتقد حب آل محمد وسائر الصحابة .. نذكر محاسنهم وننشر فضائلهم ونُمسك ألسنتنا وقلوبنا عن التطلع فيما شجر بينهم ونستغفر الله لهم ونتوسل إلى الله تعالى باتباعهم .

ونرى الجهاد والجماعة ماضيًا إلى يوم القيامة، والسمع والطاعة لولاة الأمر من المسلمين واجبًا في طاعة الله دون معصيته، لا يجوز الخروج عليهم ولا المفارقة لهم .. ولا نكفر أحدًا من المسلمين بذنب عمله ولو كبر؛ ولا ندع الصلاة عليهم بل نحكم فيهم بحكم رسول الله .

ونترحم على معاوية، ونكل سريرة يزيد إلى الله وقد رُوِيَ عنه أنه لما رأى رأس الحسين رضوان الله عليه قال: (لقد قتلك من كانت الرحم بينك وبينه قاطعة)؛ وتبرأ ممن قتل الحسين وأعان عليه وأشار به ظاهرًا وباطنًا؛ ونكل سريرته إلى الله .

والعبارة الجامعة في باب التوحيد أن يقال: (إثبات للمعنى من غير تشبيه؛ ونفي للكيف من غير تعطيل)، قال تعالى: {ليس كمثله شيء وهو السميع البصير}، والعبارة الجامعة في المتشابه من آيات الصفات أن يقال: (آمنت بما قال الله على ما أراده، وآمنت بما قال رسول الله على ما أراده)، فهذا اعتقادنا الذي نتمسك به وننتهي إليه ونسأل الله تعالى أن يحيِيَنا عليه ويُميتَنا عليه، ويجعله وسيلتنا يوم الوقوف بين يديه، إنه جواد كريم والحمد الله رب العالمين"إ.هـ.

= **والعلامة أبا بكر الإسماعيلي** ت ٣٧١ ترجم له الذهبي في العلو ص١٦٧ – وهي بالمختصر ص٢٤٨ – وقال: إنه "جمع بين الفقه والحديث، ورئاسة الدين والدنيا، وصنف (المستخرج على صحيح البخاري)، أخذ عنه فقهاء جرجان"، وذكر له قوله: "إن مذاهب أهل الحديث أهل السنة والجماعة .. قبول م انطق به الله وما صحت به الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا معدل عما ورد به، ويعقدون ان الله مدعو بأسمائه الحسنى؛ موصوف بصفاته التي وصف بها نفسه ووصفه بها نبيه، خلق آدم بيده ويداه مبسوطتان بلا اعتقاد كيف، واستوى على العرش بلا كيف، فإنه انتهى إلى أنه استوى على العرش ولم يذكر كيف كان استواؤه" .. وقد ذكر معتقده بتمامه صاحب (جمهرة عقائد أئمة السلف) ص ٣٥٧ و(الجامع الفريد) ص ٩٩ وما بعدهما.

= **وإمامُ الشافعية في وقته – بل هو الشافعي الثاني – أبو حامد أحمد بن محمد بن أحمد الاسفرائيني شيخ الشافعية ببغداد(١) وأحد كبار أئمة السنة المثبتين للصفات ت ٤٠٦** .. قال:

"مذهبي ومذهب الشافعي رحمه الله تعالى وجميع علماء الأمصار: أن القرآن كلام الله ليس بمخلوق، ومن قال: (مخلوق) فهو كافر، وأن جبرائيل عليه السلام سمعه من الله وحمله إلى محمد وسمعه النبي من جبرائيل وسمعه الصحابة من محمد، وأن كل حرف منه كالباء والتاء كلام الله ليس بمخلوق" .. ذكره في

(١) ذلك أنه برع في المذهب وأربى على المتقدمين، وعظم جاهه عند الملوك .. قال الشيخ أبو إسحاق في (الطبقات): (انتهت إليه رئاسة الدين والدنيا ببغداد)، وعلق عنه تعاليق في شرح المزني، وطبق الأرض بالأصحاب، وجمع مجلسه ثلاثمائة متفقه وقيل: سبعمائة، وقال الشيخ محيي الدين النواوي: تعليقة الشيخ أبي حامد في نحو من خمسين مجلدًا، ذكر فيها مذاهب العلماء وبسط أدلتها والجواب عنها، وكان الناس يقولون: لو رآه الشافعي لفرح به، وقال ابن الصلاح: "وعلى الشيخ أبي حامد تأول بعض العلماء حديث: إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها)، فكان الشافعي على رأس المائتين، وابن سريج على رأس الثلاثمائة، وأبو حامد على رأس الأربعمائة .. كذا في سير أعم النبلاء للذهبي ١٧/ ١٩٤ وما بعدها

كتابه في (أصول الفقه) .. وكان يصرح بمخالفة القاضي أبي بكر بن الطيب في مسألة القرآن .. ونقل عن ابن خزيمة أمام السنة ت ٣١٢(١) قوله في كتاب التوحيد:

"نحن نؤمن بخبر الله سبحانه أن خالقنا الأعلى الفعال لما يشاء؛ مستوٍ على عرشه وكان فوقه وفوق كل شيء، لا نبدل كلام الله ولا نقول كما قالت الجهمية المعطلة: إنه استولى على عرشه لا استوى، فبدلوا قولًا غير الذي قيل لهم"، ثم ساق الأدلة على ذلك من القرآن والسنة .

ثم قال: (باب الدليل على أن الإقرار بأن الله فوق السماء من الإيمان) ساق فيه حديث الجارية ثم قال: (باب ذكر أخبار ثابتة السند صحيحة القوام رواها علماء الحجاز والعراق عن النبي في نزول الرب إلى سماء الدنيا كل ليلة)، ثم قال: "نشهد شهادة مقر بلسانه مصدق بقلبه بما في هذه الأخبار مِن ذكر نزول الرب تعالى من غير أن نصف الكيفية، ثم ساق الأحاديث، ثم قال: (باب كلام الله تعالى لكليمه موسى عليه السلام) ثم ساق الأدلة على ذلك، ثم قال: (باب صفة تكلم الله تعالى بالوحي وشدة خوف السموات منه وذِكر صعقة أهل السموات وسجودهم)، ثم قال: (باب بيان أن الله سبحانه يكلم عباده يوم القيامة من غير ترجمان يكون بينه وبين عباده) ثم ذكر الأحاديث في ذلك، ثم قال: (باب ذكر بيان الفَرْق بين كلام الله الذي به يكون خلقه وبين خلقه الذي يكون بكلامه)، ثم قال: (باب ذكر بيان أن الله ينظر إليه جميع المؤمنين يوم القيامة بَرُّهم وفاجرهم وإن رَغِمت أنوف الجهمية المعطلة المنكرة لصفات الله) .

وكتابه في السنة كتاب جليل قال أبو عبد الله الحاكم في علوم الحديث له: (وفي كتاب تاريخ نيسابور سمعت محمد بن صالح بن هانئ يقول سمعت إمام الأئمة ابن خزيمة يقول: من لم يقر بأن الله على عرشه استوى فوق سبع سمواته وأنه بائن من خلقه فهو كافر، يستتاب فإن تاب وإلا ضربت عنقه وألقي على مزبلة لئلا يتأذى بريحه أهل القبلة وأهل الذمة) .. وقال في كتابه: "فمن ينكر رؤية الله تعالى في الآخرة فهو عند المؤمنين شر من اليهود والنصارى والمجوس وليسوا بمؤمنين عند جميع المؤمنين".

=**والصابوني؛ أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن النيسابوري الشافعي**، إمام أهل الحديث والفقه والتصوف في وقته، وصاحب كتاب (عقيدة السلف وأصحاب الحديث)(٢)، والمتوفى سنة ٤٤٩ .. ترجم له الذهبي في العلو ص١٧٩(٣) – وهو بالمختصر ص٢٦٥ – ونقل عنه قوله في رسالته المشهورة في (السنة):

"ويعتقد أصحاب الحديث ويشهدون: أن الله فوق سبع سمواته على عرشه كما نطق به كتابه، وعلماء الأمة وأعيان الأئمة من السلف لم يختلفوا أن الله على عرشه، وعرشه فوق سمواته".

وكان الصابوني – وعلى إثر ذلك – قد ساق بإسناده عن ابن المبارك قوله: (نعرف ربنا تبارك وتعالى بأنه فوق سبع سمواته على عرشه بائن من خلقه، ولا نقول كما قالت الجهمية: إنه هاهنا في الأرض)، ثم نقل عن ابن خزيمة قوله: (من لم يقر بأن الله على عرشه فوق سبع سمواته؛ فهو كافر بربه؛ حلال الدم؛ يستتاب فإن تاب وإلا ضُربت عنقه وألقي على بعض المزابل حتى لا يتأذى به المسلمون ولا المعاهدون بنتن رائحة جيفته، وكان مالُه فيئًا ولا يرثه أحد من المسلمين، إذ المسلم لا يرث الكافر ولا الكافر يرث المسلم)، ثم قال فيما نقله عنه الذهبي:

"وإمامنا محمد بن إدريس الشافعي احتج في المبسوط على المخالف – في مسألة إعتاق الرقبة المؤمنة في الكفارة؛ وأن الرقبة الكافرة لا يصح التكفير بها –: بخبر معاوية بن الحكم، فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن إعتاق السوداء الأعجمية فامتحنها ليعرف أهي مؤمنة أم لا؟، فقال لها: (أين ربك؟)

---

(١) هو أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة، ذكره الشيخ أبو إسحق الشيرازي في طبقات الفقهاء أخذ الفقه عن المزني الذي قال عنه: (ابن خزيمة هو أعلم بالحديث مني؛ ولم يكن في وقته مثله في العلم بالحديث والفقه جميعًا)

(٢) وهو في المجموعة المنيرية ١/ ١٠٥- ١٣٥ وجمهرة عقائد أئمة السلف ص٤٠٤ وما بعدها، فضلًا عن أنه طبع لأكثر من مرة لأكثر من دار نشر.

(٣) وذكر له ضمن ما ذكر: ما وقع من إمام الحرمين أبي المعالي بن الإمام الجويني وقوله: كنت بمكة أتردد في المذاهب فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم فقال: عليك باعتقاد ابن الصابوني .. ومعلوم بالضرورة ان رؤيا الرسول صلى الله عليه وسلم حق .

فأشارت إلى السماء إذ كانت أعجمية فقال: (أعتقها فإنها مؤمنة)(١)، حكم بإيمانها لما أقرت بأن ربها في السماء وعرفت ربها بصفة العلو والفوقية"(٢).

=**والإمام أبو عمرو عثمان بن أبي الحسن بن الحسين السهروردي**، الفقيه المحدث من أئمة أصحاب الشافعي من أقران البيهقي وأبي عثمان الصابوني وطبقتهما والمتوفى سنة ٤٥٨ .. له كتاب في (أصول الدين) يتعلق بمسألة الاستواء وكلامه فيه من أجود ما يكون وقد جاء ذكره في كتاب (اجتماع الجيوش) ص٦٨، قال في أوله:

الحمد لله الذي اصطفى الإسلام على الأديان، وزين أهله بزينة الإيمان، وجعل السنة عصمة أهل الهداية، ومجانبتها إمارة أهل الغواية، وأعز أهلها بالاستقامة، ووصل عزهم بالقيامة، وصلى الله على محمد وسلم وعلى آله أجمعين.. وبعد:

فإن الله تعالى لما جعل الإسلام ركن الهدى، والسنة سبب النجاة من الردى، ولم يجعل من ابتغى غير الإسلام دينا هاديا، ولا من انتحل غير الإسلام نحلة ناجيا، جمعت أصول السنة الناجي أهلها التي لا يسع الجاهل نكرها ولا العالم جهلها ومن سلك غيرها من المسالك، فهر في أودية البدع هالك .. وكان أن قال – بعد ان ساق الكلام في الصفات –:

"فصل ومن صفاته تعالى: فوقيته واستواؤه على عرشه بذاته، كما وصف نفسه في كتابه وعلى لسان رسوله بلا كيف" .. وساق آيات الاستواء والعلو ثم قال: "وعلماء الأمة وأعيان الأئمة من السلف لم يختلفوا في أن الله مستو على عرشه وعرشه فوق سبع سمواته" .. ثم أعقب ذلك بذكر أقوال ابن المبارك وابن خزيمة والشافعي السالفة الذكر.

=و **إمام الشافعية في وقته أبو القاسم سعد بن علي الزنجاني** – الحافظ المجاور بمكة ت٤٧١، كان له حرمة عظيمة بالحرم؛ بحيث إنه إذا خرج من منزله كانوا يقبلون يده أكثر مما يقبلون الحجر، وهو صاحب القصيدة الرائية في السنة أولها:

تمسك بحبل الله واتبع الأثر * ودع عنك رأيا لا يلائمه خبر

وكان من دعاة السنة، وأعداء البدعة، توفي سنة إحدى وسبعين وأربعمائة .. كذا ترجم له الذهبي في العلو ص ١٨٩ وهو بالمختصر ص٢٧٧، كما ذكر معتقده صاحبا (اجتماع الجيوش) ص٧٤ و(الجامع الفريد) ص١٢٧ وما بعدهما – فقد صرح هو الآخر بالفوقية بالذات فقال:

"وهو فوق عرشه بوجود ذاته"، وقال في شرح القصيدة التي صدرت بالبيت السالف الذكر: "والصواب عند أهل الحق أن الله تعالى خلق السموات والأرض وكان عرشه على الماء مخلوقًا قبل خلق السموات والأرض، ثم استوى على العرش بعد خلق السموات والأرض على ما ورد به النص ونطق به القرآن، وليس معنى استوائه: أنه ملكه واستولى عليه، لأنه كان مستوليًا عليه قبل ذلك وهو أحدثه لأنه مالك جميع الخلائق ومستول عليها، وليس معنى الاستواء أيضا أنه ماسَّ العرش أو اعتمد عليه أو طابقه، فإن كل ذلك

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٥٣٧) وقد خالف كثير من الحفاظ في مصنفاتهم هذا اللفظ الذي جاء في صحيح مسلم فرووه بلفظ (أتشهدين أن لا إله إلا الله؟)، فقالت: نعم، قال: (أتشهدين أني رسول الله؟) قالت نعم، قال: (أتؤمنين بالبعث بعد الموت؟)، قالت نعم، قال: (فاعتقها) رواه أحمد في مسنده وقال الهيثمي في المجمع (٤ / ٢٤٤): "رجاله رجال الصحيح"، وعبد الرزاق في (المصنف) (٩ / ١٧٥) والبزار (١ / ١٤) والدارمي (٢ / ١٨٧) والبيهقي (١٠ / ٥٧) وغيرهم.

وقد ذكر طرق الحديث وخرّجه باستيعاب مشهور بن حسن في تحقيقه على كتاب (الموافقات) (١/٦٠-٦٤) للشاطبيّ.. فهذا الحديث المعروف بـ(حديث الجارية)، حديثٌ صحيحٌ باتفاق أهل النقل، صححه جمهرةٌ من أهل العلم؛ منهم: الذهبيّ في (العلو)، والألبانيّ في مواضع منها: (الإيمان) (ص٣٦) لابن أبي شيبة، حيث قال: "إسناده صحيحٌ على شرط الشيخين"، وقال في (مختصر العلو ص٨١): "فإنّه مع صحّةِ إسناده، وتصحيح أئمة الحديث إيّاه دون خلافٍ بينهم أعلمه، ومع أن إجماع أهل الحديث والسنّة منعقدٌ على صحته، فإن لم يخالف في ذلك إلاّ المتأخرون من شذاذ الجهميّة.. وذلك موافقة منهم لأهوائهم، ولتسلم لهم عقيدة التعطيل، وإن كان ذلك على حساب النّص الشرعيّ، فلا حول ولا قوّة إلاّ بالله" إ.هـ منقولًا

(٢) وقد علق الشيخ الألباني على الحديث بقوله: أصل الحديث صحيح دون قوله: (الأعجمية)، وبلفظ: (قالت في السماء) مكان (فأشارت إلى السماء)، هذا هو المحفوظ من طرق في (صحيح مسلم) وغيره، ولفظ (سوداء أعجمية) في سنده ضعيف ومختلط .

ممتنع في وصفه جل ذكره ولكنه مستوٍ بذاته على عرشه بلا كيف كما أخبر عن نفسه، وقد أجمع المسلمون على أن الله هو العلي الأعلى، وأن علوه تعالى علو الغلبة والعلو الأعلى من سائر وجوه العلو، لأن العلو صفة مدح عند كل عاقل فثبت بذلك أن لله علوَ الذات وعلوَ الصفات وعلوَ القهر والغلبة" وغير ذلك من سائر أنواع العلو الممدوح.

قال: "وجماهير المسلمين وسائر الملل قد وقع منهم الاجماع على الإشارة إلى الله جل ثناؤه من جهة الفوق في الدعاء والسؤال، فاتفاقهم بأجمعهم على الإشارة إلى الله سبحانه من جهة الفوق حجة؛ ولم يستجز أحد الإشارة إليه من جهة الأسفل ولا من سائر الجهات"، وساق الأدلة على ذلك معقبًا على آية سورة غافر بقوله:

"وكان فرعون قد فهم عن موسى أنه يُثبت إلهًا فوق السماء، حتى رام بصرحه أن يطَّلع إليه، واتَّهم موسى بالكذب في ذلك، ومخالفنا ليس يعلم أن الله فوقه بوجود ذاته، فهو أعجز فهمًا من فرعون" .. هذا وللزنجاني أجوبة سئل عنها في السنة فأجاب عنها بأجوبة أئمة السنة وصدَّرها بجواب إمام وقته أبي العباس بن سريج

=**والإمام البغوي** أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي من كبار أئمة المذهب الشافعي، محيي السنة صاحب: (شرح السنة) و(معالم التنزيل) و(التهذيب) في المذهب، ت٥١٦ .. ترجم له الذهبي في (العلو) ص١٩١ – وهو في مختصره ص٢٨٠ – وذكر له فيما ذكر: قولَه في تفسير قولِ الله تعالى: {ثم استوى على العرش} [الأعراف: ٥٤]:

"أوَّلت المعتزلة الاستواء بالاستيلاء، وأما أهل السنة فيقولون: الاستواء على العرش صفة الله بلا كيف، يجب الإيمان به ويكل العلم فيه إلى الله".

ثم حكى قولَ مالك: (الاستواء غير مجهول)، وذكر أن "مراد السلف بقولهم: (بلا كيف)، هو: نفي التأويل؛ فإنه التكييف الذي يزعمه أهل التأويل فإنهم هم الذين يثبتون كيفية تخالف الحقيقة، فيقعون في ثلاثة محاذير: نفي الحقيقة، وإثبات التكييف بالتأويل، وتعطيل الرب تعالى عن صفته التي أثبتها لنفسه .

وأما أهل الإثبات فليس أحد منهم يكيف ما أثبته الله تعالى لنفسه ويقول كيفية كذا وكذا حتى يكون قول السلف: (بلا كيف) ردًّا عليه، وإنما ردُّوا على أهل التأويل الذي يتضمن التحريف والتعطيل؛ تحريف اللفظ وتعطيل معناه".

كما حكى قولَه فِي قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: {ثُمَّ اسْتَوَى إلى السماء} [البقرة: ٢٩]: "قال ابن عباس وأكثر مفسري السلف: ارتفع إلى السماء".. وقوله في قوله تعالى: {هلْ ينْظُرونَ إِلَّا أَنْ يأْتِيَهُمُ اللَّهُ} [البقرة: ٢١٠]: "الأولى في هذه الآية وما شاكلها أن يؤمن الإنسان بظاهرها ويكل علمها إلى الله، ويعتقد أن الله منزهٌ عن سمات الحدوث، على ذلك مضت أئمة السلف وعلماء السنة".. وقوله في قول الله تعالى: {مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوى ثلاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعهُمْ}: "أي: من سرارِ ثلاثة؛ إلا هو رابعهم بالعلم".

=**والإمامَ الحافظ أبو القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي الأصبهاني**؛ إمام الشافعية في وقته وصاحب: (الترغيب والترهيب) و(الحجة في بيان المحجة) ت٥٣٥، ترجم له الذهبي في العلو ص١٩٢ – وهو بالمختصر ٢٨١ – وذكر بعضًا مما جاء في كتابه الحجة .. ونحن نسوقه بتمامه من كتابه (الحجة) ٢/ ٨٢، حيث يقول رحمه الله:

"قال أهل السنة: الله فوق السموات لا يعلوه خلق من خلقه، ومن الدليل على ذلك أن الخلق يشيرون إلى السماء بأصابعهم ويدعونه ويرفعون إليه رؤوسهم وأبصارهم، وقال عز و جل: {وهو القاهر فوق عباده} [الأنعام: ١٨]، وقال: {أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور. أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبًا فستعلمون كيف نذير} [الملك: ١٦، ١٧]، كما يدل عليه: النصوص التي فيها نزول الرحمن".

ثم قال في الحجة ٢/ ١١٢ بعد ذكره الأدلة على فوقيته تعالى على عرشه: "قال علماء السنة: إن الله على عرشه بائن من خلقه، وقالت المعتزلة: (هو بذاته في كل مكان)، وقالت الأشعرية: (الاستواء عائد إلى العرش) – أي: (استوى العرشُ) بالرفع – قال: ولو كان كما قالوا لما كانت في الآية بخفض العرش، فدل ذلك على أنه – أي: ضمير الفاعل في (استوى) – عائد إلى الله .. وقال بعضهم: (استوى بمعنى: استولى)؛ قال الشاعر:

قد استوى بِشْر على العراق * من غير سيف ودم مهراق

وهذا يردُ عليه: أن الاستيلاء لا يوصف به إلا من قدر على الشيء بعد العجز عنه، والله تعالى لم يزل قادرًا على الأشياء ومستوليًا عليها، ألا ترى أن بِشْر لا يوصف بالاستيلاء على العراق إلا وهو عاجز عنه قبل ذلك؟ .. قيل لذي النون المصري: (ما أراد الله بخلق العرش؟)، قال: (أراد أن لا يُتَوِّه قلوبَ العارفين)، وعن ابن عباس في تفسير قوله تعالى: {ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم} [المجادلة: ٧]، قال: (هو على عرشه وعلمه في كل مكان) ثم ساق الاحتجاج بالآثار إلى أن قال:

وزعم هؤلاء أن معنى: {الرحمن على العرش} استوى؛ أي: ملكه، وأنه لا اختصاص له بالعرش أكثر مما له بالأمكنة، وهذا إلغاء لتخصيص العرش وتشريفه، وقال أهل السنة: (خلق الله السموات وكان عرشه مخلوقًا قبل خلق السموات والأرض، ثم استوى على العرش بعد خلقهما على ما ورد به النص؛ وليس معناه المماسة بل هو مستوٍ على عرشه بلا كيف كما أخبر عن نفسه.

وزعم هؤلاء أنه لا يجوز الإشارة إلى الله سبحانه بالرؤوس والأصابع إلى فوق؛ فإن ذلك يوجب التحديد، وقد أجمع المسلمون أن الله سبحانه العلي الأعلى ونطق بذلك القرآن؛ فزعم هؤلاء أن ذلك بمعنى: (علو الغلبة) لا علو الذات، وعند المسلمين أن لله علوَ الغلبة والعلو من سائر وجوه العلو؛ لأن العلو صفة مدح فنُثبت أن لله علو الذات وعلو الصفات وعلو القهر والغلبة .

وجماهير المسلمين وسائر الملل قد وقع منهم الإجماع على الإشارة إلى الله تعالى من جهة الفوق في الدعاء، والسؤال واتفاقهم بأجمعهم على ذلك حجة، ولم يستجز أحدٌ الإشارة إليه من سائر الجهات، قال تعالى: {يخافون ربهم من فوقهم)؛ وقال: {إليه يصعد الكلم الطيب} [فاطر: ١٠]؛ وقال: {تعرج الملائكة والروح إليه} [المعارج: ٤]، وأخبر تعالى عن فرعون أنه قال: {يا هامان ابن لي صرحا لعلي أبلغ الأسباب. أسباب السموات فاطلع إلى إله موسى} [غافر: ٣٦]، فكان فرعون قد فهم من موسى عليه السلام أنه يثبت إلها فوق السماء، حتى رام بصرحه أن يطلع إليه، واتهم موسى بالكذب في ذلك، والجهمية لا تعلم أن الله فوقها بوجود ذاته، فهم أعجز فهمًا من فرعون؛ بل وأضل .

وقد صح عن النبي أنه سأل الجارية ألتي أراد مولاها عتقها: (أين الله؟)، قالت: (في السماء) وأشارت برأسها إلى السماء، وقال: (ومن أنا؟)؛ فقالت: (أنت رسول الله)، فقال: (اعتقها فإنها مؤمنة)(١)، فحكم النبي بإيمانها حين قالت: إن الله في السماء؛ وحكم الجهمي بكفر من يقول ذلك".

وكان مما قاله ونقله عنه الذهبي في العلو: "مذهب مالك والثوري والأوزاعي والشافعي وحماد بن سلمة وحماد بن زيد وأحمد ويحيى بن سعيد القطان وعبد الرحمن بن مهدي وإسحاق بن راهويه، أن صفات الله التي وصف بها نفسه ووصفه بها رسوله من السمع والبصر والوجه واليدين وسائر أوصافه، إنما هي على ظاهرها المعروف المشهور، من غير كيفٍ يُتوهم فيها، ولا تشبيه ولا تأويل، قال ابن عيينة: كل شيء وصف الله به نفسه فقراءته تفسير".. ثم قال: "أي: هو على ظاهره؛ لا يجوز صرفه إلى المجاز بنوع من التأويل" إ.هـ.

&&&&&&&&

(١) سبق تخريجه.

الفصل الرابع
مجمل معتقد (الإمام أحمد بن حنبل) ت٢٤١
وجولة حول معتقد من تلقى عنهم وتلقوا عنه

المبحث الأول
التعريف بالإمام أحمد .. وبمعتقده في توحيد الصفات

أولًا: نبذة مختصرة عن حياته والتعريف به:

أحمد بن حنبل هو الإمام حقًا وشيخ الإسلام صدقا، أبو عبد الله، أحمد بن محمد بن حنبل(١) الذهلي الشيباني المروذي ثم البغدادي ، أحد الأئمة الأعلام.. وُلِد – رحمه الله – في بغداد سنة أربع وستين ومائة، ومات والده شابًّا، وقامت أمُّه على تربيته، فراح يطلب العلم وهو ابن خمس عشرة سنة، في العام الذي مات فيه مالك وحماد بن زيد، فطاف في البلاد وكان علماء عصره يُجِلُّونه ويحترمونه في حال سماعه منهم.

وكان قد سمع من كثيرين، منهم: هشيم بن بشير ومعتمر بن سليمان التيمي وسفيان بن عيينة ويحيى بن أبي زائدة والقاضي أبو يوسف وعباد بن العوام وأبو بكر بن عياش وعبد الرحمن بن محمد المحاربي والوليد بن مسلم ويزيد بن هارون ووكيع ويحيى القطان وعبد الرحمن بن مهدي ومحمد بن إدريس الشافعي وأبي عاصم وعبد الرزاق وأبي نعيم وحسين بن علي الجعفي ووهب بن جرير وسليمان بن حرب، وخلائق إلى أن ينزل في الرواية عن قتيبة بن سعيد وعلي بن المديني وأبي بكر بن أبي شيبة وهارون بن معروف وجماعة من أقرانه، فعِدَّةُ شيوخه الذين رَوى عنهم في (المسند) مائتان وثمانون ونيف.

وحدّث عنه البخاري حديثًا، وحدّث عنه مُسلم وأبو داود بجملة وافرة، وروى أبو داود والنسائي والترمذي وابن ماجة عن رجل عنه، وحدث عنه أيضًا ولداه صالح وعبد الله، وابن عمه وتلميذه حنبل بن إسحاق، وشيوخه: عبد الرزاق والحسن بن موسى الأشيب، وحدث عنه علي ابن المديني ، ويحيى بن معين ومحمد بن يحيى الذهلي وأحمد بن الفرات والحسن بن الصباح البزار وأبو قلابة الرقاشي وأبو زرعة وأبو حاتم وحرب بن إسماعيل الكرماني وأبو بكر الأثرم وإبراهيم الحربي وأبو بكر المروذي وبقي بن مخلد وعبدوس بن مالك العطار وأبو عبد الله البوشنجي وغيرهم كثير.

لم يتزوج أحمدُ إلا بعد سن الأربعين، وأنجب من زوجاته: صالح وعبد الله وسعيد، وغيرهم غير أنهم ماتوا صغارًا .. وعن سمته وحسن مظهره يقول ابن عبد الحميد الميموني: (ما أعلم أني رأيت أحدًا أنظفَ ثوبًا؛ ولا أشد تعاهدًا لنفسه في: شاربه وشعر رأسه وشعر بدنه، ولا أنقى ثوبا وأشده بياضًا، من أحمد بن حنبل) .

وعن حاله مع الله يحكي ابنه عبد الله أنه كان (أزهد الناس وأصبرَهم على الوَحدة، لم يَره أحد إلا في مسجد أو حضور جنازة أو عيادة مريض، وكان يكرَه المشي في الأسواق .. وكانت له ختمة في كل سبع ليال، سوى صلاة النهار، وكان ساعة يصلي عشاء الآخرة ينام نومة خفيفة، ثم يقوم إلى الصباح يصلي ويدعو)، كما يحكي عنه ابنه صالح أنه (كان يصوم ويدمِن، ثم يُفطر ما شاء الله، ولا يترك صوم الاثنين والخميس وأيام البِيض، فلما رجع من العسكر، أدمن الصوم إلى أن مات)؛ يقول أبو بكر المروذي: (كنت مع أبي عبد الله نحوًا من أربعة أشهر بالعسكر لا يدع قيام الليل وقراءة النهار)، ويقول: (رأيته يقوم لِوِرْدِه قريبًا من نصف الليل حتى يقارب السَّحَر، ورأيته يركع فيما بين المغرب والعشاء).

---

(١) بن هلال بن أسد بن إدريس بن عبد الله بن حيان بن عبد الله بن أنس بن عوف بن قاسط بن مازن بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل .. هكذا ساق نسبه ولده عبد الله، واعتمده أبو بكر الخطيب في (تاريخه) وغيره.

وعن أخلاق الإمام أحمد يحكي المروذي – فيما ذكره الذهبي في السير ١١/ ٢٢٠ – أنه (كان لا يجهل، وإن جُهِل عليه حَلَمَ واحتمل، ويقول: يكفي الله)، ولم يكن بالحقود ولا العجول، كثير التواضع، حَسِنَ الخُلق، دائم البِشر، ليِّن الجانب، ليس بفظٍّ، وكان يحب في الله ويُبغض في الله، وإذا كان في أمر من الدين اشتد له غضبه، وكان يحتمل الأذى من الجيران .. كما حكى عنه ابن علية أن (الناس المجتمعين في مجلسه كانوا نحو خمسة آلاف أو يزيدون، نحو خمسمائة يكتبون والباقون يتعلمون منه حسن الأدب والسَّمت) .. وحكى عنه يحيى بن معين أنه (كان محدثًا وحافظًا وعالمًا وورِعًا وزاهدًا وعاقلًا) كما كان مهابًا.

وعن صبره وجهاده وصدعه بالحق حدِّث ولا حرج، فقد أقام السنة بعدما اختفت، وأقام قواعد الدين بعد ما عَفَت، فكان ممن أقامهم الله لنصرة دينه وجعلهم أئمة يَقتدي بهم المؤمنون لما صبروا وكانوا بآياته يوقنون .. يقول شيخه الإمام قتيبة بن سعيد: (أحمد بن حنبل إمام الدنيا)، ويقول: (لولا أحمد بن حنبل لأحدثوا في الدين)، فقيل له: تضم أحمد بن حنبل إلى أحد التابعين؟، فقال: (إلى كبار التابعين) .. ويقول شيخه علي بن المديني: (ما قام أحد بأمر الإسلام بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قام به أحمد)، قيل له: ولا أبو بكر الصديق؟، قال: (إن أبا بكر الصديق كان له أعوان وأصحاب، وأحمد لم يكن له أعوان ولا أصحاب) .. وقيل لبشر بن الحارث يوم ضُرب أحمد في المحنة: قد وجب عليك أن تتكلم، فقال: (تريدون مني مقام الأنبياء؟ ليس هذا عندي، حفظ الله احمد من بين يديه ومن خلفه).

أما عن مؤلفاته فيأتي في مقدمتها: (المسند) الذي يحوي ثلاثين ألف حديث اختيرت من بين خمسين وسبعمائة ألف حديث، رواها الإمام أحمد عن مائتين وثلاث وثمانين شيخًا .. وكتاب: (العلل) و(الناسخ والمنسوخ) و(الزهد) و(المسائل) و(الفضائل) و(الفرائض) و(المناسك) و(الإيمان) و(الأشربة) و(طاعة الرسول) و(الرد على الجهمية) .. يقول ابنه عبد الله: (قال لي أبو زرعة: أبوك يحفظ ألفَ ألفِ حديث، قال الإمام الذهبي: (هذه حكاية صحيحةٌ في سَعة علمه وكانوا يعُدُّون في ذلك: المكرَّر، وكذا الأثر وفتوى التابعي وما فسّر، ونحو ذلك، فقد كان علماء الحديث يروونها بالأسانيد، ويعُدونها كالأحاديث) .

ويقول عليُّ بن المديني: (ليس في أصحابنا أحفظ من أحمد، وبلغني أنه لا يحدِّث إلا من كتاب، ولنا فيه أسوة) .. رفض رحمه الله قضاء اليمن، وابتلي في زمن المعتصم وابنه الواثق بفتنة خلق القرآن ونفْي الصفات عن الله فصبر، حتى رفع المتوكل المحنة عنه وعن الناس .. وبعد رحلة عطاء توفي رحمه الله سنة ٢٤١هـ عن عمر يناهز السبعة والسبعين عامًا، وقد شهد جنازته مئات الآلاف .. ولينظر المزيد من سيرته: (سير أعلام النبلاء) للذهبي ١١/ ١٧٧: ٣٥٨ و(البداية والنهاية) ١٠/ ٣٤٠ مجلد٥ وابن حجر في (تهذيب التهذيب) ١/ ٤٩، وغير ذلك من كتب التراجم

المصادر الوارد فيها معتقد الإمام أحمد

جمع صاحب (جمهرة عقائد أئمة السلف) محمد محب الدين أبو زيد، للإمام أحمد ستة روايات، تمثل جلَّ معتقد إمام السنة أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى:

أولها: من رواية (عبدوس بن مالك العطار) في (أصول السنة) عنه، وقد نقلها اللالكائي في أول (شرحه لأصول أهل السنة) كما نقل في ثناياه لأحمد أقوالًا شتى في سائر قضايا الاعتقاد ومسائل التوحيد .

وثانيها: من رواية (الحسن بن إسماعيل الربعي) عنه .

وثالثها: من رواية (الأَنْدَرَابيِّ) عنه .

ورابعها: من رواية (الزَّرَنْدِي أحمد بن محمد التميمي) عنه، وهي رواية مُسَدَّد(١) وقد ساق روايته ابن الجوزي في (مناقب الإمام أحمد) ١٦٧: ١٧١ .

وخامسها: من رواية (محمد بن عوف الطائي) عنه .

(١) هو مُسَدَّد بن مُسَرْهَد بن مسربل الأسدي البصري قال عنه الذهبي: «الإمام الحافظ الحجة» مات سنة (٢٢٨هـ)، سير أعلام النبلاء (٥٩١/١٠) وانظر ترجمته في تهذيب التهذيب (١٠٧/١٠).

وسادسها: من رواية: (الإصْطَخْرِي)(١) عنه .. وتمثل هذه الروايات الستة التي وقعت فيما يقارب الخمس والأربعين صفحة من الكتاب السالف الذكر – مع ما ذكره أحمد في كتابه (الرد على الجهمية)، وما أورده عن أحمد: الخلال في كتابه (السنة)، وأبو الفضل عبد الواحد بن عبد العزيز التميمي ت٤١٠ في كتابه الموسوم: (اعتقاد الإمام المنَبَّل أحمد بن حنبل)، وصالح بن الإمام أحمد: خلاصة معتقد إمام السنة رحمه الله تعالى .

ونهجُنا في هذا الكتاب أن نُجمل معتقده – كما هو الشأن فيما سبق – في نقاط بقصد أن نجمع ما أمكن شتات ما قاله في كل قضية عقدية على حدة سواء ما جاء منها في هذه الروايات الستة؛ أو ما ورد في غيرها مما هو مبثوث منها في الكتب الأخرى، وذلك تفاديًا للتكرار وبغية أن تتضح معالم معتقد أمام أهل السنة بشكل تام، لاسيما فيما يمس واقعنا الأليم الذي سَرَت فيه وطرأت عليه بقايا من بدع وضلالات السابقين .. ولنبدأ بالكلام عن منهجه في التعرف على الله بصفاته

ثانيًا: معتقده في توحيد الصفات

١) جاء فيما أملاه الإمام أحمد على ابن عوف الطائي: وجوب "الإيمان .. بحديث عبد الرحمن بن عائش الحضرمي: (فوضع كفَّه بين كتفيَّ فوجدت برْدَها بين ثديَيَّ)(٢) و(جهنم لا تزال تقول: هل من مزيد؟ حتى يأتيَها الرب تبارك وتعالى، فيضعُ قدمه فيها فتُزوَى فتقول: قَط قط حَسْبي حسبي)(٣) .. وأن (آدم خُلق على صورة الرحمن)(٤) .. وحديث: (ما من قلب إلا بين أصبعين من أصابع الرحمن)(٥) و(كلتا يديه يمين)(٦) .. فمن لم يؤمن بذلك ويعلم أن ذلك حقٌّ كما قال صلى الله عليه وسلم، فهو مكذب برسول الله يُستتاب، فإن تاب وإلا قُتل، لأن الخبر قد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أن الله لما خلق آدم ضرب بيده شِقَّ آدم الأيمن، ثم ضرب بيده الأخرى – وكلتا يديه يمين – على شقِّ آدم الأيسر، فقال في الأولى: من أهل الجنة، وفي الأخرى: من أهل النار)"(٧).

٢) وكان مما كتبه لمسدد – على ما جاء برواية الزِّرنْدي في الجمهرة ص ١٩٨ ومناقب أحمد لابن الجوزي ص١٦٩ –: "أن أهل الجنة يرون ربهم بأبصارهم لا محالة .. والإيمان بالعرش والكرسي، وأن الدجال خارج في هذه الأمة لا محالة وينزل عيسى ابن مريم فيقتله بباب لُدٍ، وما أنكرت العلماء من الشبهة فهو منكر، واحذروا البدع كلها.. والصلاة على من مات من أهل القبلة وحسابهم على الله عز وجل".

٣) كما ذكر أحمد – كما في رواية الإصْطَخري – ضمن مذاهب أهل العلم وأصحاب الأثر وأهل السنة المتمسكين بعروقها المعروفين بها المقتدى بهم فيها من لدن النبي صلى الله عليه وسلم، والتي يدين الله بها: "أن الله خلق سبع سماوات وسبع أرضين، وبين الأرض العليا والسماء الدنيا مسيرة خمسمائة عام، وبين كل سماء وسماء مسيرة خمسمائة عام، والماء فوق السماء العليا السابعة، وعرش الرحمن فوق الماء، والله

---

(١) نسبة إلى إصطخر وهي من بلاد فارس .. والزَّرَنْدَى قبلها: نسبة إلى زَرَنْد بليدة من نواحي أصبهان .

(٢) هو جزء من حديثٍ لابن عباس وفيه قوله صلى الله عليه وسلم: (أتاني الليلة ربي في أحسن صورة، فقال: يا محمد هل تدري فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت: لا، فوضع يده بين كتفي حتى وجدت بردها بين ثديي؛ فعلمت ما في السموات وما في الأرض، فقال: يا محمد هل تدري فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت: نعم في الكفارات والدرجات، والكفارات: المكث في المساجد بعد الصلوات، والمشي على الأقدام إلى الجماعات، وإسباغ الوضوء في المكاره، قال: صدقت يا محمد، ومن فعل ذلك عاش بخير ومات بخير، وكان من خطيئته كيوم ولدته أمه، وقال: يا محمد إذا صليت فقل: اللهم إني أسألك فعل الخيرات، وترك المنكرات، وحب المساكين، وأن تغفر لي وترحمني وتتوب عليَّ، وإذا أردت بعبادك فتنة فاقبضني إليك غير مفتون، والدرجات: إفشاء السلام وإطعام الطعام والصلاة بالليل والناس نيام) .. رواه الإمام أحمد (١٦٠٢٦)، والترمذي (٣١٥٩)، وقال: "صحيح حسن الإسناد" وينظر للمزيد في تخريجه وشرحه الفتوى رقم (٢٧٣٣٧٧) بتاريخ ٧/ ١١/ ٢٠١٧ من موقع الإسلام سؤال وجواب.

(٣) تُزوَى أي: يُضم بعضها إلى بعض وتلتقي على من فيها .. والحديث أخرجه البخاري (٤٨٤٩) ومسلم (٢٨٤٦) من حديث أبي هريرة

(٤) سبق تخريجه

(٥) صححه أحمد في مسنده وإسحاق بن راهويه، وقد سبق تخريجه.. ولا نزاع بين السلف في وجوب القول بما دل عليه واعتقاده، وقالوا: من لم يقل به فهو جهمي

(٦) أخرجه مسلم (١٨٢٧) وهو في صحيح ابن حبان (٤٤٨٤) .

(٧) أخرجه الترمذي (٣٣٦٨) من حديث أبي هريرة بمعناه، وقال: "حديث حسن غريب من هذا الوجه".

على العرش، والكرسي موضع قدميه، وهو يعلم ما في السماوات والأرضين السبع وما بينهما وما تحت الثرى وما في قعر البحار ومَنْبَتَ كلِّ شعرةٍ وشجرةٍ وكُلِّ زرعٍ وكلِّ نباتٍ ومسقطَ كُلِّ ورقةٍ، وأعمالَ العباد وآثارَهم وكلامَهم وأنفاسَهم، ويعلم كلَّ شيء، لا يخفى عليه من ذلك شيء، وهو على العرش فوق السماء السابعة .

٤) فإن احتج مبتدع ومخالف بقول الله {ونحن أقرب إليه من حبل الوريد} [ق: ١٦]، وبقوله: {وهو معكم أين ما كنتم} [الحديد: ٤]، وقوله: {ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم} إلى قوله: {وهو معهم أينما كانوا} [المجادلة: ٧] ونحو ذلك من متشابه القرآن، فقل له: (إنما يعني بذلك: العلم، لأن الله تعالى على العرش فوق السماء السابعة العليا، ويعلم ذلك كلَّه، وهو بائن من خلقه، ولا يخلو من علمه مكان)".. وهي في (العلو) لابن قدامة ص٧٨ .

٥) وأن ضمن مذاهبهم: أن "الله .. يتكلّمُ وينظُر ويَبسُطُ، ويَضحكُ ويفرح؛ ويحب ويكره؛ ويُبغِضُ ويَرضَى؛ ويَغضبُ ويَسخطُ؛ ويرحم ويعفو؛ ويفقر ويُعطي ويمنع؛ وينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا كيف يشاء {ليس كمثله شيء وهو السميع البصير} [الشورى: ١١]، وقلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن؛ يقَلبُها كيف يشاء ويَوُعيها ما أراد.. والسماوات والأرض يوم القيامة في كفِّه".

٦) وذهب أحمد إلى ما ذهبوا إليه فكان من مذهبه – على ما جاء ذكره في رواية عبد الواحد التميمي ص٢٩ وما بعدها –: "أن لله وجهًا على الحقيقة لا كالصورة والأعيان المخطَّطَةِ، ومن ادَّعى أن وجهه نفسُه فقد ألْحَد .. وأن لله يدان هما صفة في ذاته ليستا بجارحتين، وأن قوله تعالى: {والسماوات مطويات بيمينه} [الزمر: ٦٧] يفسد أن تكون: (يد القوة والنعمة والتفضل)، لأن جمع (يدٍ): (أيدٍ) وجمع تلك: (أيادٍ)، ولو كانت اليد عنده القوة؛ لسقطت فضيلة آدم وثَبتت حجة إبليس .. وأن لله كلامًا هو به متكلم، وذلك صفة له في ذاته امتدح بها؛ وأن الله تكلم بالصوت والحرف، وكان رحمه الله يبطل الحكاية ويضللُ القائل بذلك، وعلى مذهبه: أن من قال: (إن القرآن عبارة عن كلام الله) فقد جهل وغَلَطَ، وأن قوله تعالى: {وكلم الله موسى تكليمًا} [النساء: ١٦٤] يفسد القول بالحكاية.

٧) وكان يقول: (إن الله مستوٍ على العرش المجيد كما أخبر؛ ولا يجوز أن يقال: استوى بمماسَّة ولا بملاقاة، وأن الله لم يلحقه تغيُّرٌ ولا تَبَدُّل قبل خلق العرش ولا بعد خلقه)، وكان ينكر على من يقول: (إن الله في كل مكان بذاته) لأن الأمكنة كلها محدودة .. كما ذهب إلى أنه تعالى يغضب ويرضى، وإلى أن الله يُرى يوم القيامة بالأبصار".. وقد استدَل على كل ذلك بالآيات.

٨) وبنحوٍ مما سبق: جاءت روايات الخلال – في كتاب (السنة) الذي جمع فيه نصوص أحمد وكلامه – وفيها عن أحمد – وقد سئل عمن قال إن الله ليس على العرش – قوله: "كلامهم كله يدور على الكفر" .. وقوله – وقد سئل عن قوله تعالى: {ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم} –: "يأخذون بآخر الآية ويَدَعون أولَها، هلّا قرأتَ عليه: {ألم تر أن الله يعلم ما في السماوات وما في الأرض} [المجادلة: ٧] بالعلم معهم(١)، وقال في (سورة ق): {ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من بل الوريد}؟" .. وقوله – وقد سؤل عن رجل يقول كما قال الله: {ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم} ولا أجاوزه بما يعني: أنه رابعهم بذاته –: "هذا كلام الجهمية .. عِلْمُه في كل مكان وعِلْمُه معهم" .. وقوله – وقد جُودل في ذلك –: "قد عرف المسلمون أماكن كثيرة؛ ليس فيها من عظمة الرب شيء أجسامكم وأجوافكم والحشوش والأماكن القذرة .. وقد أخبرنا الله أنه في السماء فقال: وذكر الآيات في ذلك".

٩) كما أورد الخلال ضمن رواياته: قول أحمد: "نحن نؤمن أن الله على العرش استوى كيف شاء وكما يشاء بلا حد ولا صفة يبلغها واصفون، أو يحدُّها أحدٌ، وصفات الله له ومنه وهو كما وصف نفسه لا تدركه الأبصار بحد ولا غاية وهو يدرك الأبصار".

---

(١) وفي كتابه في الرد عل الجهمية ص١٥٤ بلفظ: "يعني: علمه فيهم أينما كانوا {ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شيء عليم} ففتح الخبر بعلمه وختمه بعلمه" .

١٠) وقال الخلال: "أخبرني علي بن عيسى أن حنبلًا حدثهم قال سألت أبا عبد الله عن الأحاديث التي تروى: أن الله سبحانه ينزل إلى سماء الدنيا، وأن الله يُرى، وأن الله يضع قدمه وما أشبه هذه الأحاديث؟ فقال: نؤمن بها ونصدق بها ولا نرد منها شيئا، ونعلم أن ما جاء به رسول الله حق إذا كانت أسانيد صحاح، ولا نَرُدُّ على الله قوله ولا يوصف بأكثر مما وصف به نفسه {ليس كمثله شيء وهو السميع البصير}"(١) .

وكان حنبل قد سأله: يكلم الله عبده يوم القيامة؟ فقال: "نعم، فمن يقضي بين الخلق إلا الله، يكلمه الله ويسأله، فهو متكلم ولم يزل بما شاء ويحكم، وليس لله عِدل ولا مثل، تبارك وتعالى كيف شاء وأنى شاء" كذا أخرجه اللالكائي بسنده في شرح أصول السنة ١/ ٣٥٤

١١) وروى حنبل في موضع آخر عن أحمد قوله: ".. ولا يبلغ الواصفون صفته ولا نتعدى القرآن والحديث؛ فنقول كما قال ونصفه بما وصف به نفسه ولا نتعدى ذلك .. نؤمن بالقرآن كله محكمه ومتشابهه ولا نزيل عنه صفة من صفاته بشناعة شنعت، وما وصف به نفسه من: (كلام ونزول وخلوة بعبده يوم القيامة ووضعه كفنه عليه) فهذا كله يدل على أنه سبحانه يُرى في الآخرة، والتحديد في هذا كله بدعة والتسليم فيه بغير صفة ولا حدٍّ إلا ما وصف به نفسه، (سميع بصير لم يزل متكلمًا عالمًا غفورًا عالمَ الغيب والشهادة علامَ الغيوب) فهذه صفات وصف بها نفسه لا تُدفع ولا تُرد، وهو على العرش بلا حدٍّ كما قال تعالى: {ثم استوى على العرش} كيف شاء المشيئة إليه والاستطاعة إليه {ليس كمثله شيء) .. قلت له: والمُشَبِّه ما يقول؟؛ قال: (من قال: بصرٌ كبصري ويدٌ كيدي وقدمٌ كقدمي فقد شبه الله سبحانه بخلقه) .

١٢) وفي كتابه في (الرد على الجهمية والزنادقة فيما شكُّوا فيه من متشابه القرآن وتأولوه على غير تأويله) ص١٤٦؛ يقول أحمد: "وإن مما أنكرت الجهمية الضلال: أن الله على العرش استوى وقد أخبرنا الله أنه في السماء فقال: {أأمنتم من في السماء} [الملك: ١٦]".. وساق الآيات في ذلك وختمها بقوله: {وهو العلي العظيم} [البقرة: ٢٥٥]، وعقب يقول:

"فهذا خبر الله، أخبرنا أنه في السماء، ووجدنا كل شيء أسفل مذمومًا، قال تعالى: {إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار}، وقال: {وقال الذين كفروا ربنا أرنا اللذين أضلانا من الجن والإنس نجعلهما تحت أقدامنا ليكونا من الأسفلين}".

١٣) قال رحمه الله عقب ذلك: "ومعنى: {وهو الله في السموات وفي الأرض يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون} [الأنعام: ٣]: هو إله من في السموات وإله من في الأرض؛ وهو على العرش وقد أحاط علمه بما دون العرش، لا يخلو من علمه مكان، ولا يكون علمه تعالى في مكان دون مكان، وذلك من قوله: {ليعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علمًا} [الطلاق: ١٢].. ثم قال:

"ومن الاعتبار في ذلك لو أن رجلا كان في يده قدح من قوارير وفيه شيء؛ كان نظر ابن آدم قد أحاط بالقدح من غير أن يكون ابن آدم في القدح، فالله وله المثل الأعلى قد أحاط بجميع ما خلق وقد علم كيف هو وما هو من غير أن يكون في شيء مما خلق" قال: "وخصلة أخرى: لو أن رجلا بنى دارًا بجميع مرافقها ثم أغلق بابها؛ كان لا يخفى عليه كم بيت في داره؛ وكم سعة كل بيت؛ من غير أن يكون صاحب الدار في جوف الدار؛ فالله قد أحاط بجميع ما خلق وقد علم كيف هو وما هو وله المثل الأعلى؛ وليس هو في شيء مما خلق"(٢).

١٤) وفي سبيله لرد عادية الجهمية – في زعمهم وزعم من لف لفهم من القول بأن الله بذاته معنا وفينا؛ وفي كل مكان؛ ولا يكون في مكان دون مكان، وفي حوار مع آحادهم – يقول رحمه الله بنفس المصدر

---

(١) وبهذا المعنى أخرج اللالكائي في (شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة) (١/ ٤٢٣) عن حنبل أنه سأل الإمام أحمد عن الرؤية فقال: «أحاديث صحاح نؤمن بها ونقر، وكل ما روي عن النبي – صلى الله عليه وسلم – بأسانيد جيدة نؤمن به ونقر» .. وهي في رواية عبدوس بالجمهرة ص١٨٢ بلفظ: "والإيمان بالرؤية يوم القيامة، كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من الأحاديث الصحاح" .

(٢) الرد على الجهمية والزنادقة للإمام أحمد ت صبري شاهين ص١٤٢ وما بعدها.

ص١٥٤: "أليس كان الله ولا شيء؟ فيقول: نعم، فقل له: فحين خلق الشيء خلقه في نفسه أو خارجًا عن نفسه؟، فإنه يصير إلى أحد ثلاثة أقاويل:
إن زعم أن الله خلق الخلق في نفسه كفر حين زعم أن الجن والإنس والشياطين وإبليس في نفسه، وإن قال: خلقهم خارجًا من نفسه ثم دخل فيهم كفر أيضا حين زعم أنه دخل في كل مكان وَحَشٍّ وقَذَرٍ، وإن قال: خلقهم خارجًا من نفسه ثم لم يدخل فيهم رجع عن قوله كله أجمع وهو قول أهل السنة" .
١٥) ثم طفق يبين وجوه الحمل في الآي مثار جدل وشُبَهٍ لدى الجهمية والحلولية، من نحو قوله تعالى: {إنني معكما أسمع وأرى} [طه: ٤٦]، وقوله: {إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا} [التوبة: ٤٠]، وقوله: {والله مع الصابرين} [الأنفال: ٦٦]، وقوله: {وأنتم الأعلون والله معكم} [محمد: ٣٥]، وقوله: {وهو معهم إذ يبيتون ما لا يرضى من القول} [النساء: ١٠٨]، وقوله: {كلا إن معي ربي سيهدين} [الشعراء: ٦٢].
١٦) كما أورد ابن أبي يعلى في (طبقات الحنابلة) ٦٥/١ – وبنحوه الآجري في الشريعة ص٣٠٣ – عن المروذي قال: «سألت أحمد بن حنبل عن الأحاديث التي تردها الجهمية في: (الصفات) و(الرؤية) و(الإسراء) و(قصة العرش) فصححها وقال: (تلقتها الأمة بالقبول وتمر الأخبار كما جاءت)».. كما أورد ابن أبي يعلى بنفس المصدر ٥٩/١، ١٤٥ عن أحمد قوله: «من زعم أن الله لا يُرى في الآخرة، فهو كافر مكذب بالقرآن» .. والحق أن كلام أحمد في هذا كثير فإنه امتحن بالجهمية وجميع المتقدمين من أصحابه على مثل منهاجه.. وجميع أئمة الحديث قولهم قوله.
١٧) وأورد ابن الجوزي في (مناقب أحمد) ص١٧٠: ما كتبه الإمام أحمد بن حنبل لمُسَدّد – وهي في الجمهرة ص٢٠٠ من رواية الزَّرَنْدي – وفيه: «صِفُوا الله بما وَصَف به نفسه، وانْفُوا عن الله ما نفاه عن نفسه، واحذروا الجدال مع أصحاب الأهواء" .
١٨) وجاء في كتاب (الرد على الجهمية) للإمام أحمد ص٩٧ قوله: «وزعم جهم بن صفوان أن من وصف الله بشيء مما وصف به نفسه في كتابه أو حدّث عن رسوله كان كافرًا وكان من المشبهة، فأضل كلامُه بشرا كثيرًا».

١٩) وعن صفة كلامه تعالى جاء في رواية الزَّرَنْدي في الجمهرة ص١٩٥ قول أحمد لمسدد رحمهما الله: "لا تُؤثروا على القرآن شيئًا فإنه كلام الله، وما تكلم الله به فليس بمخلوق، وما أخبر به عن القرون الماضية فليس بمخلوق، وما في اللوح المحفوظ وما في المصحف وتلاوة الناس، وكيفما قُرئ وكيما يوصف فهو كلام الله غير مخلوق، فمن قال: (مخلوق) فهو كافر بالله العظيم، ومن لم يكفره فهو كافر(١).. إلى أن قال – وبنحوه من رواية الإصطخري ص٢١٤، ٢٢٠– :
٢٠) "وأجمع من أدركنا من أهل العلم: أن من هذا مقالته – ونظيره: من سكت عند قوله (القرآن كلام الله) ولم يقل (غير مخلوق) وهم (الواقفة)، وكذا من قال: (ألفاظنا بالقرآن مخلوقة) يعني: لكونها عبارة ملبسة وموهمة؛ وهم (اللفظية) – إن لم يتب؛ لم يُناكح ولا يجوز قضاؤه ولا تؤكل ذبيحته".
٢١) كما جاء في الجمهرة ص١٨٢، ١٨٣ – من رواية عبدوس العطار قول أحمد: «الإيمان بأن .. القرآن كلام الله وليس بمخلوق، ولا تَضْعُفُ أن تقول: (ليس بمخلوق)، فإن كلام الله منه وليس شيء منه مخلوقًا – وفي رواية الربعي زيادة (من حيثما تُلى) – وأن الله يكلم العباد يوم القيامة ليس بينه وبينهم ترجمان».
٢٢) وجاء في (كتاب المحنة) ص٦٨ لحنبل أن الإمام أحمد قال: «لم يزل الله عزّ وجل متكلمًا، والقرآن كلام الله غير مخلوق وعلى كل جهة، ولا يوصف الله بشيء أكثر مما وصف به نفسه».

(١) يقول: "ثم بعد كتاب الله سنة النبي صلى الله عليه وسم والحديث عنه وعن المهديين أصحاب النبي والتابعين من بعدهم والتصديق بما جاءت به الرسل واتباع سنة النجاة وهي التي نقلها أهل العلم كابرًا عن كابر" .. وتلك هي مصادر التلقي عند عموم أئمة أهل السنة وعلى رأسهم وفي المقدمة منهم: فقهاء المذاهب الأربعة.

٢٣) قال عبد الله بن أحمد في كتاب (السنة): إن أحمد قال: «من زعم أن الله لا يتكلم فهو كافر؛ إلا أننا نَرْوِي هذه الأحاديث – يعني: التي جاءت بهذا الصدد – كما جاءت».

٢٤) وأورد ابن أبي يعلى ١/ ١٨٥ عن عبد الله بن أحمد قال: «سألت أبي عن قوم يقولون: لما كلّم الله موسى لم يتكلم بصوت؟؛ فقال أبي: تكلم الله بصوت، وهذه الأحاديث نرويها كما جاءت».. وسئل رحمه الله عمن قال: إن الله لم يكلم موسى؟، فقال: (يستتاب؛ فإن تاب وإلا ضربت عنقه) كذا ذكره الآجري في الشريعة ص٢٨٨.

وكان الآجري قد ذكر بنفس السياق أن "من زعم أن الله لم يكلم موسى عليه السلام؛ فقد رد نص القرآن وكفر بالله العظيم.. وقيل له: يا ملحد؛ هل يجوز لغير الله أن يقول: {إنني أنا اللهْ}؟، نعوذ بالله أن يكون قائل هذا مسلماً، هذا كافر يُستتاب؛ فإن تاب ورجع عن مذهبه السوء وإلا قتله الإمام، فإن لم يقتله الإمام ولم يستتبه وعُلم منه أن هذا مذهبه: هُجِر؛ ولم يكلم ولم يسلم عليه؛ ولم يُصَلَّ خلفه؛ ولم تُقبل شهادته؛ ولم يُزوجه المسلم كريمته"إ.هـ

****

المبحث الثاني
نهيه عن علم الكلام والخصومات في الدين .. ومعتقده في سائر أمور الاعتقاد

٢٥) ومن ذلك ما أخرجه ابن بطة في (الإبانة) ٢/ ٥٣٨ عن أبي بكر المروذي قال: «سمعت أبا عبد الله يقول: من تعاطى الكلام لم يفلح، ومن تعاطى الكلام لم يخلُ أن يتجهّم» .. وأورد بنفس المصدر ٢/ ٥٤٠ عن أحمد قوله: «إذا رأيت الرجل يحب الكلام فاحذره».

٢٦) وأخرج بنفس المصدر عن عبيد الله بن حنبل قال: «حدثني أبي قال: سمعت أبا عبد الله يقول: عليكم بالسنة والحديث وينفعكم الله به.. وكل من أحدث كلامًا لم يكن آخر أمره إلا إلى بدعة، لأن الكلام لا يدعو إلى خير، ولا أحب الكلام ولا الخوض ولا الجدال، وعليكم بالسُّنن والآثار والفقه الذي تنتفعون به، ودعوا الجدال وكلام أهل الزيغ والمراء، أدركنا الناس ولا يعرفون هذا، ويجانبون أهل الكلام، وعاقبة الكلام لا تئول إلى خير، أعاذنا الله وإياكم من الفتن وسلمنا وإياكم من كل هلكة» .. وبنحو من ذلك جاءت الروايات بـ(الجمهرة) ورواية مسدد بألفاظ مختلفة .

٢٧) وفي إبانة ابن بطة أيضًا ٢/ ٥٣٩ عن أبي الحارث الصايغ قال أحمد: "من أحب الكلام لم يخرج من قلبه، ولا ترى صاحب كلام يفلح» .. وأورد ه ابن عبد البر في جامع بيان العلم ٣٦٨ بلفظ: «إنه لا يفلح صاحب كلام أبدًا، ولا تكاد ترى أحدًا نظر في الكلام إلا وفي قلبه دغل».

٢٨) وأخرج الهروي في (ذم الكلام) عن عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: «كتب أبي إلى عبيد الله بن يحيى بن خاقان(١): لَسْتُ بصاحب كلام، ولا أرى الكلام في شيء من هذا، إلا ما كان في كتاب الله أو في حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأما غير ذلك فإن الكلام فيه غير محمود».

٢٩) وأخرج ابن الجوزي في (مناقب أحمد) ص ٢٠٥ عن موسى بن عبد الله الطرسوسي قال: «سمعت أحمد بن حنبل يقول: (لا تجالسوا أهل الكلام وإن ذَبُّوا عن السُّنَّة)».

وكان أحمد قد وصفهم والجهميةَ في مقدمة كتابه (الرد على الزنادقة) بأنهم من "عقدوا ألوية البدع وأطلقوا عقال الفتنة، فهم مختلفون في الكتاب مخالفون له مجمعون على مفارقته، يقولون على الله وفي الله وفي كتاب الله بغير علم، يتكلمون بالمتشابه من الكلام ويخدعون جهال الناس بما يُشَبِّهون عليهم".. ووصفهم بنفس المصدر ص ٩٨ بأنهم من يكثرون من ذكر السلوب .

---

(١) هو أبو الحسن عبيد الله بن يحيى بن خاقان التركي ثم البغدادي، قال عنه الذهبي: «الوزير الكبير ... وَزَرَه المتوكل والمعتمد ... وحظي عند المتوكل وكان سمحًا جوادًا»، وقال ابن أبي يعلى: «نقل عن إمامنا أشياء منها أنه قال: سمعت أحمد يقول: «أنزه نفسي عن مال السلطان وليس بحرام»، مات سنة (٢٦٣هـ) .. ينظر: سير أعلام النبلاء (٩/١٣) وطبقات الحنابلة (٢٠٤/١)».

٣٠) وأخرج له العطار في روايته – كما في (جمهرة عقائد السلف) ص١٨١– قوله في أول كلامه عن أصول السنة: "التمسك بما كان عليه أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم والاقتداء بهم وترك البدع، وكل بدعة فهي ضلالة .. وترك الجلوس مع أهل الأهواء، وترك المراء والجدال، وترك الخصومات في الدين".

وبنحوٍ من ذلك جاءت رواية الربعي ص١٨٩ .. ورواية الزِّرِندي ص١٩٥، ١٩٩، ٢٠٠ وهي في ص١٧٠ في مناقب أحمد من رواية مسدد، وفي زيادة للأخير يقول أحمد: "واحذروا الجدال مع أصحاب الأهواء .. ولا تشاور أحدًا من أهل البدع في دينك، ولا ترافقه في سفرك"

=ومما ورد عنه في بقية مسائل الاعتقاد:

٣١) ما نقل عنه في طبقات الحنابلة ١/ ٤١٦ من أنه "سُئل عن التوكل، فقال: قطع الاستشراف؛ بالإياس من الخلق».

٣٢) ويأتي ضمن السنة اللازمة التي من ترك منها خصلة لم يقبلها ولم يؤمن بها؛ لم يكن – على حد قول أحمد في رواية العطار – من أهلها: "الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص كما جاء في الخبر: (أكمل الناس إيمانًا أحسنهم أخلاقًا)" .. وهو في رواية الربعي ص١٨٩ بلفظ: "الإيمان قول وعمل، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية" .. و"زيادته إذا أحسنت ونقصانه إذا أسأت، ويَخرج الرجل من الإيمان إلى الإسلام فإن تاب رجع إليه الإيمان، ولا يُخرجه من الإسلام شيء إلا الشرك بالله أو بردِّ فريضة جاحدًا بها، فإن تركها كسلًا أو تهاونًا كان في مشيئة الله إن شاء عذبه وإن شاء عفا عنه(١)" على ما نُص عليه في رواية الزَّرَنْدي عن مسدد بالجمهرة ص١٩٦ ومناقب أحمد ص ١٦٨(٢) .

٣٣) وفيها: "ولا تتألى على أحد من المسلمين أن تقول: فلان في الجنة وفلان في النار، إلا العشرة الذين شهد لهم النبي صلى الله عليه وسلم بالجنة".

٣٤) وكذا نص أحمد – كما في رواية الإصطخري ص٢٠٧، ٢٢٠ – على: (أن الإيمان: قول وعمل ونية وتمسك بالسنة) .. وأن من زعم (أن الإيمان قولٌ بلا عمل)، فهو مرجئٌ، وكذا من زعم (أن الإيمان هو: القول والأعمال شرائع)، ومن زعم (أن الإيمان يزيد ولا ينقص)، ومن زعم (أن إيمانه كإيمان جبريل والملائكة)، ومن زعم (أن المعرفة تنفع في القلب؛ لا يُتكلم بها)، ومن زعم (أن الناس لا يتفاضلون في إيمانهم)، ومن زعم (أن من آمن بلسانه ولم يعمل فهو مؤمن حقًا) وهو أخبث الأقوال، ومن لم ير الاستثناء في الإيمان على الرغم من أنه سنة عند العلماء على ألا يكون شكًا، إذ للمؤمن أن يقول: (أنا مؤمن إن شاء الله).

٣٥) وجاء في كتاب (السُّنَّة) للإمام أحمد ص٦٨ قوله: «والقدر خيره وشره؛ وقليله وكثيره؛ وظاهره وباطنه؛ وحلوُه ومرُّه؛ ومحبوبُه ومكروهه؛ وحسنه وسيئه؛ وأوله وآخره، من الله، قضاءٌ قضَاه على عباده وقدَرٌ قدَّره، ولا يعدو واحدٌ منهم مشيئةَ الله عز وجل ولا يجاوز قضاءه».

٣٦) ومطلوب القدر – كما في رواية العطار ضمن أصول السنة – بعد الإيمان به: "التصديق بالأحاديث فيه والإيمان بها، لا يقال: (لم؟) ولا (كيف؟) .

٣٧) كما جاء في كتاب (السنة) للإمام أحمد ص٧٧ – وبنحوه في رواية الإصطخري – أن: «من السُّنَّة ذكر محاسن أصحاب رسول الله كلهم أجمعين، والكف عن ذكر مساوئهم والخلاف الذي شجر بينهم، فمن سبّ أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أو أحدًا منهم فهو مبتدع، فهو رافضي خبيث مجلف، لا

(١) واستطرد يقول: "وأما المعتزلة فقد أجمع من أدركنا من أهل العلم أنه يُكَّفرون بالذنب، فمن كان منهم كذلك فقد زعم أن آدم كافر وأن إخوة يوسف حين كذبوا أباهم كفار، وأجمعت المعتزلة أن من سرق حبة في النار تَبِينُ منه امرأتُه ويَستأنف الحج إن كان حج، فهؤلاء الذين يقولون هذه المقالة كفار وحكمهم ألا يُكلموا ولا تؤكل ذبائحهم حتى يتوبوا".

(٢) ولفظها من رواية العطار: "من لقي الله بذنب يجب له به النار تائبًا غير مصرٍّ عليه، فإن الله يتوب عليه ويقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات .. وإلا فأمره إلى الله إن شاء عذبه وإن شاء غفر له"

يقبل الله منه صرفًا ولا عدلًا، بل حبهم سُنَّة، والدعاء لهم قربة، والاقتداء بهم وسيلة، والأخذ بآثارهم فضيلة».

٣٨) قال عبد الله بن أحمد كما في كتاب (السنة) ص٢٣٥: «سألت أبي عن الأئمة؟ فقال: أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي» .. وفيه قوله: «ثم أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بعد الأربعة: خير الناس، ولا يجوز لأحد أن يذكر شيئًا من مساوئهم ولا يطعن على أحد منهم بعيب ولا بنقص، فمن فعل ذلك فقد وجب على السلطان تأديبه وعقوبته، ليس له أن يعفو عنه».

٣٩) كما أورد ابن الجوزي في (مناقب أحمد) رسالة أحمد إلى مسدد وفيها ص١٧٠ وهي رواية الزَّرَنْدي بالجمهرة ص ١٩٩: «وأن تشهد للعشرة أنهم في الجنة: – أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة بن الجرّاح – وكل من شهد له النبي شهدنا له بالجنة» .. وقد ذكر أحمد في الرد على الرافضة قبل ذلك بنفس المصادر أن "من زعم أن عليًّا أفضل من أبي بكر فقد ردَّ الكتاب والسنة لقوله عز وجل: {محمد رسول الله والذين معه} [الفتح: ٢٩] فقدم الله أبا بكر بعد النبي صلى الله عليه وسلم ولم يقدم عليًّا، وقال صلى الله عليه وسلم: (لو كنت متخذًا خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلا، ولكن الله قد اتخذ صاحبكم خليلاً – يعني: نفسه – ولا بنيَّ بعدي)(١)" إلى أن قال:

"ولا عين تطرفُ بعد النبي صلى الله عليه وسلم خيراً من أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ولا بعد أبي بكر عين تطرف خيرا من عمر، ولا بعد عمر عينٌ تطرف خيراً من عثمان، ولا بعد عثمان بن عفان عين تطرف خيرا من علي بن أبي طالب رضي الله عنهم جميعاً"إ.هـ.

٤٠) وبنحوٍ من ذلك في رواية العطار، لكن على الترتيب: الخلفاء الثلاثة، ثم أصحاب الشورى الخمسة – علي وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد – ثم أهل بدر من المهاجرين فالأنصار، ثم أصحاب القرن الذي بعث فيه صلى الله عليه وسلم .. وأيضًا بزيادة: "ومن انتقص أحدًا من أصحاب رسول الله أو أبغضه لحدَثٍ كان منه؛ أو ذَكَر مساوئَه، كان مبتدعًا حتى يترحم عليهم جميعًا ويكون قلبه لهم سليمًا".

٤١) وهو في رواية الربعي بلفظ: "وأفضل الناس بعد رسول الله – وذكر الأربعة الراشدين ثم قال: – والترحم على جميع أصحاب رسول الله وأولاده وأزواجه وأصهاره رضوان الله عليهم أجمعين"، وبنحوٍ منه في رواية الزَّرندي وزاد أحمد في رده عادية الروافض: "فمن زعم أن عليَّ بن أبي طالب أفضل من أبي بكر، فقد رد الكتاب والسنة .. لقوله صلى الله عليه وسلم: (لو كنت متخذًا خليلًا لاتخذت أبا بكر خليلًا)".. كما كذَّب أحمد – في رواية ابن عوف – من اتهمه بتوقفه على عثمان.. بل أورد له ابن الجوزي في (مناقب أحمد) ص١٦٠ عبارة: "إذا رأيت رجلاً يذكر أحداً من أصحاب رسول الله بسوء؛ فاتهمه على الإسلام"إ.هـ

٤٢) وجاء عن أحمد بمعتقده من رواية العطار – ضمن السنة اللازمة التي من لم يؤمن بها لم يكن من أهلها –: "الإيمان بعذاب القبر، وأن هذه الأمة تفتن في قبورها، وتسأل عن الإيمان والإسلام ومن ربه ومن نبيه، ويأتيه منكر ونكير كيف شاء الله وكيف أراد .. والإيمان بشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم، وبقوم يخرجون من النار بعدما أحرقوا فيؤمر بهم إلى نهر على باب الجنة كما جاء في الأثر".. وبنحو من ذلك في بقية الروايات

٤٣) وفي ضمنها أيضًا: "السمع والطاعة للأئمة البَرُّ والفاجر .. والغزو ماضٍ مع الأمراء إلى يوم القيامة البَرّ والفاجر، لا يُترك، وصلاة الجمعة خلف الخليفة وخَلْفَ من ولَّى(٢): ركعتين، من أعادهما فهو مبتدع تارك للآثار مخالف للسنة، ليس له من فضل الجمعة شيء، فلا يكن في صدرك من ذلك شك" .. ويتابع قائلًا:

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٥٥) ومسلم (١٨٤٢) من حديث أبي هريرة .

(٢) ويسري هذا الحكم في حال شغور الزمان من الخلافة على: أمراء وحكام المسلمين فيما يعرف بالإمامة الصغرى، على ما أفاده ابن أبي زيد القيرواني في معتقده السالف الذكر وغيره، ومن قبل ذلك حديث حذيفة المعروف

٤٤) "ومن خرج على إمام من أئمة المسلمين – وقد كان الناس اجتمعوا عليه بأي وجه كان بالرضا أو بالغلبة – فقد شق هذا الخارج عصا المسلمين، وخالف الآثار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإن مات الخارج عليه مات ميتة جاهلية، ولا يحل قتال السلطان ولا الخروج عليه لأحد من الناس(١)، فمن فعل ذلك فهو مبتدع على غير السنة والطريق، وقتال اللصوص والخوارج جائزة إذا عرضوا للرجل في نفسه وماله، يدفع عنهما بكل ما يقدر عليه".

٤٥) ونص ذلك من رواية عبد الواحد التميمي: "وأرى الصلاة خلف كل برٍّ وفاجر، وقد صلى ابن عمر خلف الحجاج .. وكان يقول بأنه لا يجوز الخروج على إمام؛ ومن خرج على إمام قُتل الثاني، وأن الخلافة في قريش ما أقاموا الصلاة .. وكان يقول: من دعا منهم إلى بدعة فلا تجيبوه ولا كرامة، وإن قدرتم على خلعه فافعلوا، وأن الداعية إلى بدعة لا توبة له، فأما من ليس بداعية: فتوبته مقبولة"،

٤٦) وبمعتقد أحمد من رواية الإصطخري بالجمهرة ص٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٥ – من مذاهب أهل العلم وأصحاب الأثر وأهل السنة المتمسكين بعروقها المعروفين بها،المقتدى بهم فيها –: أن فرقة الخوارج بجميع شُعَبِها ومسمياتها – وبالطبع قديمًا وحديثًا –: "مرقوا من الدين وفارقوا الملة، وشردوا على الإسلام، وشذوا عن الجماعة، فضلوا عن السبيل والهدى، وخرجوا على السلطان وسلُّوا السيف على الأمة، واستحلوا دماءهم وأموالهم، وعادوا مَن خَالفهم إلا من قال بقولهم وكان على مثل قولهم ورأيهم، وثبت معهم في بيت ضلالتهم(٢) .. فهم فساق، مخالفون للسنة خارجون من الملة، أهل بدعة وضلالة .. يسمون أهل السنة (مرجئة)، وكذبت الخوارج بل هم المرجئة، يزعمون أنهم على إيمان وحق دون الناس، وأن من خالفهم كافر"(٣).

٤٧) وقد جاء في معتقد أحمد من رواية الأندرابي بالجمهرة ص١٩٣ أن من صفات وسمات المؤمن من أهل السنة والجماعة: "الدعاء لأئمة المسلمين بالصلاح، ولا تخرج عليهم بسيفك، ولا تقاتل في فتنة، والزم بيتك" .. إلى أن قال: "هذا ما اجتمع عليه العلماء في جميع الآفاق".. وفي رواية الزِّرندي ضمن وصايا أحمد لمسدد وهي في (مناقب أحمد) لابن الجوزي ص١٧٠ بلفظ: "والدعاء لأئمة المسلمين بالصلاح، ولا تخرج عليهم بالسيف، ولا تقاتل في الفتنة.. والخروج مع كل إمام في غزوه وحجه والصلاة خلفهم – أو خلف من يُنيبونهم – الجمعة والعيدين"

٤٨) وبمعتقد أحمد من رواية الإصطخري بالجمهرة ص٢١٠ – من مذاهب أهل العلم وأصحاب الأثر وأهل السنة المعروفين بها، المقتدى بهم فيها – ما نصه: "والخلافة في قريش ما بقي في الناس اثنان، ليس لأحد أن ينازعهم فيها ولا يَخرج عليهم، ولا نقر لغيرهم بها إلى قيام الساعة، والجهاد ماضٍ قائم مع الأئمة بَرُّوا أو فجروا، لا يبطله جور جائر ولا عدل عادل .

٤٩) والانقياد إلى من ولّاه الله أمركم، لا تنزع يدًا من طاعته، ولا تخرج عليه بسيفك.. وتسمع وتطيع، ولا تنكث بيعً، فمن فعل ذلك فهو مبتدع مخالف مفارق للجماعة، وإن أمرك السلطان بأمر هو لله معصية، فليس لك أن تطيعه البتة، وليس لك أن تخرج عليه ولا تمنعه حقه، والإمساك في الفتنة سنة ماضية واجب لزومها، ولا تُعِنْ على فتنة بيد ولا لسان، ولكن اكفف يدك ولسانك وهواك"إ.هـ

٥٠) وكان قد نص في رواية مُسَدّد ص٣٤ وهي في مناقب أحمد لابن الجوزي ص١٧٠ أن "لا نكاح إلا بولي وخاطب وشاهدي عدا، والمتعة حرام إلى يوم القيامة .. والمسح على الخفين للمسافر ثلاثة أيام بلياليهن وللمقيم يوم وليلة"

---

(١) يقول أحمد: إن مما أجمع عليه التابعون وأئمة المسلمين وأئمة السلف وفقهاء الأمصار على أنها من السنة التي توفي عليها صلى الله عليه وسلم: "الصبر تحت لواء السلطان، على ما كان عليه من عدل أو جور، وألا نخرج على الأمراء بالسيف وإن جاروا" كذا في رواية الربعي

(٢) ومن ينازع أو يشك في أن جماعة الإخوان وسائر الجماعات التكفيرية التي خرجت من تحت عباءتهم هم كذلك، فليقرأ كتاب: (إماطة اللثام عما تمس الحاجة لمعرفته من عقائد ووقائع وأحكام) ليطلع على مصائبهم وضلالاتهم مذ نشئوا وإلى يوم الناس هذا

(٣) وهذه حقيقة فيهم حتى في زماننا حيث يقول البنا متولى كبرهم– كما في كتاب التاريخ السري للإخوان المسلمين ص١٨٦ –: "من لحق بنا فهو مسلم، ومن وقف ضدنا فقد حكم على نفسه بالكفر"، ويقول في رسائله ص١٠٣: "نعلم في وضوح وصراحة أن كل مسلم لا يؤمن بهذا المنهاج ولا يعمل لتحقيقه؛ لا حظ له في الإسلام"، وعن عبارات سيد قطب وكل من خرج من عباءة جماعة الإخوان في هذا؛ حدث ولا حرج.

المبحث الثالث
جولة حول أبرز من تلقى عنهم الإمام أحمد أمور الاعتقاد ومن أخذوا العلم عنه

أولًا: أبرز من تلقى عنهم الإمام أحمد معتقده

تلقى أحمد العلم وأمور الاعتقاد عن ابن عيينة ووكيع وأبو داود الطيالسي وعبد الرزاق والشافعي وغيرهم، ونذكر – على سبيل المثال – ممن لم نتناولهم بالحديث:

=الإمامَ أبا بكر بن عياش، المتفق على توثيقه وقد أخرج له البخاري ومسلم، والمتوفى سنة ت١٩٤:

ترجم له الذهبي في تهذيب التهذيب ٦/ ٣٠٨ وذكر سؤال ابنه إبراهيم وقوله له: "لما نزل بأبي الموت قلت: يا أبت ما اسمك؟ قال: (يا بني إن أباك لم يكن له اسم – يعني: أن لقبه هو اسمه – وإن أباك .. يختم القرآن من ثلاثين سنة كل يوم مرة) .. وكان يقول: (أنا نصف الإسلام) .. كان جليلًا ومن الحفاظ المتقنين، وكان قد صام سبعين سنة وقامَها ولا يعلم له بالليل نوم .. يحكي عنه العجلي أنه كان صاحب سنة وعبادة.

كما ترجم له الذهبي أيضًا في العلو ص١١٦ – وهو بمختصره ص١٦٦ – ونقل عنه قوله فيما صح إسناده: "القرآن كلام الله ألقاه إلى جبرائيل، وألقاه جبرائيل إلى محمد صلى الله عليه وسلم، منه بدأ وإليه يعود".. وقوله – وقد سئل عن الجهمية وما تقوله بحق القرآن –: "من زعم أن القرآن مخلوق فهو عندنا كافر زنديق"، أخرجه أبو داود في المسائل ص٢٦٧ وسنده جيد.

ومن جليل ما ساقه له الذهبي، قوله: " الخلق أربعة، معذور، ومخبور، ومجبور، ومثبور .. فالمعذور: البهائم، وأما المخبور: فابن آدم، والمجبور: الملائكة، والمثبور: إبليس" .

وكان رحمه الله قد حدث عن أبي سعيد البقال عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أن اليهود أتوا النبي فسألوه عن خلق السموات والأرض؟، فذكر حديثًا طويلًا .. قالوا: ثم ماذا يا محمد؟ قال صلى الله عليه وسلم: (ثم استوى على العرش)، قالوا: أصبت يا محمد لو أتممت: ثم استراح .. فغضب صلى الله عليه وسلم غضبًا شديدًا، فأنزل الله: {ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب} [ق: ٣٨]

= وسيد الحفاظ يحيى بنَ سعيد القطان ت١٩٨:

كان كما ذكر ابن حبان "من سادات أهل زمانه حفظًا وورعًا وفهمًا وفضلًا ودينًا وعلمًا" .. ترجم له الحافظ الذهبي في العلو ص١١٤ – وهو بمختصره ص١٦٠ – ونقل عنه استنكاره الشديد بالقول بخلق القرآن قائلًا: "كيف بـ {قل هو الله أحد} يقولون هذا مخلوق؟، وفي رواية له: "كيف يصنعون بـ {قل هو الله أحد}؟! كيف يصنعون بهذه الآية: {إني أنا الله} يكون مخلوقًا؟! .. وهي في السير ٩/ ١٨٢ بلفظ: "من قال: ({قل هو الله أحد} مخلوق) فهو زنديق؛ والله الذي لا إله إلا هو".

كما ترجم الذهبي له في السِّيَر ٩/ ١٧٥، وابن حجر في تهذيب التهذيب ٦/ ١٣٨ وذكرا له من أخباره أنه كان "يختم القرآن كل يوم وليلة يدعو لألف إنسان، ثم يخرج بعد العصر، فيحدث الناس"، ونقلا عن الحافظ ابن عمار قوله: "كنت إذا نظرت إلى يحيى ظننت أن لا يحسن شيئًا، فإذا تكلم انصت له الفقهاء"، وعن بندار قوله عنه: "اختلفت إلى يحيى بن سعيد أكثر من عشرين سنة، ما أظنه عصى الله قط، لم يكن في الدنيا في شيء"، وعن أحمد بن حنبل قوله: "يحيى بن سعيد أثبت الناس" وقال: "ما كتبتُ الحديث عن مثل يحيى بن سعيد".. والكلام عن فضله ومكانته لا ينقضي

وعن سلامة معتقده يقول أبو قدامة السرخسي فيما نقله عنه الذهبي في السير ٩/ ١٧٩: سمعت يحيى بن سعيد يقول: "كل من أدركت من الأئمة كانوا يقولون: (الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص)، ويكفرون الجهمية، ويقدمون أبا بكر وعمر في الفضيلة والخلافة".

=والإمامَ عبد الرحمن بن مَهْدي ت١٩٨:

قال عنه على بن المديني شيخ البخاري: "حافظ الأمة، لو حلفت بين الركن والمقام، لحلفت أني ما رأيت أعلم من ابن مهدي"، وقال: "كان وِرْدُ عبد الرحمن كل ليلة نصف القرآن" .. وقال عنه الشافعي: "لا أعرف له نظيرًا في الدنيا" .

ترجم له الذهبي في العلو ص١٨٨ – وهو بالمختصر ص١٦٩ –(١) ونَقل وغيرُه(٢) عنه بإسناد صحيح قوله: "إن الجهمية أرادوا أن ينفوا أن يكون الله كلم موسى وأن يكون على العرش.. أرى أن يستتابوا، فإن تابوا وإلا ضُربت أعناقهم"، ولا ندري ما رأي الأشعرية والحلولية في هذا الكلام والوعيد والاستنكار الشديد، من كلام كافة أئمة أهل السنة والجماعة هذا؟، فلينتهوا عما هم سادرون فيه، فهذا خير لهم وأقوم .

=وشيخ الإسلام يزيد بن هارون ت٢٠٦:

ترجم له الذهبي في العلو ص١١٧ – وهو بمختصره ١٦٧ – ونقل عنه بسند جيد قوله – وقد سئل عن الجهمية المعطلين لصفة (استواء تعالى على عرشه) .. والكلام بالطبع لاحق لمن قال بقولهم من الأشعرية –:

"من زعم أن الرحمن على العرش استوى على خلاف ما يَقِرُ في قلوب العامة فهو جهمي"، قال الحافظ الذهبي معلقًا: "و(العامة) مراده بهم: جمهور الأمة وأهل العلم، والذي وَقَرَ في قلوبهم من الآية هو ما دل عليه الخطاب، مع يقينهم بأن المستوِي ليس كمثله شيء"(٣).. يقول: "هذا الذي وقر في فطرهم السليمة وأذهانهم الصحيحة، ولو كان له معنى وراء ذلك لتفوهوا به ولما أهملوه، ولو تأول أحد منهم الاستواء لتوفرت الهمم على نقله، ولو نقل لاشتُهر، فإن كان في بعض جهلة الأغبياء من يفهم من الاستواء ما يوجب نقصًا أو قياسًا للشاهد على الغائب، وللمخلوق على الخالق، فهذا نادر، فمن نطق بذلك زُجِرَ وعُلِّم، وما أظن أن أحدًا من العامة يُقِرّ في نفسه ذلك" .

وكان الإمام البخاري قد نقل في كتابه (خلق لأفعال العباد) عن يزيد ما سبق أن ذكرناه له بنصه ص١٨، ونقله عنه مرة أخرى بنفس الصفحة لكن بلفظ: "من قال: (القرآن مخلوق) فهو كافر"، وأخرى ص٩ بلفظ: "حلف يزيد بن هارون بالله الذي إله إلا هو، من قال: إن القرآن مخلوق فهو زنديق، ويستتاب، فإن تاب وإلا قتل" .. كما ذكره البخاري ص٦٠ ضمن آخرين معروفين بالعلم في عصورهم بلا اختلاف منهم؛ أجمعوا على "أن القرآن كلام الله"

كما نقل البخاري بسنده بنفس المصدر ص٢١ عن يزيد بن هارون بشأن (رؤية العباد ربهم يوم القيامة) قوله: "من كذب بهذا فهو برئ من الله ورسوله .. وقد جاءت هذه الآثار الواردة في (خلق أفعال العباد) بالترتيب المذكور تحت أرقام: (٤٨، ٥٠، ٧، ١٦٠، ٥٨) .

= وإمام البصرة وهب بن جرير ت٢٠٦:

ترجم له الذهبي في العلو ص١١٨ – وهو بمختصره ص١٧٠ – وذكر له قوله من طريق محمد بن حماد: "إياكم ورأي جهم، فإنهم يحاولون – أو: يريدون – أنه ليس في السماء شيء"، وما هو إلا من وحي إبليس، ما هو إلا الكفر" .. وكان محمد بن عثمان الحافظ قد حكاه في رسالته في السنة، وهو لدى البخاري رحمه الله في كتابه (خلق الأفعال)، بلفظ: "الجهمية الزنادقة، إنما يريدون أن ليس على العرش استوى"

---

(١) كما ترجم له ابن حجر في تهذيب التهذيب ٣/ ٤٢٤ .

(٢) كالبخاري في خلق أفعال العباد (رقم: ٥٩) والآجري في الشريعة ص٢٨٨ والبيهقي في الأسماء والصفات ص٣٥١ ، ٣٥٢ ، ٣٥٣ وغيرهما

(٣) ولفظ شيخ الإسلام فيما نقله عنه ابن القيم في اجتماع الجيوش ص٨٤: "والذي تقرر في قلوب العامة، هو: ما فطر الله تعالى عليه الخليقة من توجهها إلى ربها تعالى عند النوازل والشدائد والدعاء والرغبات إليه تعالى نحو العلو؛ لا يلتفت يمنة ولا يسرة من غير مُوقِفٍ وقَّفهم عليه، ولكن فطرة الله التي فطر الناس عليها، وما من مولود إلا وهو يولد على هذه الفطرة حتى يجهمه وينقله إلى التعطيل؛ مَن يُقَيّضُ له"

ثانيًا: هذا ومن تلامذة الإمام أحمد وممن أخذوا عنه مذهبه العقدي– على ما هو المفترض – قبل الفقهي:

= الإمام القدوة الرباني الحجة أبو الحسن عبد الوهاب بن عبد الحكم بن نافع البغدادي الوراق ت٢٥٠:

أحد الأئمة الحفاظ، أثنى عليه الأئمة وكان من جلساء أحمد، ترجم له الذهبي في العلو ص١٤٢ – وهو بمختصره ص٢١٢ – وقال عنه: "كان ثقة حافظًا كبير القدر، حدَّث عنه أبو داود والنسائي والترمذي، وقد قيل للإمام أحمد: (مَن نسأل بعدك؟)، فقال: (سلوا عبد الوهاب) وأثنى عليه" قائلًا – كما جاء في السير ١٢/ ٣٢٤ –: "(عافاه الله، قلَّ أن ترى مثله)، قلت – أي: الذهبي –: كان كبير الشأن من خواص أحمد"إ.هـ

وأما عن معتقده، فقد نقل عنه الذهبي في العلو قوله فيما صح عنه: "من زعم أن الله هاهنا فهو جهمي خبيث، إن الله عز وجل فوق العرش، وعلمه محيط بالدنيا والآخرة"، وذلك بعد أن حدَّث بقول ابن عباس: "ما بين السماء السّابعة إلى كُرْسيِّه سَبعةَ آلافِ نورٍ وهو فوق ذلك" .

وكان قد ذكر قول أحد المعطلة الغلاة: (ما لهذا المحدث ذنب ولا لأمثاله، غرَّهم قول شيوخهم، واغترَّ شيوخهم بما صرح به التابعون في هذه المسألة، وأولئك غرَّهم قول ابن عباس وابن مسعود وعبد الله بن عمرو بن العاص)، فكان رد الذهبي عليه قاسيًا إذ قال في رَدِّه: "نَعَم يا جاهل، فأطَّرِدْ مقالتَك الشنعاء، وقل: (الصحابة غرَّهم قول الصادق المصدوق: {أعتقها فإنها مؤمنة}(١) وقوله صلى الله عليه وسلم: {ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا}(٢)، فالنبي صلى الله عليه وسلم أصَّل ذلك وألقاه إلى أمته، وبناه على ما أوحي إليه من قول أصدق القائلين: {الرَّحمَنُ عَلَى الْعَرشِ اسْتَوَى} [طه: ١١]، {يخَافُونَ رَبَّهُمْ منْ فَوْقِهِم} [النحل: ٥٠] إلى غير ذلك من الآيات، وإلى ما عَلَّمه جبرائيل، وما جاء به عن رب العالمين من السنة، وما جاء به المرسلون إلى أممهم من إثبات نعوت الرب سبحانه وتعالى، فالحمد لله على الإسلام والسنة".. كما أثر عنه قوله: " القرآن كلام الله غير مخلوق ومَن قال مخلوق فهو كافر .. هو والله زنديق"إ.هـ.

=حرب بن إسماعيل الكرماني ت ٢٨٨:

صاحب أحمد وابن راهويه وله مسائل جليلة عنهما رحمهم الله تعالى .. ترجم له الذهبي في العلو ص١٤٣ – وهو بمختصر الألباني ص٢١٣ – وذكر أنه كان "من أوعية العلم، حمل عن أحمد وإسحاق، وكان عالمَ كِرْمان في عصره، يُذكر مع الأثرم والمروذي، ارتحل إليه الخَلّال وأكثر عنه" .. كما نُقل عنه فيما كتب إلى الحافظ عبد الرحمن بن محمد الحنظلي: "إن الجهمية أعداء الله، وهم الذين يزعمون أن القرآن مخلوق، وأن الله لم يكلم موسى، ولا يُرى في الآخرة، ولا يعرف لله مكان، وليس على عرش ولا كرسي .. وهم كفار؛ فاحذرهم" .

ومما أثر عنه قوله: "والماء فوق السماء السابعة، والعرش على الماء، والله على العرش" وقد نقله عنه صاحب اجتماع الجيوش ص ٩٢ وعلق يقول: "هذا لفظه في مسائله وحكاه إجماعا لأهل السنة من سائر أهل الأمصار"، وهذا إنما يحمل – بالطبع – على الوجه الذي يليق بجلال الله دون ما تكييف ولا تجسيم.

ولعل مما يعضد إثبات ذلك الخير: ما أخرجه صاحب (مختصر العلو) تحت رقم (٣٥) في نصوص السنة من حديث عبد الله بن عمر الموقوف وقد صحح سنده، وفيه: "جعل الله السماء السابعة فوق الماء، وجعل فوق الماء العرش.."، وما أخرجه كذلك تحت رقم (٤٨) – وبنحوه الأثر (٥٤) – من حديث ابن

(١) أخرجه مسلم وأبو داود والنسائي وغير واحد من الأئمة في تصانيفهم .. وقد سبق تفصيل القول في ذلك
(٢) سبق تخريجه

مسعود بإسناد صحيح أيضًا وفيه: "العرش فوق الماء، والله فوق العرش لا يخفى عليه شيء من أعمالكم"

.

وإنما أردنا بذلك رد ما قاله صاحب المختصر من أن "نسبة المكان إلى الله تعالى مما لم يرد في الكتاب والسنة ولا في أقوال الصحابة وسلف الأمة، ومن أن اللائق بنهجهم أن لا ننسبه إليه تعالى خشية أن يوهم ما لا يليق به عز وجل"، يقول هذا على الرغم من أنه رَدَّ في ص٧٠ وما بعدها شبهة من نفى المكان والجهة عن الله تعالى بقصد إنكار علوه سبحانه والمفضية لنفي رؤيته تعالى وعلوه على خلقه، وأوضح – رحمه الله – وجه الصواب في وجوب اعتقادهما.

=أبو بكر بن أبي داود ت ٣١٦:

ترجم له الذهبي في العلو ص١٥٣، ١٥٤ – وهما بمختصره ص٢٢٨، ٢٢٩ – وقال عنه: إنه "كان من الحفاظ المبرزين .. صنف التصانيف وانتهت إليه رئاسة الحنابلة ببغداد" .. وساق له قصيدة طويلة – وكذا فعل صاحب الجمهرة ص٢٦٨ – جاء فيها:

تمسك بحبل الله واتبع الهدى ... ولا تك بدعيًّا لعلك تفلحُ
ودِن بكتاب الله والسنن التي ... أتت عن رسول الله تنج وتربح
وقل: غير مخلوق كلام مليكنا ... بذلك دان الأتقياء وأفصحوا
ولا تقل: القرآن خلق قرانه ... فإن كلام الله باللفظ يوضح
وقل: ينزل الجبار في كل ليلة ... بلا كيفٍ جل الواحد المتمدح
إلي طبق الدنيا يمنُّ بفضله ... فتفرج أبواب السماء وتفتح
يقول: ألا مستغفر يلق غافرا ... ومستمنح خيرًا ورزقًا فيمنح
روى ذاك قوم لا يُرَدُّ حديثهم ... ألا خاب قوم كذبوهم وقبحوا
وقل: إن خير الناس بعد محمد ... وزيراه قِدْمًا ثم عثمان الأرجح
ورابعهم خير البرية بعدهم ... عليٌّ حليفُ الخير بالخير مُمْنح
وقل خير قول في الصحابة كلهم ... ولا تك طعانًا تعيب وتجرح
فقد نطق الوحي المبين بفضلهم ... وفي الفتح أي في الصحابة تمدح
وبالقَدَرِ المقدور أيقن فإنه ... دُعامة عقد الدين والدين أفيح
ولا تنكِرَنْ جَهلًا نكيرًا ومنكرًا ... ولا الحوض والميزان إنك تنصح
وقل يخرج الله العظيم بفضله ... من الناس أجسادًا من الفحم تُطرح
وأن رسول الله للخلق شافع ... وقل في عذاب القبر حقَّ موضح
ولا تكفرن أهل الصلاة وإن عصوا ... فكلهم يعصي وذو العرش يصفح
ولا تعتقد رأي الخوارج إنه ... مقالٌ لمن يهواه يُردى ويَفضح
ولا تك مرجيًّا لعوبًا بدينه ... ألا إنما المرجيُّ بالدين يمزح
وقل: إنما الإيمان قولٌ ونيةٌ ... وفعلٌ على قول النبي مُصَرَّحُ
وينقص طورًا بالمعاصي وتارة ... بطاعته يَنمى وفي الوزن يَرجح
ودع عنك آراءَ الرجال وقولَهم ... فقولُ رسول الله أزكى وأشرح
ولا تك من قوم تلَهَّوا بدينهم ... فتطعنَ في أهل الحديث وتقدح
إذا ما اعتقدت الدهر يا صاح هذه ... فأنت على خير تَبِيت وتُصبح

وهي – على حد قول الذهبي – "قصيدة متواترة عن ناظمها، رواها الآجُرِّي وصنَّف لها شرحًا، وابن بطة في الإبانة .. قال أبو داود: (هذا قولي وقول أبي وقولُ شيوخنا وقول العلماء ممن لم نرهم كما بلغنا عنهم، فمن قال غير ذلك فقد كذب".. وقد ذكر القصيدة بتمامها

=والإمام الزاهد أبو عبد الله بن بطة العكبري شيخ حنابلة عصره ت ٣٨٧:

ترجم له الذهبي في العلو ص١٧٩ – وهو بمختصره ص٢٥٣ – وختم الذهبي كلامه عنه بقوله: "وكان ابن بطة من كبار الأئمة، ذا زهد وفقه، وسُنَّةٍ واتِّباع، وتكلموا في إتقانه، وهو صدوق في نفسه، سمع من البغوي وطبقته".

وكان أن نقل عنه في كتاب الإبانة له وهو ثلاث مجلدات، قولَه: "باب الإيمان بأن الله على عرشه، بائن من خلقه، وعِلْمُه محيط بخلقه، حيث أجمع المسلمون من الصحابة والتابعين، أن الله على عرشه فوق سمواته، بائن من خلقه، فأما قوله تعالى: {وهُوَ مَعَكُم} [الحديد: ٤]، فهو كما قالت العلماء: (علمه)، وأما قوله: {وهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوات وَفِي الْأَرْضِ} [الأنعام: ٣] معناه: (أنه هو الله في السموات وهو الله في الأرض)، وتصديقه في كتاب الله {وهُو الَّذِي فِي السَّمَاء إِلـهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَـهٌ} [الزخرف: ٨٤]، واحتج الجهمي بقوله: {مَا يكُون مِنْ نَجْوى ثلاثَـةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعهُمْ} [المجادلة: ٧] فقال: (إن الله معنا وفينا) وقد فسر العلماء (أن ذلك عِلْمُه)، ثم قال تعالى في آخرها: {إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيم} .

ثم إن ابن بطة سرد بأسانيده أقوالَ بعضِ من قال: (إنه عِلْمُه)، وهم: الضحاك، والثوري، ونعيم بن حماد، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه" .. .

=وشيخ العراق سيد الوعاظ محمد عبد القادر الجيلي الحنبلي المنتهي نسبه إلى الحسن بن علي، والمتوفى سنة ٥٦٢:

ترجم له الذهبي في العلو ص١٩٣ – وهو بمختصره ص٢٨٣ – وأعقب ما نقله عن الجيلي بقول العز بن عبد السلام عنه: "ما نعرف أحدًا كراماته متواترة كالشيخ عبد القادر".. على الجميع سحائب الرحمة والرضوان .. وكان قد نقل عنه قوله من كتابه (الغنية) – وهو مجلد جدير أن يُدرَّس على طلبة العلم –:

"أما معرفة الصانع بالآيات والدلائل على وجه الاختصار، فهو أن يَعرف ويَتيقن أن الله واحدٌ أحدٌ" إلى أن قال: "وهو سبحانه مستوٍ على العرش، محتو على الملك، محيط علمه بالأشياء {إِلَيه يصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّب وَالْعمَل الصَّالِح يَرْفَعهُ} [فاطر: ١٠]، ولا يجوز وصفه بأنه في كل مكان، وينبغي إطلاق ذلك من غير تأويل، وكونه تعالى على العرش مذكور في كل كتاب أنزل على كل نبي أرسل، بلا كيف" .

هذا، ومما نص عليه رحمه الله في كتابه السالف الذكر ص٧٢ وما بعدها: "أنه تعالى متكلم بكلام .. يضحك ويفرح، يُحب ويكره، ويبغض ويرضى، ويغضب ويَسخط .. له يدان وكلتا يديه يمين .. وأنه كتب التوراة بيده وكلم موسى تكليمًا من غير واسطة ولا ترجمان، وقلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلِّبُهما كيف يشاء، والسماوات والأرض يوم القيامة في كَفِّهِ كما جاء في الحديث، ويضع قدمه في جهنم فينزوي بعضها إلى بعض وتقول: قَط قط .. وينظر أهل الجنة في وجهه ويرونه لا يضامون في رؤيته ولا يضارُّون" .

قال: "وينبغي إطلاق كلمة الاستواء من غير تأويل وأنه استواء الذات على العرش لا على معنى القعود والمماسة كما يقول (المجسمة والكرَّامية)، ولا على معنى العلو والرفعة كما قالت (الأشعرية)، ولا على معنى: الاستيلاء والغلبة كما قالت (المعتزلة)، لأن الشرع لم يرِدْ بذلك، ولا نُقل عن أحد من الصحابة والتابعين من السلف الصالح من أصحاب الحديث ذلك، بل المنقول عنهم حَمْلُه على الإطلاق" .. وساق الأدلة وكلام أحمد في ذلك، إلى أن قال:

"وأنه ينزل في كل ليلة إلى سماء الدنيا كيف يشاء وكما شاء، لا بمعنى نزول الرحمة وثوابه على ما ادعته (المعتزلة) و(الأشعرية)" كذا بالنص على الأشعرية وغيرِها من الفرق البدعية المخالفة لمنهج أهل السنة .. إ.هـ بتصرف من كتابه ص٧٢ وما بعدها، و(جمهرة عقائد أئمة السلف) ص٤٨٩، ٤٩١ .

= والشيخ الإمام القدوة العلامة المجتهد شيخ الإسلام إمام الأئمة ومفتي الأمة ابن قدامة المقدسي، موفَّق الدين أبو محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد الدمشقي الحنبلي صاحب (المغني) ت ٦٢٠ .

ترجم له الذهبي في: (سير أعلام النبلاء) ٢٢/ ١٦٠ وابن كثير في: (البداية والنهاية) ١٣/ ١٠٧ مجلد٧ وابن رجب في: (ذيل طبقات الحنابلة) ٢/ ١٣٣ وابن العماد في: (الشذرات) ٥/ ٨٨ وما بعد هذه الصفحات .. وذكروا أنه هاجر من نابلس مع أهل بيته وأقاربه وله عشر سنين وحفظ القرآن و(مختصر الخرَقِي) ولزم الاشتغال من صغره، وكان من بحور العلم وأذكياء العالم.

رحل – رحمه الله – هو وابن خاله الحافظ عبد الغني في طلب العلم إلى بغداد، ونزلا عند الشيخ عبد القادر الجيلاني وسمعا منه ومن غيره، ثم أقاما عند ابن الجوزي.. وأنه كان عالمَ أهل الشام في زمانه، بل كان إمامًا في العلم والعمل، ودائمَ الابتسام – وبخاصة في المناظرات – ومثالًا في الشجاعة وحسن الخلق والصوت بالقرآن.

وكان بعضهم قد نقل عن ابن النجار قوله: "كان الموفَّق إمام الحنابلة بجامع دمشق؛ ثقة حجة، نبيلًا غزيرَ الفضل نَزِهًا ورعًا عابدًا على قانون السلف، عليه النور والوقار، ينتفع الرجلُ برؤيته قبل أن يسمع كلامه" .. وعن بعض المفتين قوله: "ما أعرف أحدًا في زماننا أدرك درجة الاجتهاد إلا الموفق" .. وعن عمر بن الحاجب قوله: "إن الله خصَّه بالفضل الوافر والعلم الكامل، وضنت بمثله الأعصار، وأنه أخذ بمجامع الحقائق النقلية والعقلية"، إلى أن قال: "وله المؤلفات الغزيرة، وما أظن الزمان يسمح بمثله، متواضع حسن الاعتقاد ذو أناة وحلم ووقار، مجلسُه معمورٌ بالفقهاء والمُحَدِّثين، وكان كثير العبادة دائم التهجد؛ لم نر مثله" .

ولابن قدامة من المصنفات: (المغني) في عشر مجلدات و(الكافي) في أربعة، و(المقنع) و(العمدة) و(القنعة) في الغريب، وكذا (صفة العلو لله الواحد القهار) و(ذم التأويل) وهما من أفضل الكتب التي تضمنت الرد على الأشعرية، و(فضائل الصحابة)، و(وصيته) وغير ذلك، ويأتي على رأس مصنفاته تلك كتابه: (لمعة الاعتقاد) وقد طبع أكثر من مرة وكان ضمن من نصوا عليه صاحبا (جمهرة عقائد أئمة السلف) ص٥٨٤، و(الجامع الفريد) ص١٧٣ وما بعدهما.

=وقد افتتحه بقوله: "الحمد لله المحمود بكل لسان في كل زمان، الذي لا يخلو من علمه مكان ولا يشغله شأن عن شأن، جلَّ عن الأشباه والأنداد، وتنزه عن الصاحبة والأولاد، ونفَذَ حُكمه في جميع العباد، لا تُمَثِّله العقول بالتفكير، ولا تتوهَّمُه القلوب بالتصوير، { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وهُوَ السَّمِيع الْبَصِيرُ } [الشورى: ١١]، له الأسماء الحسنى والصفات العلى {الرَّحمَنُ عَلَى الْعَرشِ اسْتَوَى . لَهُ ما في السَّماوات وَمَا فِي الْأَرضِ وما بينهُما وَمَا تحْتَ الثَّرَى . وَإِنْ تَجهر بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى } [طه: ٥ - ٧]، أحاط بكل شيء علمًا؛ وقهَر كل مخلوق عزة وحُكْمًا، ووسِع كلَّ شيء رحمة وعِلْمًا { يعلَمُ ما بَينَ أَيْدِيهِم وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحيطُونَ بِه عِلْمًا} [طه: ١١٠]، موصوفٌ بما وصف به نفسه في كتابه العظيم وعلى لسان نبيه الكريم.

وكلُّ ما جاء في القرآن أو صح عن المصطفى عليه السلام من صفات الرحمن وجب الإيمان به وتلقيه بالتسليم والقبول، وتركُ التعرض له بالرد والتأويل والتشبيه والتمثيل .

وما أُشكل من ذلك وجب إثباته لفظًا، وترك التعرض لمعناه(١) ونردُّ علمَه إلى قائله – فنفسر منه ما فسره السلف ونقف على ما وقفوا عليه، مع اعتقادِ أن قراءته تفسيره، وأن المتشابه منه فقط؛ هو ما تعلق بالكيف – اتباعًا لطريق الراسخين في العلم الذين أثنى الله عليهم بقوله: {وَالرَّاسخُون في العِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِه كُلٌّ منْ عنْدِ رَبِّنَا } [آل عمران: ٧]، وقال في ذم مبتغي التأويل لمتشابه تنزيله {فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زيغٌ فَيتَّبِعونَ ما تشَابه منه ابتغاء الْفتْنة وابتغاء تأويلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ } [آل عمران: ٧] ، فجعل ابتغاء التأويل علامة على الزيغ، وقَرَنَه بابتغاء الفتنة في الذمِّ، ثم حجبهم عما أمَّلوه وقطع أطماعهم عمّا قصدوه بقوله سبحانه: {وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ } .

(١) الموهم لمشابهة المخلوقين، والذي لأجله نفى الجهمية صفات الله تعالى وعطلوها بعد أن عمدوا لحمل معانيها على غير وجوهها، وإلا فالأمر في ذلك هو ما ورد عن سفيان بن عيينة: (قراءتها تفسيرها)

قال الإمام أحمد بن حنبل في قول النبي صلى الله عليه وسلم: (إنّ الله ينزل إلى سماء الدنيا) أو (إن الله يُرى في القيامة) وما أشبه هذه الأحاديث: (نؤمن بها ونصدق بها بلا كيف ولا معنى من معاني جهم الذي تأول النصوص على غير تأويلها، ولا نردُّ شيئًا منها ونعلم أن ما جاء به الرسول حق، ولا نردُّ على رسول الله؛ ولا نَصِفِ الله بأكثر مما وَصَف به نفسه بلا حدٍّ ولا غاية { لَيْسَ كَمِثْلِه شَيْءٌ وهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}، ونقول كما قال؛ ونصفه بما وصف به نفسه، لا نتعدى ذلك، إذ لا يبلغُه وصفُ الواصفين، نؤمن بالقرآن كله محكمه ومتشابهه ولا نُزِيل عنه صفة من صفاته لشناعةٍ شُنعت ولا نتعدى القرآن والحديث ولا نعلم كيف كُنْهُ ذلك) .. وقال الإمام الشافعي: (آمنتُ بالله وبما جاء عن الله على مراد الله، وآمنتُ برسول الله وبما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله)(١).

وعلى هذا درج السلف وأئمة الخلف، كلهم متفقون على إمرار الكيف وإثبات ما ورد من الصفات في كتاب الله وسنة رسوله من غير تعرض لتأويله، وقد أُمِرنا بالاقتفاء لآثارهم، وحُذِّرنا المحدثات وأُخبِرنا أنها من الضلالات، فقال صلى الله عليه وسلم: (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضُّوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كلَّ محدثة بدعة؛ وكلُّ بدعة ضلالة)(٢) وقال عبد الله بن مسعود: (اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كُفيتم)، وقال عمر بن عبد العزيز: (قف حيث وقف القوم فإنهم عن علم وقفوا؛ وببصر نافذ كَفُّوا، ولهم على كشفها كانوا أقوى؛ وبالفضل لو كان فيها أحرى، فلئن قلتم: حَدَثَ بعدهم .. فما أحدثه إلا من خالف هديهم ورغب عن سنتهم، ولقد وصَفوا منه ما يَشفي وتكلموا منه بما يكفي.. ولقد قصر عنهم قوم فجَفَوا وتجاوَزَهم آخرون فغَلَوْا وإنهم فيما بين ذلك لعلى هدى مستقيم).

وقال الإمام الأوزاعي: (عليك بآثار من سلف وإن رفَضَكَ الناس، وإياك وآراء الرجال وإن زخرفوه لك بالقول)، وقال محمد بن عبد الرحمن الآذَرْمي لرجل تكلم ببدعة ودعا الناس إليها: (هل علمها رسول الله وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي، أو لم يعلموها؟)، قال لم يَعْلَموها، قال: (فشيء لم يعلمه هؤلاء أعلمتَه أنتَ؟)، قال الرجل: فإني أقول: قد عَلِموها، قال: (أفوسعهم أن لا يتكلموا به ولا يدعوا الناس إليه أم لم يَسَعْهم؟)، قال: بلى وسعَهم، قال: (فشيء وسِع رسول الله وخلفاءَه؛ لا يسعُكَ أنتَ؟!)، فانقطع الرجل، فقال الخليفة – وكان حاضرًا –: (لا وسَّع الله على من لم يَسَعْه ما وسِعَهم) .

ومما جاء من آيات الصفات في القرآن: قوله عز وجل: {وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ} [الرحمن: ٢٧]، وقوله: {بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ} [المائدة: ٦٤]، وقوله على لسان عيسى عليه السلام: {تعْلم ما فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ} [المائدة: ١١٦]، وقوله: {وجاءَ رَبُّكَ} [الفجر: ٢٢]، وقوله: {هلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يأْتِيَهُمُ اللَّهُ} [البقرة: ٢١٠]، وقوله: {رضِيَ اللَّهُ عنهمْ وَرَضوا عَنْهُ} [المائدة: ١١٩]، وقوله: {يحبُّهمْ وَيحِبُّونَهُ} [المائدة: ٥٤] ، وقوله في الكفار: {وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ} [الفتح: ٦]، وقوله: {اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ} [محمد: ٢٧] ، وقوله: {كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ } [التوبة: ٤٦] .

ومن السنة(٣): قول النبي صلى الله عليه وسلم: (ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا)(٤)، وقوله : (يعجب ربك من الشاب ليست له صبوة)(٥)، وقوله: (يضحك الله إلى رجلين قتل أحدهما الآخر ثم

---

(١) قال أبو زكريا الأزدي السلماسي في ت٥٥٠ في كتابه (منازل الأئمة الأربعة أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد): "واتفق أهل العلم أن أحدا لم يجمع جمل الإيمان بالله وبرسوله كما جمعه الشافعي في قوله الموجز: (آمنت بالله وبما جاء عن الله على مراد الله)"اهـ

(٢) رواه من طريق العِرباض بن سارية: أبو داود في سننه (٤٦٠٧) والترمذي في جامعه (٢٦٧٦) وقال: "حسن صحيح" وابن ماجة (٤٣)

(٣) يطلق مصطلح السنة على الطريقة المسلوكة والتي يسار عليها؛ والمتمثلة في: اتباع هدي النبي في أصول الدين وأمور الاعتقاد .. قال مكحول – كما في سنن الدارمي ١/ ١٤٥: "السنة سنتان: سنة الأخذ بها فريضة وتركها كفر، وسنة الأخذ بها فضيلة وتركها إلى غيرها حرج"، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى ٣/ ٣٧٨: "إن السنة التي يجب اتباعها ويحمد أهلها ويذم من خالفها هي سنة رسول الله في أمور الاعتقادات وأمور العبادات وسائر أمور الديانات، وذلك إنما يعرف بمعرفة أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم الثابتة عنه في أقواله وأفعاله، وما تركه من قول وعمل".

(٤) سبق تخريجه

(٥) رواه أحمد في (المسند) وأبو يعلى، من حديث ابن لهيعة، قال الهيثمي: "وإسناده حسن"، وقال الحافظ السخاوي في (المقاصد الحسنة): "وضعفه شيخنا" – أي الحافظ ابن حجر في فتاويه؛ لأجل ابن لهيعة – والصبوة: الميل إلى الهوى

يدخلان الجنة)(١)، فهذا وما أشبهه مما صح سنده وعُدِّلت رواته، نؤمن به ولا نردُّه ولا نجحده ولا نتأوله بتأويل يخالف ظاهره، ولا نشبهه بصفات المخلوقين ولا بسمات المحدثين، ونعلم أن الله لا شبيه له ولا نظير، وأن كل ما تُخُيِّلَ في الذهن أو خَطَرَ بالبال فإن الله تعالى بخلافه.

ومن ذلك قوله تعالى: {الرَّحمَنُ عَلَى الْعَرشِ اسْتَوَى } [طه: ٥]، وقوله: {أَأَمِنْتُمْ مَنْ في السَّمَاءِ} [الملك: ١٦]، وقول النبي صلى الله عليه وسلم للجارية: (أين الله؟)، قالت: في السماء، قال: (أعتقها فإنها مؤمنة)(٢)، وقوله لحصين: «كم إلها تعبد؟)، قال: سبعة، ستة في الأرض وواحدًا في السماء، قال: (من لرغبتك ورهبتك؟)، قال: الذي في السماء، قال: (فاترك الستة واعبد الذي في السماء وأنا أُعَلِمُكَ دعوتين، فأسلم وعلمه أن يقول: (اللهم ألهمني رشدي وقني شر نفسي)(٣)

وفيما نُقِلَ من علامات النبي وأصحابه في الكتب المتقدمة: (أنهم يَسجدون بالأرض ويَزعمون أن إلههم في السماء)، وروى أبو داود في سننه قوله صلى الله عليه وسلم: (إن ما بين سماء إلى سماء مسيرة كذا وكذا ..)، وذَكَر الخبر إلى قوله: (وفوق ذلك العرش، والله سبحانه فوق ذلك)(٤).

فهذا وما أشبهه مما أجمع السلف على نقله وقبوله، ولم يتعرضوا لردِّه ولا تأويله، ولا تشبيهه ولا تمثيله، سُئل الإمام مالك رحمه الله فقيل: يا أبا عبد الله {الرَّحمَنُ عَلَى الْعَرشِ اسْتَوَى} [طه: ٥]، كيف استوى؟ فقال: (الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة)، ثم أمر بالرجل فأُخرج.

كلام الله وقرآنه المُنَزَّل:

ومن صفات الله تعالى أنه متكلم بكلام قديم(٥)، يَسْمَعُه منه من شاء من خلقه، سَمِعه موسى عليه السلام منه من غير واسطة، وسمعه جبريل عليه السلام، ومن أَذن له من ملائكته ورسله، وأنه سبحانه يكلِّم المؤمنين في الآخرة ويكلمونه، ويأذن لهم فيزورونه، قال تعالى: {وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا} [النساء: ١٦٤]، وقال: {يا مُوسى إِنِّي اصطَفَيْتُك عَلَى النَّاسِ برِسَالاتي وَبِكَلَامِي} [الأعراف: ١٤٤]، وقال: {مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ} [البقرة: ٢٥٣]، وقال: { وما كانَ لبَشَرٍ أن يكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وحْيًا أَوْ مِنْ وَراء حِجَابٍ } [الشورى: ٥١]، وقال: { فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يا مُوسَى . إِنِّي أَنا رَبُّك فاخْلع نَعلَيْك إِنَّكَ بِالوَادِي الْمُقَدَّسِ طُوًى} [طه: ١١- ١٢]، وقال: { إِنَّني أنا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعبُدْنِي } [طه: ١٤]، وغير جائز أن يقول هذا أحد غير الله.

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: (إذا تكلم الله بالوحي؛ سمِع صوتَه أهلُ السماء)، رُوِى ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم(٦)، ورَوَى عبد الله بن أنيس عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: (يَحْشُرُ الله الخلائق يوم القيامة عُراةً حُفاة غُرْلًا بُهْمًا(٧)، فيناديهم بصوت يسمعه من بَعُدَ كما يسمعه من قَرُبَ: أنا الملك أنا الدَّيان)، رواه الأئمة(٨) واستشهد به البخاري، وفي بعض الآثار أن موسى عليه السلام ليلة رأى النار فهالته ففزع منها؛ ناداه ربه: (يا موسى)، فأجاب سريعًا استئناسًا بالصوت، فقال: لبيكَ لبيك؛ أسمعُ صوتك ولا أرى مكانك، فأين أنت؟، فقال: (أنا فوقك وأمامك وعن يمينك وعن شمالك)، فعلِم أن هذه

---

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة ولفظه: (يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر، يدخلان الجنة، يقاتل هذا في سبيل الله فيُقتل، ثم يتوب الله على القاتل فيُسلم فيقاتل في سبيل الله فيستشهد) .

(٢) سبق تخريجه

(٣) رواه الترمذي (٣٤٨٣) وقال: "هذا حديث حسن غريب"، وقد روي هذا الحديث عن عمران أيضًا من غير هذا الوجه.

(٤) رواه أبو داود في سننه رقم (٤٧٢٣) بغير هذا اللفظ، وفيه ذكر الأوعال وهو ضعيف.. ورواه الترمذي (٣٣٢٠) وقال: "حديث غريب"، وكذا ابن ماجة من حديث العباس بن عبد المطلب.

(٥) كلام الله تعالى قديم النوع، وهو ملازم لذاته أبدًا حادث الآحاد؛ لارتباطه بمشيئته سبحانه، فهو يتكلم بما شاء متى شاء

(٦) أخرجه أبو داود (٤٧٣٨) وهو موقوف

(٧) غرلًا: الغرل جمع الأغْرل، وهو: الواسع الخلقة، والغُرْلَة: القلفة، وبُهم يعني: ليس معهم شيء، وقيل، أصحاء

(٨) رواه الإمام أحمد في المسند عن عبد الله بن أنيس ٣/ ٤٩٥ والبخاري في الأدب المفرد(٩٧٠) وفي خلق أفعال العباد (٥٩) وفي صحيحه قبل رقم (٧٤٨١) تعليقًا، كما رواه أبو يعلى والطبراني

الصفة لا تنبغي إلا لله تعالى، قال: كذلك أنت يا إلهي، أفكلامك أسمع، أم كلام رسولك؟ قال: (بل كلامي يا موسى)(١) .

ومن كلام الله سبحانه: القرآن العظيم، وهو كتابُ الله المبين، وحبلُه المتين، وصراطُه المستقيم، وتنزيلُ رب العالمين، نزلَ به الروح الأمين على قلب سيد المرسلين بلسان عربي مبين، مُنزَّلٌ غيرُ مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، وهو سُوَرٌ محكماتٌ وآياتٌ بيناتٌ وحروفٌ وكلماتٌ؛ من قرأه فأعربه فله بكل حرف عشْرُ حسناتٍ، له أولٌ وآخرٌ وأجزاءٌ وأبعاضٌ، متلوٌّ بالألسنة؛ محفوظٌ في الصدور؛ مسموعٌ بالآذان؛ مكتوبٌ في المصاحف، فيه محكمٌ ومتشابهٌ، وناسخٌ ومنسوخٌ، وخاصٌ وعامٌّ، وأمرٌ ونهيٌ بدليل قوله تعالى: {لَا يَأْتِيهِ الباطلُ من بينِ يدَيْه وَلَا من خلْفه تَنْزِيلٌ منْ حكيمٍ حَمِيدٍ } [فصلت: ٤٢]، وقوله: { قل لَئن اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالجنُّ على أَنْ يَأْتوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرآن لَا يأْتون بِمِثْله وَلَوْ كَانَ بعضهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا }(٢) [الإسراء: ٨٨].. وهو هذا الكتاب العربي الذي:

قال فيه الذين كفروا: { لَن نؤْمِنَ بهَذَا الْقُرْآنِ} [سبأ: ٣١]، وقال بعضهم: { إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ} [المدثر: ٢٥]، فقال سبحانه: { سأُصْليهِ سقَرَ} [المدثر: ٢٦]، وقال بعضهم: هو شعر، فقال تعالى: { وَمَا عَلَّمْنَاه الشِّعر ومَا ينْبَغي لَهُ إِنْ هُو إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآن مُبِينٌ } [يس: ٦٩]، فلمّا نفى الله عنه أنه شعر وأثبته قرآنًا، لم يُبْقِ شبهةً لذي لُبٍّ في أن القرآن هو: هذا الكتابُ العربيُّ الذي هو كلمات وحروف وآيات، لأن ما ليس كذلك لا يقول أحد: (إنه شعر) .

وقال عز وجل: { وإِن كنْتم فِي ريب مِمَّا نزَّلنا على عبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورةٍ مِن مِثْلِهِ وادعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ } [البقرة: ٢٣]، ولا يجوز أن يتحداهم بالإتيان بمثل ما لا يُدْرَي ما هو ولا يُعقل، وقال تعالى: { وإِذا تتلى عليهِمْ آياتنا بيِّناتٍ قال الَّذين لَا يرجون لقَاءَنا ائْت بِقرآنٍ غَيرِ هَذَا أَوْ بدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ منْ تلْقَاء نَفْسِي} [يونس: ١٥]، فأثبت أن القرآن هو الآيات التي تتلى عليهم .. وقال تعالى: {بلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ في صُدُورِ الَّذينَ أُوتُوا العِلْمَ } [العنكبوت: ٤٩]، وقال: { إِنَّهُ لَقُرْآن كَرِيمٌ . في كِتَابٍ مَكْنُونٍ .لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ } [الواقعة: ٧٧- ٧٩]، بعد أن أقسم على ذلك .

وقال تعالى: { كهيعص} [مريم: ١]، { حم}{عسق} [الشورى: ١- ٢]، وافتتح تسعًا وعشرين سورة بالحروف المقطعة، وقال صلى الله عليه وسلم: (من قرأ القرآن فأعربه فله بكل حرف منه عشر حسنات، ومن قرأه ولحن فيه فله بكل حرف حسنة)(٣) .

وقال عليه الصلاة والسلام: (اقرءوا القرآن قبل أن يأتي قوم يقيمون حروفه إقامة السهم؛ لا يجاوز تراقيهم يتعجلون أجره ولا يتأجّلونه)(٤)، وقال أبو بكر وعمر رضي الله عنهما: (إعراب القرآن(٥) أحب إلينا من حفظ بعضِ حروفه)، وقال علي رضي الله عنه: (من كفر بحرف منه فقد كفر به كله)، واتفق المسلمون على عَدِّ سور القرآن وآياته وكلماته وحروفه، ولا خلاف بين المسلمين في أن من جحد من القرآن سورةً أو آيةً أو كلمةً أو حرفًا متفقًا عليه؛ أنه كافر، وفي هذا حجة قاطعة على أنه حروف .

ومن السنة: الإيمان برؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة، وبالقضاء والقدر:

---

١ وهذا النص مأخوذ من الإسرائيليات، والقاعدة في الإسرائيليات أنها إذا كانت موافقة لشريعتنا فإننا نحدِّث بها، وإذا كان فيها ما يخالف الشريعة تُرَدّ، وأما إذا كان فيها أخبار تفصيلية وليس فيها موافقة ولا مخالفة فنتوقف ولا ننسب لها الصدق ولا الكذب، لأننا لا نعلم مدى صدق هذا الكلام المنسوب.. وعلى كل حال ففي النصوص الشرعية غنية عن الاستدلال بالإسرائيليات، ولكن كثيرًا من أهل العلم ومنهم شيخ الإسلام؛ كانت طريقتهم أنهم يحشون ما لديهم من أدلة بمثل هذا، على سبيل الاعتضاد لا الاعتماد.

(٢) الظهير: المعين

(٣) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٢٠٩٧) من حديث عمر بن الخطاب، وبنحوه الطبراني في الأوسط من حديث ابن مسعود بزيادة: (.. وكفارة عشر سيئات ورفع عشر درجات وينظر بشأنه الضعيفة (٢٣٤٨)

(٤) رواه أحمد في (المسند) (٥/ ٣٣٨)، وأبو داود في سننه (٨٣١) عن جابر رضي الله عنه .. وفي الباب عن سهل بن سعد وأنس بن مالك حديثان أخرجهما الإمام أحمد في (مسنده) والطبراني في المعجم الكبير (٦٠٢١، ٦/ ٢٠٦) .. الترقوة: الحلقوم، وقوله: (يتعجلون ولا يتأجلون) أي: يطلبون بقراءته عرض الدنيا والرفعة فيها ولا يلتفتون إلى الأجر في الدار الآخرة، وهذا من معجزاته صلى الله عليه وسلم .

(٥) أي: الإفصاح به وإدراك معانيه .

والمؤمنون يرون ربهم في الآخرة بأبصارهم ويزورونه، ويكلِّمُهم ويكلِّمونه، قال تعالى: {وُجُوه يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ . إِلَى ربِّها نَاظِرَةٌ } [القيامة: ٢٢ - ٢٣]، وقال: {كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمئِذٍ لَمَحْجوبُونَ} [المطففون: ١٥]، فلما حُجب أولئك في حال السُّخْط دلَّ على أن المؤمنين يرونه في حال الرضى وإلا لم يكن بينهما فرق، وقال صلى الله عليه وسلم في الحديث المتفق عليه: (إنكم ترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تُضَامُّون في رؤيته)(١)، وهذا تشبيه للرؤية بالرؤية لا للمرئي بالمرئي، فإن الله تعالى لا شبيه له ولا نظير.

ومن صفات الله تعالى: أنه الفعال لما يريد، لا يكون شيء إلا بإرادته ولا يخرج شيء عن مشيئته، وليس في العالم شيء يخرج عن تقديره ولا يَصْدُرُ إلا عن تدبيره، ولا مَحِيدَ عن القدر المقدور، ولا يُتَجَاوزُ ما خُطَّ في اللوح المسطور، أراد ما العالَم فاعلوه، ولو عصمهم لما خالفوه، ولو شاء أن يطيعوه جميعًا لأطاعوه، خلق الخلق وأفعالهم وقدَّر أرزاقهم وآجالهم، يهدي من يشاء برحمته ويضل من يشاء بحكمته، قال تعالى: {لَا يسْأَل عَمَّا يفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ} [الأنبياء: ٢٣]، وقال: {إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ} [القمر: ٤٩]، وقال: {وَخلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا} [الفرقان: ٢]، وقال: {مَا أصاب منْ مُصيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا في أَنْفُسكُمْ إِلَّا في كتَابٍ منْ قَبلِ أنْ نَبْرَأَهَا} [الحديد: ٢٢]، وقال: {فَمَن يرِد اللَّهُ أَن يهدِيهُ يشْرحْ صدْرَهُ للْإِسلَامِ وَمَن يرِد أَن يضِلَّهُ يجعلْ صدْرهُ ضيِّقًا حرَجًا } [الأنعام: ١٢٥] .

ورَوى مسلم من حديث ابن عمر أن جبريل عليه السلام قال للنبي صلى الله عليه وسلم: ما الإيمان؟، قال: (أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره)، فقال جبريل: صدقت، ومن دعائه صلى الله عليه وسلم الذي علّمه الحسن بن علي يدعو به في قنوت الوتر: (وقني شر ما قضيتَ)(٢) .. وألا نجعل قضاء الله وقدره حُجَّة لنا في ترك أوامره واجتناب نواهيه، بل يجب أن نؤمن ونعلم أن لله علينا الحُجَّةَ بإنزاله الكتب وبعثة الرسل، قال تعالى: {لِئَلَّا يكُون للنَّاسِ علَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ} [النساء: ١٦٥] .

وأن نعلم أن الله ما أمر ونهى إلا المستطيع للفعل والترك، وأنه لم يجبر أحدًا على معصية ولا اضَّطره إلى ترك طاعة، قال تعالى: {لَا يُكَلِّفُ اللَّه نَفْسًا إِلَّا وُسْعهَا} [البقرة: ٢٨٦]، وقال: { فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا استَطَعْتُمْ } [التغابن: ١٦]، وقال: { الْيوْم تُجْزى كُلُّ نَفْس بِمَا كَسبَتْ لَا ظُلْم الْيَوْمَ } [غافر: ١٧] ، فدل على أن للعبد فعلًا وكسبًا يُجْزِى على حَسَنِه بالثواب وعلى سيِّئِه بالعقاب، وهو واقع بقضاء الله وقدره .

وأن الإيمان قول وعمل .. ويكون بكل ما أخبر به صلى الله عليه وسلم:

والإيمان قول باللسان وعمل بالأركان وعقد بالجنان، يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان، قال تعالى: {وَمَا أُمروا إِلَّا ليَعْبدوا اللَّه مخْلصين له الدِّين حنفاء ويقيمُوا الصَّلَاة ويُؤْتوا الزَّكَاةَ وَذَٰلكَ دينُ الْقَيِّمَةِ} [البينة: ٥]، فجعل عبادة الله وإخلاص القلب وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة كله من الدين، وقال صلى الله عليه وسلم في الحديث المتفق عليه: (الإيمان بضع وسبعون شعبة، أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله؛ وأدناها إماطة الأذى عن الطريق)، فجعل القول والعمل من الإيمان، وقال تعالى: {فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا} [آل عمران: ١٧٣]، وقال: { لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا} [الفتح: ٤]، وقال صلى الله عليه وسلم: (يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه مثقال بُرَّةٍ أو خردلة أو ذرَّة من الإيمان)(٣)، فجعله متفاضلًا .

ويجب الإيمان بكل ما أخبر به صلى الله عليه وسلم وصح به النقل عنه فيما شاهدناه أو غاب عنا، نعلم أنه حق وصدق، وسواء في ذلك ما عقِلناه؛ أو جهلناه ولم نطلع على حقيقة معناه مثل: حديث الإسراء والمعراج، وقد كان يقظة لا منامًا فإن قريشًا أنكرته وأكبرته ولم تكن تنكر المنامات، وبأن مَلَكَ الموت لما

---

(١) سبق تخريجه

(٢) رواه أحمد (١/ ١٩٩، ٢٠٠) وأبو داود في سننه (١٤٢٥، ١٤٣٦) وابن ماجة (١١٧٨) والنسائي (١٧٤٥، ١٧٤٦) والترمذي (٤٦٤) وقال: "حديث حسن"، وهو في صحيح المشكاة (١٢٧٣) .

(٣) أخرجه البخاري (٤٤) ومسلم (١٩٣) من حديث أنس بن مالك

جاء إلى موسى عليه السلام ليقبض روحه جاءه على غير الصورة التي خلقه الله عليها، فلطمه وفقأ عينه لأنه اقتحم عليه داره بلا استئذان ولم يكن يعرفه(١)، فرجع إلى ربه فَرَدَّ عليه عينه .

ومن ذلك: أشراط الساعة، مثل: خروج الدجال ونزول عيسى ابن مريم عليه السلام فيقتُل الدجال(٢)، وخروج يأجوج ومأجوج، وخروج الدابّة، وطلوع الشمس من مغربها، وأشباه ذلك مما صح به النقل .

وعذابُ القبر ونعيمه حقٌّ وقد استعاذ النبي صلى الله عليه وسلم منه، وأمر بالاستعاذة منه في كل صلاة(٣) .. وفتنة القبر حق، وسؤال منكر ونكير حق، والبعث بعد الموت حق، وذلك حين يَنْفُخ إسرافيل عليه السلام في الصور { وَنفخَ في الصُّورِ فَإذا هُم من الْأَجْداث إِلَى ربِّهِمْ يَنْسِلُونَ} [يس: ٥١](٤)، ويحشر الناس يوم القيامة حفاةً عراةً غرلًا بُهْمًا فيقفون في موقف القيامة حتى يشفع فيهم نبينا ويحاسبهم الله وتُنصب الموازين وتُنشر الدواوين، وتَتطاير صحائف الأعمال إلى الأيمان والشمائل { فَأَمَّا منْ أُوتِيَ كتَابهُ بِيَمينِهِ . فَسوْفَ يحاسبُ حسابا يَسِيرًا. وَيَنْقَلب إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا. وأَمَّا منْ أُوتِيَ كِتَابهُ وراءَ ظَهْرِهِ . فَسوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا . وَيصْلَى سَعِيرًا } [الانشقاق: ٧ - ١٢](٥) .. والميزان له كفتان ولسان تُوزن به الأعمال { فمنْ ثَقُلتْ مَوَازِينه فَأُولَئك هُم الْمُفْلِحُونَ . ومنْ خفَّت مَوَازِينه فَأُولَئك الَّذينَ خَسروا أَنْفُسَهُمْ فِي جهَنَّمَ خَالِدُونَ } [المؤمنون: ١٠٢– ١٠٣] .

ولنبينا محمد صلى الله عليه وسلم حوضٌ في القيامة، ماؤه أشد بياضًا من اللبن وأحلى من العسل، وأباريقه عدد نجوم السماء، مَن شرب منه شَرْبة لم يظمأ بعدها أبدًا(٦)، والصراطُ حق يجوزه الأبرار ويزِل عنه الفجار، ويشفع نبينا صلى الله عليه وسلم فيمن دخل النار من أمته من أهل الكبائر فيخرجون بشفاعته بعدما احترقوا وصاروا فحمًا وحممًا، فيدخلون الجنة بشفاعته(٧)، ولسائر الأنبياء والمؤمنين والملائكة شفاعات، قال تعالى: { يعلَمُ ما بين أَيديهِم وما خلْفهم ولَا يشْفَعُونَ إِلَّا لمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشيَتِهِ مُشْفِقُونَ } [الأنبياء: ٢٨]، ولا تنفع الكافر شفاعة الشافعين .. والجنة والنار مخلوقتان لا تفنيان، فالجنة مأوى أوليائه والنار عقاب لأعدائه، وأهل الجنة فيها مخلدون، والمجرمون { في عَذَابِ جهَنَّمَ خَالِدُونَ . لَا يفَتَّر عنْهم وَهُمْ فيه مُبْلِسُونَ } [الزخرف: ٧٤- ٧٥]، ويؤتى بالموت في صورة كبش أملح فيُذْبح بين الجنة والنار، ثم يقال: (يا أهل الجنة خلود ولا موت ويا أهل النار خلود ولا موت) .

محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين .. وصحابته – وعلى رأسهم الخلفاء الراشدون – هم أفضل هذه الأمة بعد نبينا:

---

(١) نقل الشيخ أحمد شاكر رحمه الله في (المسند) عند تعليقه على الحديث رقم (٧٦٣٤) عن ابن حبان قوله: "بعث الله الملائكة إلى رسله في صور لا يعرفونها كمجيء جبريل عليه السلام إلى رسول الله وسؤاله إياه عن الإيمان والإسلام، فلم يعرفه صلى الله عليه وسلم حتى ولى، فكان مجيء ملك الموت إلى موسى عليه السلام على غير الصورة التي كان يعرفه موسى عليها، وكان موسى غيورًا فرأى في داره رجلًا لم يعرفه، فلطمه فأتت لطمته على فقئ عينه لا على الصورة التي خلقه الله عليها.. ولما كان من شريعتنا أن من فقأ عين الداخل داره أو الناظر في بيته بغير إذنه لا حرج عليه، للأخبار الجمَّة الواردة في ذلك، كان جائزًا اتفاق هذه الشريعة مع شريعة موسى بإسقاط الحرج عمن فقأ عين الداخل داره أو الناظر إليه بغير إذنه، وكان استعمال موسى هذا الفعل مباحا له، فلما رجع ملك الموت إلى ربه وأخبره بما كان من موسى، أمره ثانيًا بأن قال الله له: (قل له: إن شئت فضع يدك على متن ثور فلك بكل ما غطت يدك بكل شعرة، سَنَة)، فلما علم كليم الله أنه ملك الموت وأنه جاءه بالرسالة من عند الله، طابت نفسه بالموت ولم يستمهل وقال: (فالآن)" إ.هـ بتصرف

والحديث وبنحوه أخرجه البخاري (١٣٣٩) ومسلم (٢٣٧٢) وابن حبان (٦٢٢٤) وهو في السلسلة الصحيحة (٣٢٧٩)

(٢) كما جاء في صحيح مسلم من حديث النوَّاس بن سمعان رضي الله عنه، لكن بلفظ: (فيطلبه) أي: يطلب عيسى عليه السلام الدجال حتى يدركه بباب اللّدِّ بفلسطين فيقتله .

(٣) والحديث رواه مسلم وأبو داود والترمذي وفيه قوله صلى الله عليه وسلم: (إذا فرغ أحدكم من التشهد الآخر فليستعذ بالله من أربع، يقول: اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم؛ ومن عذاب القبر؛ ومن فتنة المحيا والممات؛ ومن شر فتنة المسيح الدجال).

(٤) الأجداث: القبور .. وينسلون: يُسرعون

(٥) الثبور : الهلاك.

(٦) والحديث في البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال صلى الله عليه وسلم: (حوضي مسيرة شهر، ماؤه أبيض من اللبن، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه – جمع كوز – كنجوم السماء، من شرب منه فلا يظمأ أبدًا) ولفظ مسلم: (ماؤه أشدَّ بياضًا من اللبن وأحلى من العسل)

(٧) ورد في الشفاعة أحاديث كثيرة وصحيحة، رواها البخاري ومسلم وغيرهما، وروى أبو داود والترمذي عن أنس قال صلى الله عليه وسلم: (شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي) وهو حديث صحيح .. ومعنى حممًا: أي: سودًا

ومحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين وسيد المرسلين، لا يصح إيمان عبد حتى يؤمن برسالته ويشهد بنبوته، ولا يُقضى بين الناس في القيامة إلا بشفاعته، ولا تَدخل الجنة أُمَّةٌ إلا بعد دخول أمته، صاحبُ لواء الحمد والمقام المحمود والحوض المورود، وهو إمامُ النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم .

أمته خير الأمم، وأصحابه خير أصحاب الأنبياء عليهم السلام، وأفضل أمته: أبو بكر الصديق ثم عمر الفاروق ثم عثمان ذو النورين ثم علي المرتضى رضي الله عنهم أجمعين، لما رَوَى عبدُ الله بن عمر قال: (كنا نقول والنبي حي: أفضل هذه الأمة بعد نبيها: أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي، فيبلغ ذلك النبيَّ صلى الله عليه وسلم فلا ينكره)(١) .

وروى أبو الدرداء عنه عليه السلام أنه قال: (ما طلعت الشمس ولا غربت بعد النبيين والمرسلين، على أفضل من أبي بكر)(٢)، وهو أحق خلق الله بالخلافة بعد النبي لفضلِه وسابقته؛ وتقديمِ النبي صلى الله عليه وسلم له في الصلاة على جميع الصحابة رضي الله عنهم؛ وإجماعِ الصحابة على تقديمه ومبايعته؛ ولم يكن الله ليجمعهم على ضلالة، ثم من بعده عمر رضي الله عنه لفضله وعَهْدِ أبي بكر إليه، ثم عثمان رضي الله عنه لتقديم أهل الشورى له، ثم علي رضي الله عنه لفضله وإجماع أهل عصره علي، هؤلاء الخلفاء الراشدون المهديون.. وقال صلى الله عليه وسلم: (الخلافة من بعدي ثلاثون سنة)، فكان آخرها خلافة علي رضي الله عنه(٣).

ونشهد للعشرة بالجنة كما شهد لهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال: (أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وسعد في الجنة، وسعيد في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة)(٤)، وكل من شهد له النبي بالجنة شهدنا له بها كقوله: (الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة)(٥)، وكقوله لثابت بن قيس: (إنه من أهل الجنة)"(٦) .

ولا نجزم لأحد من أهل القبلة بجنة ولا نار إلا من جزم له الرسول، لكنا نرجو للمحسن ونخاف على المسيء .. ولا نكفر أحدًا من أهل القبلة بذنب؛ ولا نُخرجه عن الإسلام بعمل .

ونرى الحجَّ والجهاد ماضيًا مع طاعة كلِّ إمام بَرًّا كان أو فاجرًا(٧)، وصلاة الجمعة خلفهم جائزة، قال صلى الله عليه وسلم: (ثلاثة من أصل الإيمان: الكف عمن قال: لا إله إلا الله ولا نكفره بذنب ولا نخرجه من الإسلام بعمل .. والجهاد ماض منذ بعثني الله حتى يقاتل آخر أمتي الدجال لا يبطله جور جائر ولا عدل عادل .. والإيمان بالأقدار)(٨) .

ومن السنة تولِّي أصحاب رسول الله ومحبتُهم وذِكرُ محاسنهم، والترحمُ عليهم والاستغفارُ لهم، والكفُّ عن ذكر مساوئهم وما شجر بينهم، واعتقاد فضلهم ومعرفة سابقتهم، قال تعالى: { وَالَّذينَ جاءُوا منْ بَعْدهِمْ

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٥٥، ٣٦٩٧) وأبو داود (٤٦٢٧) والترمذي (٣٧٠٧) وقال: حديث حسن صحيح

(٢) أخرجه أحمد في فضائل الصحابة، ١٥٢/١- ١٣٥، والطبراني في الأوسط، وهو وإن أعلَّ إلا أن له شواهد تقويه

(٣) الحديث رواه أحمد (٥/ ٢٢٩، ٢٢١، وأبو داود (٤٦٤٦، ٤٦٤٧) والترمذي (٣٣٣٦) من حديث سفينة، وقال الترمذي: "حديث حسن"، وقد رواه غير واحد عن سعيد بن جمهان.. وكانت خلافة علي مع الستة أشهر التي تولاها الحسن؛ تمام الثلاثين

(٤) أخرجه أحمد (١/ ١٨٨) وأبو داود (٤٦٤٩) والنسائي في الكبرى (٨١٤٧) والترمذي (٣٧٥٧) وقال: "حسن صحيح" .. كما شهد عليه السلام لغيرهم بذلك أيضًا .

(٥) أخرجه أحمد (٣/ ٣، ٦٢، ٦٤، ٨٠، ٨٢) والترمذي (٣٧٦٨) والنسائي في الكبرى (٨١١٣) من حديث أبي سعيد الخدري، وقال الترمذي: "حديث حسن صحيح"، وهو كما قال لشواهده وطرقه .

(٦) أخرجه البخاري (٣٦١٣) ومسلم (١١٩) عن حديث أنس بن مالك .

(٧) وفي كلمة (كلِّ إمام برًّا كان او فاجرًا) رد على من يشكك في طاعة حكام المسلمين في زماننا، أو يختلق تأويلات من عندياته ما أنزل الله بها من سلطان، كمن يَدَّعي أنه مجرد موظف في الدولة، أو أن أحكام السلاطين لا تنطق عليهم، أو بزعم أنهم لا يطبقون بعض أحكام الله من غير جحود، أو يتخذون من ينازعون السلطان ذا الشوكة مرشدين يوجبون لهم الطاعة العمياء .. إلى غير ذلك من ترهات الفرق أو الجماعات المنحرفة لاسيما المتسلفة منها.

(٨) أخرجه أبو داود وفي سنده: يزيد ابن أبي نشبة، "لم يُخَرِّج له أحد من الستة غير أبي داود، وهو مجهول" كما قال المزي وابن حجر ولكن له شواهد.

يقُولُونَ رَبَّنَا اغفر لنا ولإخْواننا الَّذين سبقونا بالإيمان وَلَا تجعَلْ في قُلُوبِنَا غلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا } [الحشر: ١٠]، وقال: { مُحمَّدٌ رسول اللَّهِ وَالَّذِين معه أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رحمَاءُ بَيْنَهُمْ } [الفتح: ٢٩] ، وقال صلى الله عليه وسلم: (لا تسبوا أصحابي؛ فإن أحدكم لو أنفق مثل أحدٍ ذهبًا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه)(١) .

ومنها: الترضي عن أزواج رسول الله أمهات المؤمنين المطهرات المبرآت من كل سوء، أفضلهن: خديجة بنت خويلد، وعائشة الصديقة بنت الصديق التي برأها الله في كتابه زوج النبي في الدنيا والآخرة، فمن قذفها بما برأها الله منه فقد كفر بالله العظيم.. وعن معاوية خال المؤمنين وكاتب وحي الله، أحد خلفاء المسلمين رضي الله عنهم .

ومنها: السمع والطاعة لأئمة المسلمين وأمراء المؤمنين – بَرُّهم وفاجرُهم – ما لم يأمروا بمعصية الله، فإنه لا طاعة لأحد في معصية الله، ومن ولِي الخلافة واجتمع عليه الناس ورضوا به، أو غلبهم بسيفه حتى صار الخليفة وسُمِّي أمير المؤمنين، وجبت طاعته وحرمت مخالفته والخروج عليه وشق عصا المسلمين .

ومنها: هجران أهل البدع ومباينتهم، وترك الجدال والخصومات في الدين، وترك النظر في كتب المبتدعة والإصغاء إلى كلامهم، وكل محدثة في الدين بدعة، وكلُّ مُتَّسِمٍ بغير الإسلام والسنة: مبتدع كـ(الرافضة)، و(الجهمية)، و(الخوارج)، و(القدرية)، و(المرجئة)، و(المعتزلة)، و(الكرامية)(٢)، و(الكلَّابية)(٣)، ونظائرهم، فهذه فرق الضلال وطوائف البدع، أعاذنا الله منها .. وأما بالنسبة إلى إمام في فروع الدين، كالطوائف الأربع(٤) فليس بمذموم، فإن الاختلاف في الفروع رحمة، والمختلفون فيه محمودون في اختلافهم، مثابون في اجتهادهم واختلافهم رحمة واسعة(٥) واتفاقهم حجة قاطعة.

نسأل الله أن يعصمنا من البدع والفتنة، وأن يُحينا على الإسلام والسنة، ويجعلنا ممن يتبع رسول الله في الحياة، ويحشرنا في زمرته بعد الممات برحمته وفضله .. آمين .. وهذا آخر المعتقد والحمد لله وحده وصلَّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليمًا" إ.هـ بتصرف يسير(٦).

= وأبو محمد البربهاري(٧) الحسن بن علي بن خلف، شيخ حنابلة بغداد المتوفى ٣٢٩، وبه نختم ما تيسر ذكره من أبرزِ من تقلَّدوا مذهب أحمد، ونظرًا لأهمية وشهرة معتقده نسوقه أيضًا بنصه:

ترجم للبربهاري الحافظُ الذهبي في العلو ص١٦٤ – وهو بمختصره ص٢٤٤ – وقال عنه: "كان كبير الشأن أخذ عن المروزي، وله أصحاب واتباع"(٨) ونقل طرفًا من كلامه في (شرح السنة) الذي طبع

---

(١) سبق تخريجه

(٢) سبق التعريف بالرافضة والجهمية والخوارج والقدرية والمرجئة والمعتزلة .. اما الكرامية؛ فهم: أصحاب أبي عبد الله محمد بن كرام، وكان ممن يثبت الصفات إلا أنه ينتهي إلى التجسيم والتشبيه .

(٣) نسبة إلى عبد الله بن سعيد بن كُلَّاب البصري، متكلم .. وهو رأس الطائفة الكُلَّابية والأشعرية، وكانت بينه وبين المعتزلة مناظرات

(٤) يريد: المذاهب الأربعة في الفقه، وهم: الحنفية، والمالكية، والشافعية، والحنابلة

(٥) وهم ما اختلفوا فيما يُسَمَّى بـ(اختلاف التنوع) إلا لأدلة؛ رأى كل واحد منهم – بعد بذل الجهد واستفراغ الوسع في الاجتهاد – أنها لديه هي الأرجح، لذا ساغ الخلاف فيما بينهم في (مسائل الفقه)، أما (مسائل الاعتقاد) فكما رأينا لا خلاف بينهم البتة ولا حتى في مسألة واحدة، ومن ثم وجب على متبعيهم في الفقه؛ انتهاج منهجهم في أمور الاعتقاد وصحيح الدين من باب أولى؛ إذ الخلاف في قضايا الاعتقاد من نوع (اختلاف التضاد) الذي لا يسع فيه الخلاف لكون الحق فيه واحد لا يتعدد، وهذا ما تعنيه عبارة ابن قدامة: "واتفاقهم حجة قاطعة"

(٦) أخيرا وليس آخرًا، وهو سؤال يفرض نفسه .. ما الذي يضير الأزهر لو أنه قرر هذا المعتقد على واحدة من سني الدراسة بمعاهده الأزهرية؟ بل وما الذي يضير لو أنه قُرِّر على سائر المعاهد بعالمينا العربي والإسلامي .. إذًا لمَا وجدت إخوانيا ولا داعشيا ولا تكفيريًّا، بل ولصرنا أمة واحدة معتصمة بحبل الله كما أمر الله، ولهابنا – من ثمّ – عدونا الذي اجتمع علينا وتفرقنا عليه

(٧) نسبة إلى البربهار، وهي أدوية كانت تجلب من الهند ويقال لجالبها: البربهاري، ولعلها ما يسمى اليوم بـ(البهارات).

(٨) كما ترجم له في السِّير ١٥/ ٩٠ وذكر وغيره عنه فيما ذكروا؛ أنه الفقيه القدوة، كان قوالا بالحق داعية إلى الأثر، لا يخاف في الله لومة لائم، وكافح كثيرًا ضد الشيعة والمعتزلة .. صحب التُسْتري، وقيل: إن الأشعري لما قدم بغداد جاء إليه وجعل الأشعري يقول: (رددتُ على الجبائي، رددتُ على المجوس وعلى النصارى)، فقال أبو محمد: (لا نعرف إلا ما قاله الإمام أحمد)، فخرج الأشعري وصنَّف كتابه: (الإبانة) .

قال عنه ابن أبي يعلى: هو "شيخ الطائفة في وقته.. وكان له صيت عند السلطان وقدم عند الأصحاب، وكان أحد الأئمة العارفين والحُفَّاظ للأصول المتقنين والثقات المؤمنين"، كما قال عنه ابن كثير: "العالم الزاهد، الفقيه الحنبلي، الواعظ .. كان شديدًا على أهل البدع والمعاصي، وكان كبير القدر تعظمه الخاصة والعامة".

ومما أثر عن البربهاري قوله: "المجالسة للمناصحة: فتح باب الفائدة، والمجالسة للمناظرة: غلق باب الفائدة"، قال أبو الحسين بن الفراء: "كان للبربهاري مجاهدات ومقامات في الدين"، وكان المخالفون يغلِّظون قلب السلطان عليه؛ حتى إنهم أرادوا حبسه فاختفى وأُخذ كبارُ أصحابه

أكثر من مرة والذي يُعَدُّ لبنة من لبنات إظهار الحق.. وكذلك فعل ابن العماد في (الشذرات) ومحب أبو زيد في (جمهرة عقائد أئمة السلف) ص٣١٩ وما بعدها، ومن قبلهم ابن أبي يعلى الذي نقله بتمامه في (طبقات الحنابلة)، ونحن بدورنا – ولأهمية هذا المعتقد وبساطته – ننقله هنا بتمامه، ونضعه – مع شيء من التصرف – في بنودٍ ليزداد سهولة ويسرًا؛ وليكون حجة على من خالف أحمد في مذهبه العقدي حتى ولو كان موافقًا له في مذهبه الفقهي .. يقول رحمه الله:

"اعلموا أن الإسلام هو السنة(١) والسنة هي الإسلام، ولا يقوم أحدهما إلا بالآخر.. ومن السنة لزوم الجماعة؛ فمن رغب عن الجماعة وفارقها فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه، وكان ضالًّا مضلًّا .. والأساس الذي تبنى عليه الجماعة؛ هم: أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ورحمهم الله أجمعين، وهم أهل السنة والجماعة، فمن لم يأخذ عنهم فقد ضلَّ وابتدع، وكل بدعة ضلالة، والضلالة وأهلها في النار، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (لا عذر لأحد في ضلالة ركبها حَسِبَها هدى، ولا في هدى تركه حَسِبَه ضلالة، فقد بُيِّنت الأمور وثبتت الحجة وانقطع العذر)، وذلك أن السنة والجماعة قد أحكما أمر الدين كله وتَبَيَّن للناس، فعلى الناس الاتباع .

= واعلم أن الدين إنما جاء من قِبَل الله تعالى، لم يوضع على عقول الرجال وآرائهم، وعلمه عند الله وعند رسوله، فلا تَتَّبِع شيئا بهواك، فتمرق من الدين، فتخرج من الإسلام، فإنه لا حجة لك، فقد بين صلى الله عليه وسلم لأمته السنة، وأوضحها لأصحابه وهم الجماعة وهم السواد الأعظم، والسواد الأعظم: الحَقُّ وأهلُه، فمن خالف أصحاب رسول الله في شيء من أمر معلوم من الدين بالضرورة فقد كفر .

= واعلم أن الناس لم يبتدعوا بدعة قطُّ حتى تركوا من السنة مثلها، فاحذر المحدثات من الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، والضلالة وأهلها في النار، واحذر صغار المحدثات من الأمور؛ فإن صغير البدع يعود حتى يصير كبيرًا، وكذلك كُلُّ بدعة أُحدثت في هذه الأمة، كان أولها صغيرا يشبه الحق، فاغتر بذلك من دخل فيها، ثم لم يستطع الخروج منها فعظُمت وصارت دينا يُدان به، فخالفَ الصراط المستقيم، فخرج من الإسلام، فانظر كل من سمعت كلامه من أهل زمانك خاصة فلا تعجلن، ولا تدخلن في شيء منه حتى تسأل وتنظر: هل تكلم به أصحاب رسول الله أو أحد من العلماء؟، فإن وجدت فيه أثرًا عنهم فتمسك به، ولا تجاوزه لشيء، ولا تختر عليه شيئًا فتسقط في النار .

= واعلم أن الخروج من الطريق على وجهين:

أما أحدهما: فرجل زَلّ عن الطريق، وهو لا يريد إلا الخير، فلا يُقتدى بزلته .. وآخر عاند الحق وخالف من كان قبله من المتقين، فهو ضال مضل، شيطان مريد في هذه الأمة، حقيق على من يعرفه أن يحذر الناس منه، ويبين لهم قصته؛ لئلا يقع أحد في بدعته فيهلك .

= واعلم أنه لا يتم إسلام عبد حتى يكون متَّبِعًا مصدقًا مُسَلِّمًا، فمن زعم أنه بقي شيء من أمر الإسلام لم يَكفونَاه أصحاب محمد فقد كذَّبهم، وكفى به فُرقة وطعنا عليهم، وهو مبتدع ضال مضل، مُحْدِثٌ في الإسلام ما ليس منه .. إذ ليس في السنة قياس، ولا يُضرب لها الأمثال ولا تُتَّبَعُ فيها الأهواء، وإنما هو التصديق بآثاره صلى الله عليه وسلم ولا يقال: (لِمَ؟) ولا (كيف؟)، فإن الخصومة والجدال والمِراء مُحْدَثٌ وإن أصاب صاحبه الحق والسنة" .

=يقول رحمه الله متناولًا قضايا الاعتقاد بعد أن أرسى مبادئ التلقي عن الله:

"إن الكلام في الرب مُحْدَثٌ، وهو بدعة وضلالة، ولا يُتَكلم في الرب إلا بما وصف به نفسه في القرآن، وما بيَّن رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه، وهو – جل ثناؤه – واحد، {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ

وحُمِلوا إلى البصرة، فعاقب الله الوزير ابن مقلة – بأن أسخط عليه الخليفة القاهر – وأعاد الله البربهاري في عهد الراضي إلى حشمته وزادت، وكثر أصحابه، ثم لم تزل المبتدعة توحش قلب الراضي، حتى نودي في بغداد: لا يجتمع اثنان من أصحاب البربهاري فاختفى، وتوفي مستترًا ودفن بدار أخت (توزون) أمير الأمراء، وقيل: إنه لما كُفِّن – وعنده الخادم – صلى عليه وحده، فنظرت هي من الروشن فرأت البيت ملآن رجالًا في ثياب بيض يصلون عليه، فخافت وطلبت الخادم، فحلف أن الباب لم يفتح.. هكذا كانوا وهكذا حسُنت خاتمتهم .. رحم الله البربهاري وألحقنا به في مستقر رحمته .

(١) و(السنة) في مصطلح أهل الاختصاص من الأصوليين، تعني: صحيح الدين وأمور الاعتقاد؛ بخلاف إطلاقها لدى أهل الفقه والحديث.

السَّمِيع الْبَصِيرُ} [الشورى: ١١].. رَبُّنَا أوّل بلا متى، وآخر بلا منتهى، يعلم السر وأخفى، وهو على عرشه استوى، وعلمه بكل مكان، ولا يخلو من علمه مكان.. ولا يقول في صفات الرب: (كيف؟ ولم؟) إلا شاكٌّ في الله .

= والقرآن كلام الله وتنزيله ونوره، ليس بمخلوق؛ لأن القرآن من الله، وما كان من الله فليس بمخلوق، وهكذا قال مالك بن أنس وأحمد بن حنبل والفقهاء قبلهما وبعدهما، والمراء فيه كفر .

= ومن الدين: الإيمان بالرؤية يوم القيامة حيث يَرى المؤمنون ربهم بأبصار رؤوسهم، وهو يحاسبهم بلا حجاب ولا ترجمان .

= وبالميزان يوم القيامة، وبعذاب القبر ومنكر ونكير، وبالحوض .. وبشفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم للمذنبين الخاطئين؛ في يوم القيامة، وعلى الصراط، ويخرجهم من جوف جهنم، وما من نبي إلا له شفاعة، وكذلك الصِّدِّيقون والشهداء والصالحون، ولله بعد ذلك تفضُّلٌ كثيرٌ فيمن يشاء، والخروج من النار بعدما احترقوا وصاروا فحمًا .. والإيمان بالصراط على جهنم، يأخذ الصراط من شاء الله، ويجوز من شاء الله، ويسقط في جهنم من شاء الله، ولهم أنوار على قدر إيمانهم .

=والإيمان بالأنبياء والملائكة .. وبأن الجنة حق والنار حق، وهما مخلوقتان الجنة في السماء السابعة وسقفها العرش، والنار تحت الأرض السابعة السفلى .. قد علم الله عدد أهل الجنة ومن يدخلها، وعدد أهل النار ومن يدخلها، لا تفنيان أبدًا، بل باقيان بإبقاء الله لهما أبد الآبدين .. وآدم كان في الجنة الباقية المخلوقة، فأُخرج منها بعدما عصى الله.

= والإيمان بالمسيح الدجال، وبنزول عيسى ابن مريم، ينزل فيقتل الدجال ويتزوج، ويصلي خلف القائم من آل محمد صلى الله عليه وسلم، ويموت ويدفنه المسلمون .

= وبأن الإيمان قول وعمل ونية وإصابة، يزيد وينقص، يزيد ما شاء الله وينقص حتى لا يبقى منه شيء .

= وخير هذه الأمة بعد وفاة نبيها: أبو بكر وعمر وعثمان.. ثم عليٌّ وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة بن الجراح، وكلهم يصلح للخلافة .

ثم أفضل الناس بعد هؤلاء: المهاجرون الأولون والأنصار، وهم من صلّى القبلتين، ثم أفضل الناس بعد هؤلاء: من صَحِب رسول الله يومًا أو شهرًا أو سنةً أو أقل من ذلك أو أكثر، نترحَّم عليهم ونذكر فضلهم ونكف عن زَلَلِهم، ولا نذكر أحدا منهم إلا بالخير.. يقول ابن عيينة: (من نطق في أصحاب رسول الله بكلمة فهو صاحب هوى) .

= ومن الدين: السمع والطاعة للأئمة فيما يحب الله ويرضى، ومن ولي الخلافة بإجماع الناس عليه ورضاهم به فهو أمير المؤمنين، لا يحل لأحد أن يبيت ليلة ولا يَرى أن عليه إمامًا، برًّا كان أو فاجرًا.. والحج والغزو مع الإمام ماض، وصلاة الجمعة خلفهم جائزة .. والخلافة في قريش إلى أن ينزل عيسى ابن مريم .

= ومن خرج على إمام من أئمة المسلمين فهو خارجي، وقد شق عصا المسلمين، وخالف الآثار، وميتته ميتة جاهلية(١).

= ولا يحِلُّ قتال السلطان والخروج عليه وإن جاروا، وذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي ذر: (اصبر، وإن كان عبدًا حبشيًّا)(٢)، وقوله للأنصار: (اصبروا حتى تلقوني على الحوض)(٣)، وليس من السنة قتال السلطان؛ فإن فيه فساد الدين والدنيا، ويحل قتال الخوارج إذا عرضوا للمسلمين في أنفسهم وأموالهم وأهاليهم، وليس لمن قاتلهم إذا فارقوه أن يطلبهم، ولا يُجْهَزُ على جريحهم ولا يُؤخذ فيئهم، ولا يقتل أسيرهم، ولا يُتْبَعُ مُدْبِرُهم .

---

(١) لحديث مسلم مرفوعًا عن ابن عمر (١٨٥١): (من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية) .

(٢) أخرجه وبنحوه: مسلم (١٨٣٧) .

(٣) أخرجه البخاري (٢٣٧٧، ٣١٦٣، ٣٧٩٢)، ومسلم (١٠٥٩) من حديث أنس

= واعلم أنه لا طاعة لبشر في معصية الله .. ومن كان من أهل الإسلام فلا تشهد له بعمل خير ولا شر، فإنك لا تدري بما يختم له، ترجو له، وتخاف عليه ولا تدري ما يسبق له عند الموت إلى الله من الندم، وما أحدث الله في ذلك الوقت إذا مات على الإسلام، ترجو له رحمة الله وتخاف عليه ذنوبه، وما من ذنب إلا وللعبد منه توبة .

= والرّجمُ حق، والمسح على الخفين سنة، وتقصير الصلاة في السفر سنة، والصومُ في السفر من شاء صام ومن شاء أفطر، ولا بأس بالصلاة في السراويل.

= والصلاة على من مات من أهل القبلة: سنة؛ المرجوم، والزاني، والزانية، والذي يقتل نفسه، وغيرهم من أهل القبلة، والسكران وغيره، الصلاة عليهم سنة .. ولا نُخرج أحدا من أهل القبلة من الإسلام حتى يَرُدَّ آية من كتاب الله، أو يرُدّ شيئًا من آثار رسول الله، أو يذبح لغير الله، أو يصلي لغير الله، فإذا فعل شيئًا من ذلك فقد وجب عليك أن تخرجه من الإسلام – لكن بعد إقامة الحجة الرسالية من عالم مهاب أو أمير مطاع وبعد تحقق شروط وانتفاء موانع(١) – وإذا لم يفعل شيئًا من ذلك؛ فهو مؤمن مسلم بالاسم لا بالحقيقة .

= وكل ما سمعت من الآثار شيئًا مما لم يبلغه عقلك، نحو قوله صلى الله عليه وسلم: (قلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن) .. وقوله: (إن الله ينزل إلى السماء الدنيا)(٢)، و(ينزل يوم عرفة)(٣)، و(يوم القيامة)(٤) .. وأن (جهنم لا تزال يُطرح فيها حتى يضع عليها قدمه جل ثناؤه)(٥) .. وقول الله تعالى للعبد: (إن مشيتَ إليّ هرولتُ إليك)(٦) .. وقوله: (إن الله خلق آدم على صورته)(٧) .. وقول النبي صلى الله عليه وسلم: (إني رأيت ربي في أحسن صورة)(٨) وأشباه هذه الأحاديث، فعليك بالتسليم والتصديق والتفويض – يعني: في الكيف – والرضى، ولا تفسر شيئًا من هذه بهواك، فإن الإيمان بهذا واجب، فمن فسر شيئا من هذا بهواه أو رَدّه فهو جهمي .. ومن زعم أنه يرى ربه في دار الدنيا فهو كافر بالله .. والفكرة في الله بدعة؛ لحديث: (تفكروا في الخلق ولا تفكروا في الله)(٩)؛ فإن الفكرة في الرب تقدح الشك في القلب .

= ولا نكاح إلا بولي وشاهدي عدل وصداق قل أو كثر، ومن لم يكن لها ولي فالسلطان وَلِيُّ من لا ولي له .. وإذا طلق الرجل امرأته ثلاثًا – في ثلاث مجالس – فقد حُرِّمت عليه، ولا تحل له حتى تنكح زوجًا غيره .

= ولا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله ويشهد أن محمدًا رسول الله عبده ورسوله إلا بإحدى ثلاث: زانٍ بعد إحصان، أو مرتدٍّ بعد إيمان، أو قتلِ نفسا مؤمنة بغير حق؛ فيُقتل به، وما سوى ذلك فدمُ المسلم على المسلم حرامٌ أبدًا حتى تقوم الساعة .

= وكلُّ شيء مما أوجب الله عليه الفناء يفنى، إلا: الجنة والنار والعرش والكرسي واللوح والقلم والصور، ليس يفنى شيء من هذا أبدًا، ثم يبعث الله الخلق على ما ماتوا عليه يوم القيامة، فيحاسبهم بما شاء، فريق في الجنة وفريق في السعير، ويقول لسائر الخلق ممن لم يُخلق للبقاء كونوا ترابًا .

= والإيمان بالقصاص يوم القيامة بين الخلق كلهم، بني آدم والسباع والهوام حتى للذرة من الذرة، حتى يأخذ الله لبعضهم من بعض؛ لأهل الجنة من أهل النار، وأهل النار من أهل الجنة، وأهل الجنة بعضهم من بعض، وأهل النار بعضهم من بعض .. وإخلاص العمل لله، والرضا بقضاء الله، والصبر على حكم الله.

---

(١) هذه الزيادة من المؤلف، ولأهميتها أعقب بها في المتن كلام البربهاري

(٢) أخرجه البخاري (١١٤٥، ٦٣٢١، ٧٤٩٤) ومسلم (٧٥٨) من حديث أبي هريرة

(٣) أخرجه أبو يعلى في مسنده (٢٠٩٠) والدار قطني في أحاديث النزول (١٣٧) .

(٤) أخرجه وبنحوه: الطبري في تفسير قوله تعالى: {هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام} [البقرة: ٢١٠ .

(٥) أخرجه البخاري (٤٨٤٨، ٦٦٦١، ٧٣٨٤) ومسلم (٢٨٤٨) من حديث أنس

(٦) أخرجه وبنحوه البخاري (٧٤٠٥، ٧٥٠٥، ٧٥٣٦، ٧٥٣٧) ومسلم (٢٦٧٥) من حديث أبي هريرة

(٧) سبق تخريجه .. وكذا حديث: (قلوب العباد)

(٨) أخرجه الدارمي (٢١٤٩) وينظر الصحيحة (٣١٦٩) .

(٩) أخرجه وبنحوه الطبراني في الأوسط (٦٣١٩) واللالكائي في أصول السنة (٩٢٧) .. وتراجع الصحيحة (١٧٨٨) .

= والإيمان بأن مع كل قطرة ملك ينزل من السماء حتى يضعها حيث أمره الله .. وبأن النبي صلى الله عليه وسلم حين كلم أهل القليب من المشركين يوم بدر، كانوا يسمعون كلامه .. وبأن الرجل إذا مرض يأجره الله على مرضه، والشهيد يأجره الله على القتل .. والإيمان بأن الأطفال إذا أصابهم شيء في دار الدنيا يألمون .

= وأنه لا يدخل الجنة أحد إلا برحمة الله، ولا يُعذِّبُ الله أحدا إلا بقَدْر ذنوبه، ولو عذب الله أهل السماوات وأهل الأرضين بَرَّهم وفاجرَهم فهو غير ظالم لهم، ولا يجوز أن يقال لله: (إنه يظلم)، وإنما يظلم من يأخذ ما ليس له، والله جل ثناؤه له الخلق والأمر، الخلق خلقه، والدار داره، لا يُسأل عما يفعل بخلقه، ولا يقال: (لم وكيف؟)؛ لا يدخل أحد بين الله وبين خلقه .

= وإذا سمعت الرجل يطعنُ على الآثار ولا يقبلها، أو ينكر شيئًا من أخبار رسول الله؛ فاتهمه على الإسلام؛ فإنه رجل رديءُ القولِ والمذهب وإنما يطعن على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى أصحابه؛ لأنّا إنما عرَفنا الله وعرَفنا رسول الله وعرَفنا القرآن وعرفنا الخير والشر والدنيا والآخرة: بالآثار، فإن القرآن إلى السنة أحوج من السنة إلى القرآن .

= والكلام والجدل والخصومة في القَدَر خاصة؛ منهيٌّ عنه عند جميع الفرق؛ لأن القَدَر سرُّ الله ونهى الربُّ تعالى الأنبياءَ عن الكلام في القَدَر، ونهى رسول الله عن الخصومة في القدر، وكرَّهَهُ العلماء وأهل الورع ونَهَوا عن الجدال في القدر، فعليك بالتسليم والإقرار والإيمان، واعتقاد ما قاله صلى الله عليه وسلم في جُملة الأشياء واسكت عما سوى ذلك .

= والإيمان بأن رسول الله أُسري به إلى السماء وصار إلى العرش وكلَّمه الله تعالى، ودخل الجنة واطَّلع إلى النار ورأى الملائكة وبَشَّرَت به الأنبياء، ورأى سُرادقات العرش والكرسي وجميع ما في السماوات وما في الأرضين في اليقظة، حَمَلَه جبريل على البراق حتى أداره في السماوات، وفُرضت عليه الصلاة تلك الليلة، ورجع إلى مكة في تلك الليلة، وذلك قبل الهجرة .

= واعلم أن أرواح الشهداء في قناديل تحت العرش تسرح في الجنة، وأرواح المؤمنين تحت العرش، وأرواح الكفار والفجار في برهوت، وهي في سجين .. والإيمان بأن الميت يقعد في قبره، وتُرسل فيه الروح حتى يسأله منكر ونكير عن الإيمان وشرائعه، ثم تُسَلُّ روحه بلا ألم، وأن الميت يعرف الزائر إذا أتاه، ويتنعم في القبر المؤمن ويُعذب الكافر كيف يشاء.

= ومن الدين: الإيمان بأن الله هو الذي كلم موسى بن عمران يوم الطور، وموسى سمع من الله الكلام بصوت وقع في مسامعه منه لا من غيره، فمن قال غير هذا فقد كفر بالله العظيم(١) .

= وأن العقل مخلوق، وقد أُعطي كلُّ إنسان منه ما أراد الله، والناس يتفاوتون في العقول، ويُطلب من كل إنسان من العمل على قدر ما أعطاه من العقل، وليس العقل باكتساب إنما هو فضل من الله .. وأن الله فضل العباد بعضهم على بعض في الدين والدنيا عدلًا منه، لا يُقال: (جار) ولا (حابى)، فمن قال: (إن فضل الله على المؤمن والكافر سواء) فهو صاحب بدعة، بل فضّل الله المؤمن على الكافر؛ والطائع على العاصي؛ والمعصوم على المخذول؛ عدلًا منه، هو فضله يعطيه من يشاء ويمنعه من يشاء .

= ولا يحِلُّ أن تكتم النصيحة أحدًا من المسلمين بَرَّهم وفاجرَهم، في أمر الدين فمن كتم فقد غش المسلمين ومن غش المسلمين فقد غش الدين ومن غش الدين فقد خان الله ورسوله والمؤمنين .

= وأن الله سميع بصير عليم، يداه مبسوطتان، قد علم أن الخلق يعصونه قبل أن يخلقهم، علمه نافذ فيهم، فلم يمنعه علمه فيهم أن هداهم للإسلام ومنَّ به عليهم كرمًا وجودًا وتفضلًا فله الحمد .

= وأن البشارة عند الموت ثلاث بشارات؛ يقال: (أبشر يا حبيب الله برضى الله والجنة)، ويقال: (أبشر يا عبد الله بالجنة بعد الانتقام)، ويقال: (أبشر يا عدو الله بغضب الله والنار) هذا قول ابن عباس .. وأن أول من ينظر إلى الله في الجنة الأضِرَّاء – أي: العميان – ثم الرجال؛ ثم النساء؛ بأعين رؤوسهم كما قال

(١) وإنما يكون الحكم بالكفر بعد قيام الحجة من أهلها؛ وبعد مراعاة ضوابطها من تحقق الشروط وانتفاء الموانع.. وعلى أي الأحوال ففي هذا بيان لمدى خطورة ما عليه الأشاعرة الذين يقْصرون كلامه تعالى على النفسي منه دون اللفظي ذي الحرف والصوت؛ بزعم التنزيه .

رسول الله: (إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامُّون في رؤيته)(١)، والإيمان بهذا واجب وإنكاره كفر .

= وأنه لم تكن زندقة ولا كفر ولا شكوك ولا بدعة ولا ضلالة ولا حيرة في الدين، إلا من الكلام وأهل الكلام والجدل والمِراء والخصومة والعُجْب، وكيف يجترئ الرجل على المراء والخصومة والجدال والله يقول: {ما يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا} [غافر: ٤] فعليك بالتسليم والرضى بالآثار والكف والسكوت .. وأن الله يعذب الخلق في النار في الأغلال والأنكال والسلاسل؛ والنار في أجوافهم وفوقهم وتحتهم .

= وأن أول الإسلام: شهادة أن لا اله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله .. والإيمان بالشرائع كلها.. وأن الشراء والبيع حلال إذا بيع في أسواق المسلمين على حكم الكتاب والسنة من غير أن يدخله تغرير أو ظلم أو غدر؛ أو خلاف للقرآن أو خلاف للعلم .

= وأنه ينبغي للعبد أن تصحبه الشَّفَقَةُ – والخوف من الله – أبدًا ما صحب الدنيا، لأنه لا يدري على ما يموت وبما يختم له وعلى ما يلقى الله وإن عمل كل عمل من الخير، وينبغي للرجل المسرف على نفسه أن لا يقطع رجاءه عند الموت ويُحسن ظنه بالله ويخاف ذنوبه فإن رَحِمه الله فَبِفَضل وإن عذَّبه فبذنب.. وبأن الله اطلع نبيه على ما يكون في أمته إلى يوم القيامة .

= وأنه صلى الله عليه وسلم قال: (ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة؛ كلها في النار إلا واحدة) وهي: الجماعة، قيل: من هم يا رسول الله؟؛ قال: (ما أنا عليه اليوم وأصحابي)(٢)، هكذا كان الدين إلى خلافة عمر وفي زمن عثمان، فلما قتل عثمان رضي الله عنه جاء الاختلاف والبدع وصار الناس فرقًا، فمن الناس من ثبت على الحق وقال وعمل به ودعا إليه.

وكان الأمر مستقيمًا حتى كانت الطبقة الرابعة انقلب الزمان وتغير الناس جدًّا وفشت البدع؛ وكثر الدعاة إلى غير سبيل الحق والجماعة؛ ووقعت المحنة في كل شيء لم يتكلم به رسول الله ولا أحد من الصحابة؛ ودعوا إلى الفرقة وقد نهى الله عنها؛ وكفر بعضهم بعضًا .. ووَضَعوا القياس وحملوا قدرة الرب وآياته وأحكامه وأمره ونهيه على عقولهم وآرائهم، فما وافق عقولهم قبلوه وما خالف عقولهم ردُّوه؛ فصار الإسلام غريبًا والسنة غريبة وأهل السنة غرباء في جوف ديارهم .

= وأن متعة النساء والاستحلال؛ حرام إلى يوم القيامة .. وأن لبني هاشم فضلهم لقرابتهم من رسول الله، وكذا قريش والعرب وجميع الأفخاذ .. واعرف فضل الأنصار ووصية رسول الله فيهم(٣)؛ وآل الرسول؛ وجيرانه من أهل المدينة، فلا تسبهم واعرف فضلهم .

= واعلم أن أهل العلم لم يزالوا يردُّون قول الجهمية؛ حتى كان في خلافة بني العباس تكلمت الرويبضة في أمر العامة وطعنوا على آثار رسول الله؛ وأخذوا بالقياس والرأي وكفّروا من خالفهم .. فهلكت الأمة من وجوه وكفرت من وجوه وتزندقت من وجوه وضلت من وجوه وابتدعت من وجوه، إلا من ثبت على قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه؛ ولم يتخطَّ أحدًا منهم؛ ولم يجاوز أمرهم؛ ووسعه ما وسعهم؛ ولم يرغب عن طريقتهم ومذهبهم؛ وعلِم أنهم كانوا على الإسلام الصحيح والإيمان الصحيح فقلَّدَهم دينَه واستراح .. واعلم أن الدين إنما هو التقليد والتقليد لأصحاب رسول الله .

= وأن من قال: (لفظه بالقرآن مخلوق) فهو جهمي، ومن سكت ولم يقل مخلوق ولا غير مخلوق فهو جهمي؛ هكذا قال أحمد بن حنبل، وقال صلى الله عليه وسلم: (إنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافا

---

(١) بضم الضاد المخففة أو ضمها مع التشديد.. والحديث أخرجه البخاري (٥٥٤، ٥٧٣) ومسلم (٦٣٣) من حديث جابر بن عبد الله البجلي

(٢) أخرجه وبنحوه: الترمذي (٢٦٤١) وأبو داود (٤٥٩٧) وابن ماجة (٣٩٩٣)، وله شواهد في الصحيحة (٢٠٣)

(٣) ومن ذلك ما أخرجه البخاري (٣٧٩٩) في مرض وفاة النبي صلى الله عليه وسلم أنه صعد على المنبر ولم يصعده بعد ذلك، قال: (وأوصيكم بالأنصار، فإنهم كرشي وعيبتي، وقد قضوا ما عليهم وبقي الذي لهم، فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم) .

كثيرًا، فإياكم ومحدثات الأمور؛ فإنها ضلالة؛ وعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضَّوا عليها بالنواجذ)(١).

وإنما جاء هلاك الجهمية من أنهم فكروا في الرب تعالى؛ فأدخلوا لِمَ؟ وكيف؟، وتركوا الأثر ووضعوا القياس وقاسوا الدين على رأيهم؛ فجاءوا بالكفر عيانًا لا يخفي؛ فكفَروا وكفَّروا الخلق واضطرهم الأمر إلى أن قالوا بالتعطيل .. وبحقهم قال بعض العلماء منهم أحمد بن حنبل:

الجهمي كافر ليس من أهل القبلة حلال الدم لا يَرِثُ ولا يُوَرّث، لأنه قال لا جمعة ولا جماعة ولا عيدين ولا صدقة، وقالوا: (من لم يقل القرآن مخلوق فهو كافر)؛ واستحلوا السيف على أمة محمد؛ وخالفوا من كان قبلهم وامتحنوا الناس بشيء لم يتكلم فيه رسول الله ولا أحد من أصحابه، وأرادوا تعطيل المساجد والجوامع، وأوهنوا الإسلام وعطلوا الجهاد، وعملوا في الفرقة، وخالفوا الآثار، وتكلموا بالمنسوخ، واحتجوا بالمتشابه فشككوا الناس في أديانهم، واختصموا في ربهم وقالوا ليس هناك عذابُ قبر ولا حوضٌ ولا شفاعة، والجنة والنار لم يخلقا، وأنكروا كثيرا مما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ودامت لهم المدة ووجدوا من السلطان معونة على ذلك .. حتى كانت أيام المتوكل فأطفأ الله به البدع وأظهر به الحق وأظهر به أهل السنة؛ وطالت ألسنتهم مع قلتهم وكثرة أهل البدع إلى يومنا هذا، فالرسم والبدع وأهل الضلالة قد بقي منهم قوم يعملون بها ويَدْعُون إليها لا مانع يمنعهم ولا حاجز يحجزهم عما يقولون ويعملون .

= واعلم أنه لم تجئ زندقة قط إلا من: الهمج الرعاع واتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح، فمن كان هكذا فلا دين له، قال تعالى: {فما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيًا بينهم} [الجاثية: ١٧]، وهم علماء السوء أصحاب الطمع .. وأنه لا يزال الناس في عصابة من أهل الحق والسنة يهديهم الله ويهدي بهم غيرهم؛ ويُحيِي بهم السنن؛ وهم الذين وصفهم الله مع قلتهم عند الاختلاف فقال: {وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيًا بينهم} ثم استثناهم؛ فقال: {فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم} [البقرة: ٢١٣]، وقال صلى الله عليه وسلم: (لا تزال عصبة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون)(٢) .

= وأن العلم ليس بكثرة الرواية والكتب، ولكن العالم من اتبع الكتاب والسنة وإن كان قليل العلم والكتب، ومن خالف الكتاب والسنة فهو صاحب بدعة وإن كان كثيرَ الرواية والكتب .. وأن من قال في دين الله برأيه وقياسه وتأوله من غير حجة من السنة والجماعة فقد قال على الله ما لا يعلم؛ ومن قال على الله مالا يعلم فهو من المتكلفين، والحق: ما جاء من عند الله؛ والسنة: ما سنه رسول الله؛ والجماعة: ما اجتمع عليه أصحاب رسول الله.. ومن اقتصر على سنة رسول الله وما كان عليه الجماعة؛ فاز على أهل البدعة كلهم واستراح بدنه وسَلِم له دينه، لأن رسول الله قال: (ستفترق أمتي ..)، وبين لنا الفرقة الناجية منها؛ فقال: (ما أنا عليه وأصحابي)(٣) فهذا هو الشفاء والبيان والأمر الواضح والمنار المستقيم، وقال صلى الله عليه وسلم: (إياكم والتنطع، وإياكم والتعمق، وعليكم بدينكم العتيق)(٤) .

والدين العتيق: ما كان من وفاة رسول الله إلى قتل عثمان بن عفان رضي الله عنه، وكان قتله أول الفُرقة وأول الاختلاف فتحاربت الأمة وافترقت واتبعت الطمع والهوى والميل إلى الدنيا.. فمن ترخص فيما لم يكن عليه أصحاب رسول الله، أو دعا إلى شيء أحدثه مَن قبلَه من أهل البدع أو قال به؛ فقد رد السنة وخالف الحق والجماعة وأباح الهوى، وهو أشر على هذه الأمة من إبليس، ومن عَرَفَ ما ترك أهل البدع من السنة وما فارقوا منها؛ فتمسّك به، فهو صاحب سنة وصاحب جماعة؛ وحقيق أن يُتَّبع وأن يُعاون وأن يُحفظ؛ وهو ممن أوصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٠٧)والترمذي (٢٦٧٦) وابن ماجة (٤٢: ٤٤) من حديث العِرباض بن سارية رضي الله عنه

(٢) أخرجه البخاري (٧١، ٣١١٦، ٣٦٤٠، ٧٣١١، ٧٤٥٩) ومسلم (١٩٢١، ١٠٣٧)

(٣) سبق تخريجه

(٤) أخرجه الدارمي (١٤٢، ١٤٣) من حديث ابن مسعود موقوفًا أو مرفوعًا، واللالكائي في شرح أصول السنة (١٠٨) .

= وأن أصول البدع أربعة أبواب: يتشعب من هذه الأربعة اثنان وسبعون هوى، ثم يصير كل واحد من البدع يتشعب حتى تصير كلها إلى ألفين وثمانمائة، كلها ضلالة وكلها في النار؛ إلا واحدة وهو: من آمن بما في هذا الكتاب واعتقده من غير ريبة في قلبه ولا شكوك، فهو صاحب سنة وهو الناجي إن شاء الله .

= وأنه ليس بين العبد وبين أن يكون مؤمنًا حتى يصير كافرًا؛ إلا أن يجحد شيئًا مما أنزل الله أو يزيد في كلام الله أو ينقص أو ينكر شيئًا مما قال الله أو تكلم به رسول الله؛ فاتق الله وانظر لنفسك وإياك والغلو في الدين فإنه ليس من طريق الحق في شيء .

= واعلم أن جميع ما وصفتُ لك في هذا الكتاب؛ هو عن الله وعن رسوله وعن التابعين وعن القرن الثالث إلى القرن الرابع، فاتق الله ولا تكتم هذا الكتاب أحدًا من أهل القبلة فعسى الله أن يَرُدَّ به حيرانًا من حيرته؛ أو صاحبَ بدعة من بدعته؛ أو ضالًّا عن ضلالته فينجوَ به، فهو ليس بداعٍ إلا إلى الأمر الأول العتيق: قال الله وقال رسوله، وإن من ردَّ حرفًا مما قال الله فقد ردَّ جميع ما قال الله، وكذا من خالف وردَّ من السنة شيئًا فقد ردَّ السنة كلها، فعليك بالقبول ودع عنك اللجاجة فإنه ليس من دين الله في شيء وزمانك خاصة زمان سوء فاتق الله(١) .

= فإذا وقعت الفتنة فالزَم جوف بيتك وفرّ من جوار الفتنة، وإياك والعصبية وكل ما كان من قتال بين المسلمين على الدنيا، فهو فتنة فلا تخرج ولا تقاتل فيها ولا تهوى ولا تشايع ولا تمايل ولا تحب شيئًا من أمور هؤلاء أو أولئك، فإنه يقال: (من أحب فِعال قومٍ – خيرًا كان أو شرًّا – كان كمن عمله) .

= وأَقِلَّ من النظر في النجوم إلا بما تستعين به على مواقيت الصلاة وانتهٍ عما سوى ذلك فإنه يدعو إلى الزندقة .

= وإياك والنظر في الكلام والجلوس إلى أصحاب الكلام، وعليك بالآثار وأهل الآثار، وإياهم فاسأل، ومعهم فاجلس ومنهم فاقتبس.. واحذر أن تجلس مع من يدعو إلى الشوق والمحبة ويخلو مع النساء وطريق المذهب، فإن هؤلاء كلهم في ضلالة .

= واعلم أن الله تعالى دعا الخلق كلهم إلى عبادته ومنَّ مِن بعد ذلك على من يشاء بالإسلام تفضلًا منه.. وأنه ما عُبِد الله بمثل: الخوف والحياء والحذر منه تبارك وتعالى .

= وعليك بالكف عما وقع بين علي ومعاوية وعائشة وطلحة والزبير ومن كان معهم رحمهم الله جميعًا، لا تخاصم فيهم وكِلْ أمرَهم إلى الله .. واعلم أنه لا يحل مال امرئ مسلم إلا بطِيبةٍ من نفسه، ولا تأخذ حرامًا .

= والصلوات الخمس جائزة خلف من صليتَ إلا أن يكون جهميًّا فإنه معطل، وإن صليت خلفه فأعِدْ صلاتك، وإن كان إمامك يوم الجمعة جهميًّا وهو سلطان فصلِ خلفه وأَعِد صلاتك، وإن كان إمامك من السلطان وغيره صاحب سنة فصلِّ خلفه ولا تُعِدْ صلاتك .

= ومن الدين: الإيمانُ بأن أبا بكر وعمر رحمة الله عليهما قد دفنا في حجرة عائشة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإذا أتيت القبر فالتسليم عليهما بعد رسول الله واجب .. والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب إلا من خِفْتَ سيفَه وعصَاه، وهما للآحاد باليد واللسان والقلب بلا سيف، والمستور من المسلمين من لم يظهر منه رِيبة، والتسليم على عباد الله أجمعين.

= ومن ترك صلاة الجمعة والجماعة في المسجد من غير عذر فهو مبتدع، والعذر كمرض لا طاقة له معه بالخروج إلى المسجد؛ أو خوف من سلطان ظالم، ومن صلى خلف إمام فلم يقتد به فلا صلاة له .. وكل عِلم ادعاه العُبّاد من علم الباطن(٢) لم يوجد في الكتاب ولا في السنة؛ فهو بدعة وضلالة لا ينبغي لأحد أن يعمل به ولا يدعو إليه.

---

(١) يقول هذا في زمانه في بدايات القرن الرابع، فماذا لو أدرك زماننا؟!.

(٢) تمامًا كما يفعل الصوفية وأمثالهم ممن خالفوا الأوامر والنواهي الشرعية بزعم أنهم مطَّلعون على حقيقة التشريع، وهو: (علم الباطن) الذي يدعونه، فهذا كفر وزندقة.

= وأي امرأة وهبت نفسها لرجل فإنها لا تحل له – ويعاقبان إن نال منها شيئًا – إلا بولي وشاهدي عدل وصداق".

= وعن علامات أهل البدع والتمييز بينهم وبين أهل السنة يقول رحمه الله: "إذا رأيت الرجل يطعن على أصحاب النبي فاعلم أنه صاحبُ قولِ سوءٍ وهوىً، لقوله صلى الله عليه وسلم: (إذا ذكر أصحابي فأمسكوا)(١)، فقد علم النبي ما يكون منهم من الزلل بعد موته فلم يقل فيهم إلا خيرًا، وقال: (ذروا أصحابي لا تقولوا فيهم إلا خيرًا)(٢)؛ ولا تحدِّث بشيء من زللهم ولا حربهم ولا ما غاب عنك علمه؛ ولا تسمعه من أحد يُحدِّث به فإنه لا يَسْلَمُ لك قلبك إن سمعته.. ولا تذكر أحدًا من أمهات المؤمنين إلا بخير .. وإذا سمعت الرجل يطعن على الآثار أو يردُّها أو يريد غيرها فاتهمه على الإسلام ولا تشك أنه صاحب هوى مبتدع .

= واعلم أن جور السلطان لا يُنقص فريضة من فرائض الله .. وجوره على نفسه وتطوعك وبرُّك معه تام .. فشاركهم في: الجماعة والجمعة والجهاد وفي كل شيء من الطاعات" .

= وإذا رأيت الرجل يدعو على السلطان فاعلم أنه صاحب هوى، وإذا سمعت الرجل يدعو للسلطان بالصلاح فاعلم أنه صاحب سنة إن شاء الله، يقول فضيل بن عياض: (لو كان لي دعوة مستجابة ما جعلتها إلا في السلطان) قيل له: يا أبا علي؛ فسر لنا هذا، قال: (إذا جعلتها في نفسي لم تَعْدُني وإذا جعلتها في السلطان صَلُحَ فصَلُح بصلاحه العباد والبلاد)، فأُمرنا أن ندعو لهم بالصلاح ولم نؤمر أن ندعو عليهم وإن جاروا وظلموا، لأن جورهم وظلمهم على أنفسهم وصلاحهم لأنفسهم وللمسلمين .. وإذا رأيت الرجل يتعاهد الفرائض في جماعة مع السلطان وغيره؛ فاعلم أنه صاحب سنة إن شاء الله، وإذا رأيت الرجل يتهاون بالفرائض في جماعة وإن كان مع السلطان فاعلم أنه صاحب هوى، والحلال: ما شهدتَ عليه وحلفتَ عليه أنه حلال وكذلك الحرام، وما حاك في صدرك فهو شبهة، والمستور مَن بان سَتره، والمهتوك مَن بان هَتكه .

= وإذا سمعت الرجل يقول: (فلان – السني – ناصبي)، فاعلم أنه رافضي، وإذا سمعت الرجل يقول: (فلان – السني – مشبه) أو (فلان يتكلم بالتشبيه) فاعلم أنه جهمي، وإذا سمعت الرجل يقول: (تكلم بالتوحيد واشرح لي التوحيد) فاعلم أنه خارجي معتزلي، أو يقول: (فلان مُجْبِر) أو يتكلم بالإجبار أو تكلم بالعدل؛ فاعلم أنه قدري؛ لأن هذه الأسماء محدثة أحدثها أهل البدع .

قال عبد الله بن المبارك: (لا تأخذوا عن أهل الكوفة في الرفض شيئًا، ولا عن أهل الشام في السيف شيئًا، ولا عن أهل البصرة في القَدَر شيئًا، ولا عن أهل خراسان في الإرجاء شيئًا، ولا عن أهل مكة في الصَّرف، ولا عن أهل المدينة في الغناء، لا تأخذوا عنهم في هذه الأشياء شيئًا).

= وإذا رأيت الرجل يحب أبا هريرة وأنس بن مالك وأسيد بن حضير؛ فاعلم أنه صاحب سنة، وإذا رأيت الرجل يحب (أيوب – السختياني – وابن عون وعبد الله بن ادريس الأودي والشعبي ووهب بن جرير وحماد بن زيد وحماد بن سلمة ومالك بن أنس والأوزاعي وأحمد بن حنبل وأحمد بن نصر .. وأضرابهم)، وذكرهم بخير وقال قولهم، فاعلم أنه صاحب سنة(٣) .. وإذا رأيت الرجل يجلس مع أهل الأهواء فاحذره وعرِّفه؛ فإن جلس معه بعدما علم فاتقه فإنه صاحب هوى .

= وإذا سمعت الرجل تأتيه بالأثر فلا يريده ويريد القرآن(٤)، فلا تشك أنه رجل قد احتوى على الزندقة فقم من عنده ودَعْه، واعلم أن الأهواء كلها رديَّة تدعو إلى السيف، وأردؤها وأكفرها: (الرافضة)(١) و(المعتزلة)(٢) و(الجهمية)(٣) فإنهم يريدون الناس على التعطيل والزندقة .

---

(١) سبق تخريجه

(٢) أخرجه وبنحوه ابن عساكر في تاريخه عن الحسن مرسلًا كما ذكره السيوطي في الجامع الصغير (٢٦٨٢) والطبراني في المعجم الكبير (٦/ ١٠٤، ١٠٥) وينظر الصحيحة (١٩٣٣)

(٣) كون جميعهم بلا استثناء على معتقد أهل السنة، وعلى حب الصحابة وآل البيت والقول بأن الإيمان قول وعمل، وعدم الخروج على حكام المسلمين وعدم التكفير بالمعصية

(٤) وهم من يُعرفون في زماننا بالقرآنيين، كونهم لا يعترفون بالسنة أو يشككون فيها.

= واعلم أنه من تناول أحدًا من أصحاب رسول الله فاعلم أنه إنما أراد محمدًا صلى الله عليه وسلم وقد آذاه في قبره، وإذا ظهر لك من إنسان شيء من البدع فاحذره؛ فإن الذي أخفى عنك أكثر مما أظهر، وإذا رأيت الرجل رديء الطريق والمذهب؛ فاسقًا فاجرًا صاحب معاصٍ ظالمًا، وهو من أهل السنة فاصحبه واجلس معه فإنه ليس تضرك معصيته(٤)، وإذا رأيت الرجل عابدًا مجتهدًا متقشفًا محترفًا بالعبادة صاحب هوى، فلا تجلس معه ولا تسمع كلامه ولا تمشي معه في طريق؛ فإني لا آمن أن تستحلي طريقه فتهلك معه.

فقد رأى يونس بن عبيد ابنه وقد خرج من عند صاحب هوى؛ فقال: (يا بُنَيّ من أين خرجت؟)؛ قال: من عند عمرو بن عبيد، قال: (يا بني لأن أراك خرجت من بيت هيْتِيٍّ(٥) أحب إليَّ من أن أراك خرجت من بيت فلان وفلان، ولأن تلقى الله زانيًا سارقًا خائنًا أحب إليَّ من أن تلقاه بقول أهل الأهواء، أفلا تعلم أن يونس قد علم أن الهيتيَّ لا يضل ابنه عن دينه وأن صاحب البدعة يضلُّه حتى يُكَفّره؟).

= فاحذر ثم احذر أهل زمانك خاصة؛ وانظر من تُجَالس؟؛ وممن تسمع؟؛ ومن تصحب؟(٦)؛ فإن الخلق كأنهم في رِدَّة إلا مَن عصم الله، وإذا رأيت الرجل يذكر: (ابن أبي داؤد والمريسي أو ثمامة وأبا الهذيل وهشام الفوطي)(٧) أو واحدًا من أتباعهم وأشياعهم فاحذره؛ فإنه صاحب بدعة؛ وإن هؤلاء كانوا على الردة؛ واترك هذا الرجل الذي ذكرهم بخير .

= وفي صحيح مسلم عن محمد بن سيرين: (إن هذا العلم دين، فانظروا عمن تأخذون دينكم)(٨)، ولا تقبلوا الحديث إلا ممن تقبلون شهادته، فانظر إن كان صاحب سنة له معرفة صدوق أخذت عنه وإلا تركته، وإذا أردت الاستقامة على الحق وطريق أهل السنة فاحذر الكلام وأصحاب الكلام؛ والجدال والمراء والقياس فإن استماعك منهم وإن لم تَقبل؛ يقدح الشك في القلب – وكفى به قبولًا – فتهلك، وما كانت قط زندقة ولا بدعة ولا هوى ولا ضلالة؛ إلا من: (الكلام والجدال والمراء والقياس) وهي أبواب البدع والشكوك والزندقة .

فالله الله في نفسك وعليك بالآثار وأصحاب الأثرِ والتقليدِ، فإن الدين إنما هو تقليد النبي وأصحابه(٩)، ومَن قَبلَنا لم يَدَعونا في لَبْسٍ؛ فقلدهم واسترح ولا تجاوز الأثر؛ وأهل الأثر وقفوا عند متشابه القرآن والحديث ولا يفسروا تفسير الجهمية .. ولا تطلب من عندك حيلة تردُّ بها على أهل البدع، فإنك أُمرت بالسكوت عنهم فلا تمكنهم من نفسك، أما علمت أن محمد بن سيرين – مع فضله – لم يُجِبْ رجلًا من أهل

---

(١) سبب تسميتهم بهذا الاسم: أن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، عندما جاءوا إليه وطلبوا منه أن يتبرأ من أبي بكر وعمر حتى يكونوا معه، قال: (بل أتولاهما وأتبرأ ممن تبرأ منهما)، فقالوا : إذًا نرفضك، فرفضوه وارفضوا عنه، فسموا: (الرافضة).

(٢) سموا بذلك لأنهم اعتزلوا مجلس الحسن البصري، وقد كان على رأسهم واصل بن عطاء ، وكان غالب بدعتهم وضلالهم من الكلام والفلسفة، وقيل: هم الذين نشئوا من فريق في جيش علي رضي الله عنه اعتزل السياسة.

(٣) الجهمية: نسبة إلى جهم بن صفوان، وهم من الجبرية الخالصة، وافقوا المعتزلة في نفي الصفات الأزلية، وزادوا عليهم

(٤) يريد: أن المعصية أهون من البدعة والهوى، وأن الشهوات أخف وطأة من الشبهات، وان صاحب المعصية يوشك أن يتوب ويرجع عنها خلافًا لصاحب الهوى فإنه لا يترك هواه ولا يتوب من بدعته إلا من رحم الله .. وهذا من فقه أهل العلم الذين يبشعون البدعة؛ ويعدونها أعظم شرًّا وأشد خطرًا وأفدح إثمًا وأحب إلى إبليس من المعصية.. وما أكثر ما أوتيت الأمة من قبَلِها؛ وذلك على مدار تاريخها .

(٥) اسم مخنث نفاه النبي صلى الله عليه وسلم، فلعل هذا نسبة إليه.

(٦) والله إنها لكلمات تكتب بماء العين وتدبج بماء الذهب!.. فما أحوجنا جميعًا – وشبابنا بخاصة – للأخذ بمثل هذا والعمل به، فما ضل مَن ضل وزاغ عن طريق الله المستقيم من زاغ إلا بسبب التهاون فيه.

(٧) وأمثالهم في زماننا من فرق المعطلة والخوارج والروافض والصوفية ما أكثرهم! .. وصدق الله: {وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون وكان ربك بصيرًا} [الفرقان: ٢٠]، {ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض} [محمد: ٤] والواجب على المسلم أن يتجنب جميع أهل البدع والأهواء؛ وألا يقلدهم في دينه، ولا يأخذ عنهم الآية والحديث، لكونهم يلوونهما ويفسرونهما على حسب أهوائهم، وليُتَأمل في ذلك أثر ابن سيرين .. والفوطي الوارد ذكره في كلام البربهاري كان من أصحاب أبي هزيل العلاف المعتزلي، وكان داعية إلى الاعتزال ترجم له ابن حجر في لسان الميزان (٦٩٧).

(٨) وقد ورد هذا الأثر في سنن الدارمي، وفيه أن رجلان من أصحاب الأهواء دخلا على ابن سيرين فقالا: يا أبا بكر؛ نحدثك بحديث؟ قال: (لا)، فقالا: فنقرأ عليك آية من كتاب الله؟، قال: (لا .. لتقومن عني أو لأقومنّ)، فخرجا، فقال بعض القوم: يا أبا بكر وما كان عليك أن يقرآ عليك آية من كتاب الله؟، قال: (إني خشيت أن يقرأ عليّ آية فيحرفانها، فيقرّ ذلك في قلبك) .. فانظر يا رعاك الله إلى أي مدى كانت مخاصمة السلف لأهل البدع والأهواء!؛ وأحدنا لا يبالي بذلك وما يبرح أن يتحول عن صحيح الدين والعقيدة مائة وثمانين درجة كما يقولون

(٩) يقصد الاقتداء والاتباع؛ وترك الإحداث والابتداع .. إذ لا يجوز للمرء أن يقلد في دينه المبتدعة.

البدع في مسألة واحدة ولا سمع منه آية من كتاب الله؛ فقيل له: فقال: (أخاف أن يحرفها فيقع في قلبي شيء) .

= وإذا سمعتَ الرجل يقول: (إنا نحن نعظم الله) إذا سمع آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم(١)، فاعلم أنه جهميٌّ يريد أن يردَّ أثر رسول الله ويدفعه بهذه الكلمة؛ وهو يزعم أنه يعظم الله وينزهه، وانظر حاله وتأويله وقوله إذا سمع حديث الرؤية وحديث النزول وغيره؛ أفليس قد رد أثرَ رسول الله إذ قال: (إنا نحن نعظم الله أن ينزل من موضع إلى موضع) وزعم أنه أعلم بالله من غيره؛ فاحذر هؤلاء فإن جمهور الناس من السوقة وغيرهم على هذا الحال، وحذِّر الناس منهم

وإذا سألك الرجل عن مسألة في هذا الباب وهو مسترشد فكلمه وأرشده، وإذا جاءك يناظرك فاحذره فإن في المناظرة: (المراء والجدال والمغالبة والخصومة والغضب)، وقد نُهيت عن جميع هذا؛ وهو يزيل عن طريق الحق، ولم يبلغنا عن أحد من فقهائنا وعلمائنا أنه جادل أو ناظر أو خاصم .

قال الحسن البصري: (الحكيم لا يماري ولا يداري حكمته أن ينشرها، إن قُبِلت حَمِد الله وإن رُدَّتْ حمد الله)، وجاء رجل إلى الحسن فقال: أنا أناظرك في الدين، فقال الحسن: (أنا قد عرفتُ ديني فإن كان دينك قد ضلَّ منك فاذهب فاطلبه)، وسمع رسول الله قومًا على باب حجرته يقول أحدهم: (ألم يقل الله كذا)، ويقول الآخر: (ألم يقل الله كذا)، فخرج صلى الله عليه وسلم مُغضبًا، فقال: (أبهذا أمرتكم؟! أم بهذا بعثت إليكم أن تضربوا كتاب الله بعضه ببعض؟!)(٢)، فنهاهم عن الجدال.

وكان ابن عمر يكره المناظرة، ومالك بن أنس ومن فوقه ومن دونه إلى يومنا هذا .. قال تعالى: {وما يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا} [غافر: ٤]، وسأل رجل عمر بن الخطاب فقال: ما الناشطات نشطًا؟، فقال: (لو كنتَ محلوقًا – يعني: خارجيًّا لكون ذلك من سماتهم – لضربتُ عنقك).

= ولا يحل لرجل أن يقول: (فلان صاحب سنة) حتى يعلم أنه قد اجتمعت فيه خصال السنة كلها، قال عبد الله بن المبارك: (أصلُ اثنين وسبعين هوى: أربعة أهواء، فمن هذه الأربعة الأهواء تشعبت الاثنان وسبعون هوى: القدرية(٣) والمرجئة(٤) والشيعة والخوارج(٥).

فمن قدم أبا بكر وعمر وعثمان وعليا على أصحاب رسول الله ولم يتكلم في الباقين إلا بخير؛ ودعا لهم؛ فقد خرج من التشيع أوله وآخره .. ومن قال: الإيمان قول وعمل يزيد وينقص، فقد خرج من الإرجاء أوله وآخره .. ومن قال: الصلاة خلف كل بَرٍّ وفاجر والجهاد مع كل خليفة؛ ولم ير الخروج على السلطان بالسيف ودعا لهم بالصلاح، فقد خرج من قول الخوارج أوله وآخره .. ومن قال: المقادير كلها من الله تعالى؛ خيرُها وشرُّها؛ يُضل من يشاء ويهدي من يشاء، فقد خرج من قول القدرية أوله وآخره وهو صاحب سنة) .

= وبدعة كُفرية ظهرت، هي: كفر بالله العظيم ومن قال بها فهو كافر بالله لا شك فيه" .. يقول البربهاري في تأكيد ذلك مع ضرب الأمثلة له:

"من يؤمن بالرجعة ويقول: (علي بن أبي طالب حي وسيرجع قبل يوم القيامة، ومحمد بن علي وجعفر بن محمد وموسى بن جعفر) ويتكلمون في الإمامة؛ وأنهم يعلمون الغيب، فاحذرهم فإنهم كفار بالله العظيم .. قال طُعمة بن عمرو وسفيان بن عيينة: (من وقف عند عثمان وعلي؛ فهو شيعي لا يُعَدَّل ولا يُكَلَّم ولا يُجالس، ومن قدَّم عليًّا على عثمان فهو رافضي؛ قد رفض آثار أصحاب رسول الله، ومن قدَّم الأربعة على جميعهم وترحَّم على الباقين وكفَّ عن زللهم، فهو على طريق الاستقامة والهدى في هذا الباب) .

---

(١) كما يحدث في زماننا وهم في الحقيقة أبعد ما يكونون عن آثاره بأبي هو وأمي.. فما أكثر من يدعي أنه على سنة رسول الله وبينه وبينها بعد المشرقين!، وإنما يقول ما يقول على سبيل الاستدراج والمخادعة والكذب والتدليس

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ١٧٨، ١٨١، ١٨٥، ١٩٢، ١٩٦) وابن ماجة (٨٥) وأصل الحديث في مسلم (٢٦٦٦) .

(٣) لقبوا بذلك لإسنادهم أفعال العباد إلى قدرتهم وإنكارهم القدر فيها، وهذا يقتضي إثبات خالقٍ لأفعال العباد؛ غير الله .

(٤) المرجئة : وهم أصناف، أشدهم خطرًا من يقول: (لا يضر مع الإيمان معصية؛ كما لا ينفع مع الكفر طاعة)، وهم المقصودون هنا

(٥) الخوارج: هم الذين نزعوا أيديهم عن طاعة ذي السلطان من أئمة المسلمين، وأصلهم: الخارجون على علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

= والسنة – وهي كما قلنا: كلمة تطلق على صحيح المعتقد –: أن تشهد للعشرة الذين شهد لهم صلى الله عليه وسلم بالجنة، أنهم من أهلها لا شك فيه .. ولا تفرِدْ بالصلاة على أحدٍ إلا رسولَ الله وعلى آله(١) فقط .. وأن تعلم أن عثمان قتل مظلومًا ومن قتله كان ظالمًا، فمن شكَّ في أيٍّ مما سبق أو وقف فهو صاحب هوى؛ ومن جحد أو شك في حرف من القرآن أو في شيء جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لقي الله مكذبًا، فاتق الله واحذر وتعاهد إيمانك .

= ومن السنة: أن لا تطيع أحدًا في معصية الله؛ ولا الوالدين والخلق جميعًا، فإنه لا طاعة لبشر في معصية الله، ولا يُحَبُّ عليه أحدًا واكْرَهْ ذلك كله لله.. ومنها: الإيمان بأن التوبة فرضٌ، وأن على العباد أن يتوبوا إلى الله تعالى من كبير المعاصي وصغيرها .

= وأن من لم يشهد لمن شهد له رسول الله بالجنة؛ فهو صاحب بدعة وضلالة؛ قال مالك بن أنس: (من لزم السنة وسَلِم منه أصحاب رسول الله ثم مات، كان مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وإن قصَّر في العمل)، وقال بشر بن الحارث: (السنة هي: الإسلام، والإسلام هو: السنة)، وقال الفضيل بن عياض: (إذا رأيتُ رجلًا من أهل السنة، فكأنما رأيتُ رجلًا من أصحاب رسول الله، وإذا رأيت رجلًا من أهل البدع فكأنما رأيت رجلا من المنافقين)، وقال يونس بن عبيد: (العَجَبُ: ممن يدعو اليوم إلى السنة، وأعجب منه: المجيب إلى السنة) – كون هذا واقع في زمن الغربة الذي قال عنه عليه السلام: (طوبى للغرباء) – وكان ابن عون يقول عند الموت: (السنةَ السنة، وإياكم والبدع) حتى مات .

= وقال أحمد بن حنبل: (مات رجلٌ من أصحابي فرُئِيَ في المنام يقول: قولوا لأبي عبد الله: عليك بالسنة، فإن أول ما سألني ربي تعالى عن السنة) يعني: عن إحيائها – وقال أبو العالية: (من مات على السنة مستورًا، فهو صِدِّيق، والاعتصام بالسنة نجاة)، وقال سفيان الثوري: (من أصغى بأُذنه إلى صاحب بدعة؛ فقد خرج من عصمة الله وَوُكِل إليها) يعني: إلى البدع .. وقال داود بن أبي هند: (أوحى الله إلى موسى: لا تجالس أهل البدع، فإن جالستهم فحَاكَ في صدرك شيء مما يقولون، أكْبَبْتُكَ في نار جهنم).

وقال الفضيل بن عياض: (من جالس صاحب بدعة لم يُعط الحكمة)، وقال: (لا تجلس مع صاحب بدعة؛ فإني أخاف أن تنزل عليك اللعنة)، وقال: (من أحب صاحب بدعة؛ أحبط الله عمله وأخرَجَ نور الإسلام من قلبه)، وقال: (من جلس مع أصحاب بدعة في طريق؛ فجُزْ في طريق غيره)، وقال: (مَنْ عَظّم صاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام، ومن تبسم في وجه مبتدع فقد استخف بما أنزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم، ومن زوج كريمته من مبتدع فقد قطع رحمها، ومن تبع جنازة مبتدع لم يزل في سخط الله حتى يرجع).

وقال: (آكل مع يهودي ونصراني ولا آكل مع مبتدع، وأحب أن يكون بيني وبين صاحب بدعة حصن من حديد)، وقال: (إذا علم الله من الرجل أنه مبغِضٌ لصاحب بدعة غُفر له وإن قل عمله، ولا يكن صاحب سنة يمالئ صاحب بدعة إلا نفاقًا، ومن أعرض بوجهه عن صاحب بدعة ملأ الله قلبه إيمانًا، ومن انتهر صاحب بدعة أمَّنَه الله يوم الفزع الأكبر، ومن أهان صاحب بدعة رفعه الله في الجنة مائة درجة، فلا تكن صاحب بدعة في الله أبدًا)" إ.هـ

&&&&&&&&&

(١) تبعًا دون إفراد، فلا يُقال: (عليٌّ عليه السلام) ولا (كرَّم الله وجهه) وإن كان معناهما صحيح، وإنما يساوى بينه وبين أبي بكر وباقي الصحابة، فيقال: (رضي الله عنه).

الخاتمة

وبعد: فهذه لا أقول معتقدات بل معتقد أئمة المذاهب الأربعة وشيوخهم ومن تلقوا عنهم مباشرة أو تمذهبوا فيما بعد بمذاهبهم، ممن دانوا الله بمعتقد أهل السنة وسلف الأمة وتلقوه عن الصحابة الذين تلقوه بدورهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، والذي يجب على المسلم الحق أن يعضَّ عليه بالنواجذ إذ تلك هي (السنة)، لاسيما وقد عبر عنها أحمد إمام أهل السنة بقوله مرة: "من السنة التي من ترك منها خَصلة لم يَقبلْها ويؤمن بها؛ لم يكن من أهلها"، وأخرى بقوله: "أجمع تسعون رجلًا من التابعين وأئمة المسلمين وأئمة السلف وفقهاء الأمصار على أن السنة التي توفي عليها رسول الله .. وذكرها" .

وثالثة بقوله: "صفة المؤمن من أهل السنة والجماعة" وذكرها .. ورابعة بقوله: "هذه مذاهب أهل العلم وأصحاب الأثر وأهل السنة المتمسكين بعروقها المعروفين بها المقتدى بهم فيها، من لدن أصحاب النبي إلى يومنا(١)، وأدركتُ من أدركتُ من علماء اهل الحجاز والشام وغيرهم عليها، فمن خالف شيئًا من هذه المذاهب او طعن فيها أو عاب قائلها، فو مبتدع خارج من الجماعة زائل عن منهج السنة وسبيل الحق"،

وقال عنها البخاري إما م أهل الحديث: "لقيت أكثر من ألف من أهل العلم – أهل الحجاز ومكة والمدينة والكوفة والبصرة وواسط وبغداد والشام ومصر – لقيتهم كرات، قرنًا بعد قرنٍ، ثم قرنًا بعد قرن، أدركتهم وهم متوافرون – وسمى بعضهم – فم رأيت واحدًا منهم يختلف" وطفق يذكرها.. على أن هؤلاء الأئمة والشيوخ والتلامذة الذين لا يملك أحدنا حيالهم إلا أن يردد حيالهم قول الفرزدق:

أولئك آبائي فجئني بمثلهم * إذا جمعتنا يا جرير المجامع

هم الحجة على من سواهم على ما صرح به القاضي العلامة ابن أبي العز إبّان شرحه للطحاوية ص٢٣٢، وكان قد ذكر كلام أبي حنيفة بشأن علو الله تعالى على خلقه واستوائه على عرشه، وعلّق ص٢٣٢ يقول –: "ولا يُلتفت إلى من أنكر ذلك ممن يَنتسب إلى مذهب أبي حنيفة، فقد انتسب إليه طوائف معتزلة وغيرهم مخالفون له في كثير من اعتقاداته، وقد ينتسب إلى مالك والشافعي وأحمد مَن يخالفهم في بعض اعتقاداهم".

وإنما عنى بذلك كل من لم يأخذوا بمعتقدات أئمتهم في الفقه، وينسحب ذلك بالضرورة ضمن ما ينسحب؛ على متأخري الأشعرية، وبخاصة من ألَّفوا منهم في أمور الاعتقاد ومن ذِيع صيتهم – من نحو عبد القادر البغدادي واللقاني والبيجوري وغيرهم ممن ألفوا في أصول الدين – حتى صاروا فتنة للعامة والخاصة من طلاب العلم وغيرهم على مستوى المعمورة.

& إذ أين يقع هؤلاء من أبي حنيفة النعمان الإمام الأعظم؛ ومالك بن أنس إمام دار الهجر؛ والشافعي سليل بيت النبوة؛ وأحمد إمام أهل السنة، فضلًا عن أن يُساوي بينهم في تقرير عقيدة المسلمين؟!، أو أن نقدِّمهم في أخذ ديننا على مدار القرون المتطاولة على جهابذة أهل السنة؟! .. أين هم ممن كانوا **شيوخًا لأبي حنيفة** الذين ذكرنا منهم:

= [١]**عطاء بن رباح** شيخ الإسلام ومفتي الحرم في زمانه ت ١١٤، ترجم له الذهبي في سير أعلام النبلاء ٥/ ٧٨ .. [٢] **وعلقمة بن مرثد الحضرمي** الفقيه الحجة ت١٢٠ ترجم الذهبي في السير ٥/ ٢٠٦.. [٣] **وحماد بن سليمان** ت١٢٠ .. بل أين هم من تلامذة أبي حنيفة وقد ذكرنا منهم:

= [٤] القاضي الشيخ الفقيه **أبا مطيع البلخي** صاحب (الفقه الأكبر) ت١٩٧ .. [٥] وعالم الري **هشام بن عبيد الله** الرازي ت٢٢١ .. [٦] وابن أبي مريم **نوح الجامع** ت ١٧٣ .. [٧] والقاضي **أبا يوسف**

(١) ومعلوم ان الإمام أحمد كان آخر فقهاء المذاهب الأربعة وفاةً، ما يعني: أنه يحكي أيضا ما كان الثلاثة الباقية عليه كونهم جميعًا وبلا نزاع من أئمة أهل السنة والجماعة، وكان أبو الحسن الأشعري قد ذكر هو الآخر في مقدمة كتابه (الإبانة) أنه "الإمام الفاضل والرئيس الكامل، الذي أبان الله به الحق، ودفع به الضلال، وأوضح به المنهاج، وقمع به بدع المبتدعين وزيغ الزائغين وشك الشاكين".

ت١٨٢ .. [٨] **ومحمد بن الحسن** فقيه العراق ت١٨٩ .. **[٩] وأبا جعفر الوراق الطحاوي؛ عالم الديار المصرية في زمانه وصاحب العقيدة الطحاوية المشهورة وقد ذكرناها بنصها والمتوفى سنة ٣٢١ .**

& أين أولئك ممن كانوا **شيوخًا لمالك إمام دار الهجرة** وقد ذكرنا منهم:
= [١٠] التابعي **ربيعة بن عبد الرحمن** المعروف بربيعة الرأي ت ١٣٦ .. [١١] **ونافع مولى ابن عمر** أحد أئمة التابعين بالمدينة ت ١١٧ .. [١٢] **وأيوب السختياني** سيد الفقهاء وسيد شباب أهل البصرة ت١٣١ .. [١٣] والإمام الورع **زيد بن أسلم** ت ١٣٦ .. [١٤] والإمام **الأوزاعي** عالم أهل الشام في زمانه ت١٥٧ .. [١٥] ومن لا نظير له في زمانه **سفيان الثوري** ت١٦١ .. [١٦] وعالم مصر في زمانه **الليث بن سعد** أحد شيوخ وأقران مالك والمتوفى سنة ١٧٥ .. بل أين هم ممن تلقوا عن مالك؛ أو ممن صانوا العهد وتمذهبوا بمذهبه العقدي من بعد وفاته وقد ذكرنا منهم:
= **[١٧] الإمام ابن أبي زيد القيرواني الذي كان يلقب بـ(مالك الصغير) والمتوفى سنة ٣٨٦ وقد بدأنا به وأتينا على نص معتقده الذي أورده في مقدمة رسالته المشهورة والذي أجمل فيه معتقد شيخه مالك** .. [١٨] والإمام **أبا بكر محمد بن مَوْهَب** ت ٤٠٦ الذي عكف على (مقدمة رسالة ابن أبي زيد) وتناولها بالشرح والتحليل .. [١٩] وإمام الدنيا **عبد الله بن المبارك** ت ١٨١ .. [٢٠] **وعبد الله بن نافع الصائغ** أعلم الناس بمذهب مالك والمتوفى سنة ٢٠٦ .. [٢١] **والقعنبي** شيخ البخاري وأكبر شيوخ مسلم والمتوفى سنة ٢٢١ .. [٢٢] وعالم المشرق **يحيى بن يحيى** النيسابوري ت٢٢٦ .. [٢٣] **وقتيبة بن سعيد** شيخ خراسان ت٢٤٠ .. [٢٤] وشيخ المالكية في عصره العلامة أبو إسحاق **محمد بن القاسم بن شعبان المصري**، حفيد عمار بن ياسر وهو من كبار الأئمة ت٣٥٥.. **[٢٥] والإمام أبا عبد الله محمد بن عيسى المعروف بـ(ابن زمنين) ت٣٩٩ وقد ذكرنا نص معتقده باعتباره نموذجا يحتذى لما ينبغي أن يدرس على طلبة العلم** .. [٢٦] **والقاضي أبو محمد عبد الوهاب** إمام المالكية بالعراق وأحد أعلام المذهب وكبار أهل السنة ت٤٢٢ .. [٢٧] والحافظ الإمام أبا عمر **الطلمنكي** ت٤٢٩ .. [٢٨] والإمام **ابن عبد البر** صاحب التمهيد ت٤٦٣ .. [٢٩] والإمام **القرطبي** صاحب التفسير المشهور ت٦٧١.

&أين هم من **شيوخ الإمام الشافعي** فقيه الأمة، وقد ذكرنا منهم: [٣٠] **الفضيل بن عياض** شيخ الحرم ت١٨٧ .. [٣١] **ووكيع بن الجراح** شيخ مالك المعروف بقوة الحفظ والمتوفى سنة ١٩٧ .. [٣٢] **وسفيان بن عيينة** أحد الأعلام ت١٩٨ .. بل أين هم من تلامذته وقد ذكرنا منهم:
[٣٣] **الحميدي** أبا بكر عبد الله بن الزبير مفتي أهل مكة وعالماها بعد ابن عيينة والمتوفى سنة ٢١٩ .. [٣٤] وأبا عبيدة **القاسم بن سلام** أحد رءوس اللغة وواحد من أئمة الاجتهاد؛ ت ٢٢٤ .. [٣٥] **وأبا ثور** الكلبي ت ٢٤٠ .. [٣٦] والإمام **عبد العزيز بن يحيى الكناني** صاحب الشافعي والمتوفى سنة ٢٤٩ .. **[٣٧] وفقيه الديار المصرية الإمام المُزني أحد كبار أصحاب الشافعي ومن أنبل تلامذته والمتوفى سنة ٢٦٤ ونظرًا لأهميته معتقده فقد نقلناه عنه بلفظه مع قليل من التصرف .. [٣٨] وأبا العباس أحمد بن عمر بن سريج فقه العراق ت٣٠٦ وقد فعلنا بمعتقده نحوًا مما فعلناه مع سابقه ..** [٣٩] .. والعلامة **أبا بكر الإسماعيلي** ت ٣٧١ .. [٤٠] والشافعي الثاني **أحمد بن محمد الاسفرائيني** أحد كبار أهل السنة وشيخ الشافعية ببغداد ت٤٠٦ .. [٤١] وإمام أهل الحديث والفقه والتصوف في عصره الإمام **الصابوني** صاحب (عقيدة السلف وأصحاب الحديث) ت٤٤٩ .. [٤٢] والإمام أبا عمرو **عثمان ابن أبي الحسن السهروردي** ت٤٥٨ .. [٤٣] **والزنجاني** ت ٤٧١ أحد دعاة السنة وصاحب القصيدة المشهورة التي أولها:

تمسك بحب الله واتبع الأثر * ودع عنك رأيا لا يلائمه خبر

[٤٤] والإمام **البغوي** محيى السنة وصاحب (شرح السنة) و(معالم التنزيل) ت٥١٦ .. [٤٥] والحافظ أبا القاسم **الأصبهاني** صاحب (الحجة في بيان المحجة) وإمام الشافعية في وقته ت٥٣٥ .. [٤٦] والقاضي حجة الإسلام أبا أحمد بن الحسين المعروف **بـ(ابن الحداد)** صاحب كتاب (الفروع في المذهب) ت٥٧٠ .

&وأين .. أين هم من **شيوخ إمام اهل السنة أحمد بن حنبل** وقد ذكرنا منهم: [٤٧] الإمام **أبا بكر بن عياش** المتفق على توثيقه ت١٩٤ .. [٤٨] وسيد الحفاظ **يحيى بن سعيد القطان** ت١٩٨ .. [٤٩] والإمام **عبد الرحمن بن مهدي** الذي قال عنه الشافعي: (لا أعرف له نظيرًا في الدنيا) والمتوفى سنة ١٩٨ .. [٥٠] وشيخ الإسلام **يزيد بن هارون** ت ٢٠٦ .. [٥١] وإمام البصرة **وهب بن جرير** ت ٢٠٦.

= بل ومن تلامذته والمتمذهبين بمذهبه .. وقد ذكرنا منهم: [٥٢] الإمام القدوة والعالم الرباني **عبد الوهاب البغدادي الوراق** ت٢٥٠ .. [٥٣] وصاحب الإمام أحمد وابن راهويه وعالم كرمان في زمانه **حرب بن إسماعيل** ت٢٨٨ .. [٥٤] والحافظ المبرز **أبا بكر بن أبي داود** ت ٣١٦؛ وصاحب القصيدة التي مطلعها:

تمسك بحبل الله واتبع الهوى * ولا تك بدعيًا لعلك تفلحُ

[٥٥] والإمام الزاهد أبا عبد الله **ابن بطة العكبري** شيخ حنابلة عصره ت ٣٨٧ .. [٥٦] وشيخ العراق سيد الوعاظ المنتسب **عبد القادر الجيلاني** ت ٥٦٢ .. **[٥٧]** والشيخ الإمام القدوة شيخ الإسلام ومفتي الأمة **ابن قدامة المقدسي** صاحب المغني والمتوفى سنة ٦٢٠، **وقد ذكرنا معتقده في (لمعة الاعتقاد)** باعتباره نموذجًا يحتذى لما ينبغي ان يدرس لأبنائنا ضمن مقررات العقيدة **.. [٥٨]** وشيخ حنابلة بغداد **أبا محمد البربهاري ت٣٢٩ وقد ختمنا به وذكرنا معتقده في (شرح السنة) على طوله نظرًا لأهميته وباعتباره أيضًا نموذجًا يحتذى في الأخذ به وتقريره .**

هذا، وقد تعمدتُ ذكر طَرَفٍ لكلِّ هؤلاء من معتقدهم؛ ونتفٍ من عباراتهم التي تنم عن وحدة وصحة المعتقد، وتدل على صدقِ التوجه في الأخذ عن شيخه في المذهب، وخصَصنا بعضهم بذكر معتقده بالكامل؛ ليكون طالب العلم على بصيرة واستغناءٍ تامٍّ به عمن خالف معتقد إمامه في المذهب ممن ناقضوا أنفسهم وادعوا كذبًا وزورًا شرف الانتساب لأي من فقهاء المذاهب الأربعة وهم منهم براء.

وإن تعجب فعجب ان ترى الأمة في غفلة عن كل هؤلاء وعن معتقد أئمتهم، في حين يقضون حياتهم على مذاهبهم الفقهية دون ما اكتراث لما دبجوه في قضايا ومسائل الاعتقاد.. وأعجب من هذا أن تجد قلوب جماهير الأمة متنافرة وعلاجهم – الذي ينحصر في جمعهم على عقيدة واحدة – بين أيديهم، وقد صدق فيهم قول القائل:

ومن العجائب والعجائبُ جمَّةٌ * قرب الحبيب وما إليه وصولُ
كالعيس في البيداء يقتلها الظما * والماءُ فوق ظهورها محمول

والأعجب من هذا وذاك – وهذا من الظلم البَيِّن – أن نساوي بين من كان على بينة من ربه؛ وبين من أجرم في حق القرآن والسنة بتأويل ما بهما من نصوص أراد العلي القدير أن يعرِّفنا من خلالها بنفسه .. وقد أبى الظالمون إلا أن نعبد معدومًا ليس بـ(داخل العالم ولا خارجه، ولا فوقه ولا تحته، ولا عن يمينه ولا عن شماله)؛ حتى لو قيل لأحدهم صف لنا معدومًا لما زاد على ذلك؛ وحتى صدق فيهم قول القائل: (إن المعطِّل يعبد عدمًا والمُمَثِّل يعبدُ صنمًا) .

في حين "أجمع علماء الصحابة والتابعين الذين حُمل عنهم التأويل(١)، وقالوا في تأويل قوله تعالى: {مَا يكُون مِنْ نَجْوى ثلاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعهُمْ} [المجادلة: ٧]: هو على العرش، وعلمه في كل مكان، وما خالفهم في ذلك أحد يحتج بقوله" كذا ذكره ابن عبد البر في التمهيد ٤/ ٥٣ .. وقال بنفس المصدر ٤/ ٥٦:

---

(١) من المعلوم بالضرورة أن للتأويل ثلاثة معان: أولها: أن يأتي بمعنى: التفسير، فهو الكلام الذي يفسَّر به اللفظ حتى يُفهم معناه، وهذا هو الغالب على اصطلاح المفسرين كالطبري وأمثاله من المفسرين .. والثاني: بمعنى: الحقيقة التي يؤول إليها الكلام، فتأويل ما أخبر الله به عن ذاته وصفاته؛ هو حقيقة ذاته المقدسة وما لها من حقائق الصفات، وتأويل ما أخبر الله به عن اليوم الآخر هو نفس ما يكون في اليوم الآخر .

والثالث: وهو التأويل المتنازَع فيه، وهو: صرف اللفظ عن ظاهره المتبادر إلى معنى مرجوح لدليل يقترن به، وهو الذي عناه أكثر المتأخرين في تأويل نصوص الصفات، وإنما لجئوا إليه مبالغة منهم في تنزيه الله تعالى عن مماثلة المخلوقين في زعمهم.

وهذا زعم باطل أوقعهم في مثل ما هربوا منه أو أشد، فهم حين يؤولون (اليد) بـ(القدرة) مثلًا، إنما قصدوا الفرار من أن يثبتوا للخالق يدًا، لأن للمخلوقين يدًا، فاشتبه عليهم لفظ اليد فأولوها بالقدرة، وذلك تناقض منهم، لأنهم يلزمهم في المعنى الذي أثبتوه نظير ما زعموا أنه يلزم في المعنى الذي نفوه، لأن العباد لهم قدرة أيضًا، فإن كان ما أثبتوه من القدرة حقًا ممكنًا؛ كان إثبات اليد لله حقًا ممكنًا أيضًا، وإن كان إثبات اليد

"أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة في الكتاب والسنة، والإيمان بها وحملِها على الحقيقة لا على المجاز، إلا أنهم لا يكيِّفون شيئًا من ذلك .. وأما أهل البدع والجهمية والمعتزلة والخوارج فكلهم ينكرها، ولا يحمل منها شيئًا على الحقيقة، ويزعمون أن من أقر بها مُشَبِّه، وهم عند من أثبتها نافون للمعبود، والحق فيما قاله القائلون بما نطق به كتاب الله وسنة رسوله، وهم أئمة الجماعة .. والذي عليه أهل السنة وأئمة الفقه والأثر: الإيمان بما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم والتصديق بذلك؛ وترك التحديد والكيفية في شيء منها".

وعليه علق الذهبي بقوله: "صدق والله، إن من تأول سائر الصفات، وحمل ما ورد منها على مجاز الكلام، أداه ذلك السلب إلى تعطيل الرب، وأن يشابه المعدوم، كما نقل عن حماد بن زياد أنه قال: "مثل الجهمية كقوم قالوا: (في دارنا نخلة)، قيل: فلها سعف؟ قالوا: (لا)، قيل لهم: فلها كرب – أي: أصول السعف –؟ قالوا: (لا)، قيل: لها رطب وقِنو – أي: عِذق –؟؛ قالوا: (لا)، قيل: فلها ساق؟ قالوا: (لا)، قيل: فما في داركم نخلة" .. وقد علق الألباني بدوره بقوله:

"كذلك هؤلاء النفاة قالوا: إلهنا الله تعالى، وهو: لا في زمان ولا في مكان، ولا يرى، ولا يُسمع، ولا يُبصر، ولا يَتكلم، ولا يَرضى، ولا يَغضب، ولا يريد، ولا، ولا ... وقالوا: سبحان المنزه عن الصفات! بل نقول: (سبحان الله العلي العظيم السميع البصير، المريد، الذي كلم موسى تكليمًا، واتخذ إبراهيم خليلًا، ويُرى في الآخرة، المتصف بما وصف به نفسه، ووصفه به رسله، المنزه عن سمات المخلوقين، وعن جحد الجاحدين، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير)".

وابتناءً على ما سبق فلا عذر يقبل عند الله لأحد لم يأخذ بما أجمع عليه أبو حنيفة ومالك والشافعي وأحمد، وقد عرضنا لهم ولمشايخهم ولمن تمذهبوا بمذاهبهم بما لا عذر فيه لمعتذر، إذ كانوا جميعًا على قلب رجل واحد على الرغم من احتدام الخلاف فيما بينهم أحيانًا في مسائل الفقه؛ لما ذكرنا في مقدمة هذا الكتاب.

الأمر الذي يستوجب كيما نعود أمةً ذات كيان يهابنا العدو أن تأتلف قلوبنا على ما اجتمع عليه أهل السنة وسلف الأمة وأن ندين الله بما دانوا به.. وباعتقادي أن هذا الكتاب الذي جعلته حجة بيني وبين الله على كل من خالف، وإنه وحده لَكَافٍ لو تأمله علماء ومفتوا دول عالمينا الإسلامي والعربي، وإلا فأنا خصيمهم يوم تشخص فيه الأبصار؛ ليجزي الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم.

والحمد لله وحده "الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل، بقايا من أهل العلم يَدْعون من ضل إلى الهدى، وينهونه عن الردى، ويصبرون منهم على الأذى، يُحْيون بكتاب الله الموتى، وبسنة رسوله صلى الله عليه وسلم أهل الجهالة والرَّدى، ويُبَصِّرون بنور الله أهل الضلالة والعمى، فكم من قتيل لإبليس قد أحْيَوه، وكم من ضالٍ تائه قد هَدَوه، فما أحسن أثرهم على الناس وأقبح أثر الناس عليهم، يَنفون عن كتاب الله تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين الذين عقدوا ألوية البدع، وأطلقوا عقال الفتنة فهم مختلفون في الكتاب مخالفون له، مجمعون على مفارقته، يقولون على الله وفي الله وفي كتاب الله بغير علم، يتكلمون بالمتشابه من الكلام، ويخدعون جهال الناس بما يشبِّهون عليهم.

وما دفعهم لكل هذا، ولهجران مذهب شيخهم – أبي الحسن الأشعري – الذي يدَّعون شرف الانتساب إليه، بل ولهجران معتقد فقهائهم – أبي حنيفة ومالك والشافعي وابن حنبل – التي يدَّعون أيضًا شرف الانتساب إليهم، إلا التعصب ضد كل ما هم عليه من صحيح الدين والاعتقاد .. على الرغم من كثرة ما نصحوا به من ضرورة ألا يُلتفت إلى من أنكر ذلك ممن يَنتسب إلى مذاهبهم، فقد انتسب إليهم طوائف المعتزلة وغيرهم وهم مخالفون لهم في كثير من اعتقاداتهم .. فنعوذ بالله من فتن الضالين المضلين .

باطلًا ممتنعًا لما يلزمه من التشبيه في زعمهم؛ كان إثبات القدرة باطلًا ممتنعًا كذلك، فلا يجوز أن يقال: إن هذا اللفظ مُؤوَّل بمعنى أنه مصروف عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح .. وما جاء عن أئمة السلف وغيرهم من ذمٍّ للمتأولين إنما هو لمثل هؤلاء الذين تأوَّلوا ما يشتبه عليهم معناه على غير تأويله وإن كان لا يشتبه على غيرهم.

هذا؛ وقد تم بفضل الله الفراغ من تصنيف هذا السفر في ثالث أيام عيد الفطر المبارك من العام ١٤٤٥ الموافق للثاني عشر من شهر إبريل من العام ٢٠٢٤ .. والله نسأل أن يتقبله ويجعله في ميزان حسنات مُعدِّه .. وأن يجمعنا بأئمة أهل السنة وسلف الأمة – شموس الهدى ومنارات الطريق – في مستقر رحمته وأن يلحقنا بهم في أعلى عليين في جنات النعيم، كما جمعنا بهم في الدنيا بأن جعلنا على آثارهم مقتدين اللهم آمين .. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

&&&&&&&&

ثبت بأهم المراجع والمصادر

١- الإبانة عن أصول الديانة لأبي الحسن الأشعري بتحقيقنا وتقديم الشيخ عادل السيد. دار زهران ط١/ ١٤٤٢-٢٠٢١

٢- الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة، المعروفة بالإبانة الكبرى، لابن بطة العكبري ت الحسن بن قطب م/ الفاروق الحديثة ط١/ ١٩٤٩- ٢٠٠٨

٣- الأسماء والصفات للبيهقي ت. فؤاد سراج عبد الغفار المكتبة التوفيقية بالقاهرة. بدون.

٤- الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى وصفاته العلي للقرطبي ت مصطفى العدوي والشحات الطحان م. فياض ط١/ ١٤٢٧.

٥- إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين لمحمد الحسيني الزبيدي ط. دار الفكر

٦- اجتماع الجيوش الإسلامية لابن قيم الجوزية. دار الفكر بالقاهرة ط١/ ١٤٠١

٧- آداب الشافعي ومناقبه لابن أبي حاتم الرازي ت.الشيخ عبد الغني عبد الخالق ط.دار الكتب العلمية بيروت ١٣٧٠

٨- أصول السنة للإمام أحمد بن حنبل رواية عبدوس بن مالك العطار ت. العباسي والوليد بن نبيه ط١/ ١٤١٦، مكتبة ابن تيمية بالقاهرة.

٩- أصول السنة للإمام أبي بكر عبد الله بن الزبير الحميدي ت. أبي مالك بن عبد الوهاب ط١. لسنة ١٤٢٥ المكتب الإسلامي لإحياء التراث بالقاهرة.

١٠- أصول السنة لأبي عبد الله الشهير بابن أبي زمنين ط ١/ ١٤٢٨- ٢٠٠٧دار الفرقان.

١١-اعتقاد الأئمة الأربعة: أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد .. د.محمد بن عبد الرحمن الخميس

١٢- اعتقاد الإمام المُنَبّل أبي عبد الله أحمد بن حنبل لأبي الفضل عبد الواحد التميمي ت ٤١٠ ت أبي إسحاق الشرقاوي ط١/ ٢٠٠٧ مكتبة أولاد الشيخ للتراث

١٣- الانتقاء في فضائل الأئمة الثلاثة الفقهاء مالك والشافعي وأبي حنيفة، وعيون أخبارهم الشاهدة بإمامتهم وفضلهم وآدابهم وعلمهم .. للإمام الحافظ أبي عمر يوسف بن عبد البر الأندلسي ت. الشيخ عبد الفتاح أبو غدة مكتبة المطبوعات الإسلامية دار البشائر الإسلامية ط٢/ ١٤٣١- ٢٠١٠
١٤- البداية والنهاية للحافظ ابن كثير ت. د. أحمد أبو ملحم وآخرون . دار الكتب العلمية بيروت ط١/ ١٤٠٥ – ١٩٨٥ .
١٥- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك) للقاضي عياض بن موسى السبتي ت.د. علي عمر الناشر شركة القدس للنشر والتوزيع ط ١٤٣٠- ٢٠٠٩.
١٦- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر ت. شهاب الدين أبو عمر ط١/ ٢٠٠٢ دار الفكر بيروت .. وأخرى بتحقيق عبد الله بن الصديق ط.مؤسسة قرطبة ١٣٩٩- ١٩٧٩ .
١٧- تهذيب التهذيب للحافظ ابن حجر العسقلاني دار إحياء التراث العربي ط٢/ ١٤٣١- ١٩٩٣
١٨- التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل لابن خزيمة ت د/ عبد العزيز الشهوان دار الرشد للنشر بالرياض ط١، ١٤٠٨.
١٩- جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر أبي عمر يوسف النمري القرطبي المكتبة التوفيقية ت. ياسر سليمان أبو شادي بدون.
٢٠- الجامع الفريد في متون العقيدة والتوحيد إعداد إسلام محمد هيبة مكتبة أولاد الشيخ للتراث ٢٠١٤
٢١- جمهرة عقائد أئمة السلف لمحمد محب الدين أبو زيد ط١/ ١٤٣٦، ٢٠١٥ دار الشهداء مكتبة التوعية الإسلامية
٢٢- حاشية رد المختار لابن عابدين على الدر المختار شرح تنوير الأبصار ط٣/ ١٤٠٤- ١٩٨٤ دار مصطفى الحلبي.
٢٣- الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة للأصبهاني ت محمد بن محمود أبو رحيم دار الراية بالرياض ط٢/ ١٤١٩، ١٩٩٩.
٢٤- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني .مطبعة السعادة بمصر ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م
٢٥- خلق أفعال العباد والرد على الجهمية وأصحاب التعطيل للبخاري ت. سالم بن عبد الهادي ومحمد الإبياني ط مكتبة التراث الإسلامي
٢٦- ذم التأويل لموفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة ت.محمد بن حامد ط.دار البصيرة ٢٠٠٢
٢٧- ذم الكلام وأهله لأبي إسماعيل الأنصاري ت عبد الرحمن شبل دار العلوم ط١/ ١٩٩٤.
٢٨- الرد على الجهمية والزنادقة لأحمد بن حنبل ت صبري شاهين دار الثبات ١/ ١٤٢٤، ٢٠٠٣
٢٩- رسالة إلى أهل زبيد في لرد على من أنكر الحرف والصوت للسجزي ت محمد باكريم باعبد الله ط٢/ ١٤٢٣ الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
٣٠- السنة لأبي بكر أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد الخلال ت د/ عطية ابن عتيق الوهراني، دار الراية الرياض ط٢، ١٤١٤.
٣١- السنة للإمام عبد الله بن أحمد بن حنبل عن أبيه الشيباني بتحقيق دار البصيرة بالإسكندرية ج. م. ع. طبعة١.
٣٢- سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي ت. محمود شعيب الأرنئوط ومحمد نعيم مؤسسة الرسالة بيروت. ط١١/ ١٤٢٢، ٢٠٠١ .
٣٣- شذرات الذهب في إخبار من ذهب لابن العماد دار الفكر للطباعة والنشر بدون
٣٤- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي ت نشأت المصري دار البصيرة ط١/ ٢٠٠٢.
٣٥- شرح السنة لأبي محمد الحسن بن علي البربهاري ت.نشأت المصري ط١. ١٤٢٦ مكتبة العلوم والحكم بالقاهرة.
٣٦- شرح السنة للبربهاري ويليه أصول السنة لأبي بكر الحميدي ت. لجنة البحث العلمي بالمكتبة الإسلامية ط١/ ١٤٢٦، ٢٠٠٦

٣٧- شرح السنة للبغوي ت علي محمد عوض وعادل أحمد عبد الموجود دار الكتب العلمية بيروت ط١/ ١٤١٢، ١٩٩٢
٣٨- شرح الفقه الأكبر للملا علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الهروي القاري ت. علي محمد دندل.. ط١/ ١٤١٦- ١٩٩٥ دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان
٣٩- شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ت. الألباني وابن باز وشاكر والفوزان. دار الهيثم بالقاهرة ط١/ ١٤٢٦، ٢٠٠٥.
٤٠- الشريعة لأبي بكر محمد بن الحسين الآجري ط. دار البصيرة بالإسكندرية
٤١- صفة العلو لله الواحد القهار لموفق الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي، دار الصحابة للتراث بطنطا. ط١ لسنة ١٤١٣، ١٩٩٣.
٤٢- العقيدة للإمام أحمد بن حنبل ت محمد بن عيد الشعباني مكتبة السنة طبعة١/ ١٤٣٣- ٢٠١٢
٤٣- عقيدة السلف وأصحاب الحديث لشيخ الإسلام أبي عثمان إسماعيل الصابوني ت أبو اليمين المنصوري دار المنهاج ط١/ ١٤٢٣، ٢٠٠٣.
٤٤- عقيدة الشافعي برواية البرزنجي الحسيني ت د.محمد بن عبد الرحمن الخميس ط٢/ ١٤٢٦، ٢٠٠٥ مكتبة المعارف للنشر
٤٥- العقيدة للإمام أحمد بن حنبل من رواية مُسَدَّد والأندرابي والربعي وصالح والإصطخري ت محمد الشعباني ط١/ ١٤٣٣، ٢٠١٢ مكتبة السنة
٤٦- العلو للعلي الغفار في صحيح الأخبار وسقيمها للإمام شمس الدين الذهبي ت عبد الرحمن محمد عثمان المكتبة السلفية بالمدينة المنورة ط٢/ ١٣٨٨.
٤٧- الغنية لطالبي طريق الحق للشيخ عبد القادر الجيلاني الحسني ت عبد الكريم العجم ط٢/ ١٤٢٤ دار صادر بيروت.
٤٨- الفقه الأكبر في التوحيد المنسوب لأبي حنيفة من رواية أبي مطيع الحكم بن عبد الله البلخي ط٢ المطبعة العامرية الشرفية القاهرة ١٣٢٤ .. كما قامت بطباعته للمرة الثالثة مكتبة محمد علي صبيح وأولاده بميدان الأزهر
٤٩- الفقه الأبسط من رواية أبي مطيع مطبوع مع (الشرح الميسر على الفقهين الأبسط والأكبر المنسوبين لأبي حنيفة) تأليف محمد بن عبد الرحمن الخميس الناشر: مكتبة الفرقان – الإمارات الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م
٥٠- قطف الجنى الداني .. شرح مقدمة رسالة ابن أبي زيد القيرواني د.عبد المحسن بن حمد العبَّاد دار الضياء ط١/ ١٤٢٨.
٥١- لسان الميزان لابن حجر العسقلاني منشورات مؤسسة الأعلمى للمطبوعات بيروت ط٣/ ١٤٠٦، ١٩٨٦
٥٢- لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد، بشرح الشيخ ابن عثيمين ت/ هاني الحاج ط١، ١٤٢٣ مكتبة العلم.
٥٣- مجموع الفتاوى لابن تيمية .. جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم رحمه الله وساعده: ابنه محمد .. مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف - المدينة المنورة – السعودية عام النشر: ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م
٥٤- مختصر العلو للعلي العظيم) للشيخ الألباني ت زهير الشاويش ط المكتب الإسلامي
٥٥- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للملا علي بن سلطان محمد، أبو الحسن نور الدين القاري .. دار الفكر، بيروت ط١/ ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م
٥٦- مناقب الإمام الأعظم أبي حنيفة .. لمحمد بن محمد بن شهاب الكردري المعروف بابن البزاز ط١/ ١٣٣١ دار المعارف النظامية في حيدر آباد بالهند .
٥٧- مناقب الإمام الأعظم أبي حنيفة لأبي المؤيد الإمام الموفق بن أحمد بن محمد بن سعيد المكي .. وهو مطبوع بالشطر الآخر من الكتاب السالف الذكر .
٥٨- مناقب الإمام أحمد لأبي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي ط١/ ١٣٩٣- ١٩٧٣ دار الآفاق الجديدة - بيروت
٥٩- مناقب الإمام الشافعي لعماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير ت. خليل إبراهيم ملا خاطر، مكتبة الإمام الشافعي بالرياض ط١/ ١٤١٢- ١٩٩٢.

٦٠- مناقب الشافعي للبيهقي ت. السيد أحمد صقر مكتبة دار التراث ط١/ ١٣٩٠- ١٩٧٠.
٦١- منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ت. محمد رشاد سالم.. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.. ط ١/ ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م
٦٢-ميزان الاعتدال في نقد الرجال للذهبي ت علي محمد البجاوي دار المعرفة بيروت ط١/ ١٣٨٢، ١٩٦٣

&&&&&&

فهرس الموضوعات

المقدمة
الفصل الأول
إطلالة على معتقد الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان ت ١٥٠هـ.. وجولة حول معتقد من تلقى عنهم وتلقوا عنه
المبحث الأول: نبذة مختصرة عن أبي حنيفة وعن معتقده في توحيد الصفات
المبحث الثاني: معتقد أبي حنيفة في توحيد الألوهية وبقية قضايا الاعتقاد
وفي النهاية لأبي حنيفة ما له وعليه ما عليه
المبحث الثالث: جولة مع معتقد أبرز من تلقى عنهم أبو حنيفة عنهم وتلقوا منه
أولًا: معتقد أبرز من تلقى عنهم أبي حنيفة
ثانيًا: جولة حول معتقد تلامذة أبي حنيفة والمتمذهبين بمذهبه
نص معتقد الإمام الطحاوي نموذجًا

الفصل الثاني
إطلالة على مذهب إمام دار الهجرة مالك بن انس في قضايا الاعتقاد .. بالمخالفة لما عليه مدعو الانتساب إليه .. وجولة حول معتقد من تلقى عنهم وتلقوا عنه
المبحث الأول: نبذة مختصرة عن إمام دار الهجرة ت١٧٩هـ وعن معتقده في توحيد الصفات
أولًا: نبذة مختصرة عن الإمام مالك ونسبه ومكانته
ثانيًا: معتقده في توحيد الله في صفاته وأفعاله
المبحث الثاني: معتقد الإمام مالك في: (النهي عن الخصومات في الدين .. وسائر أمور الاعتقاد)
المبحث الثالث: جولة حول مقولات أبرز مشايخ مالك وتلامذته في أمور الاعتقاد
نص معتقد ابن أبي زيد القيرواني شيخ المالكية والملقب بـ(مالك الصغير) .. نموذجًا

الفصل الثالث
معتقد (الإمام الشافعي) في توحيد الصفات وقضايا الاعتقاد .. وجولة حول معتقد من تلقى عنهم وتلقوا عنه
المبحث الأول: معتقد (الإمام الشافعي) في توحيد الله في صفاته وأفعاله

المبحث الثاني: قوله فيمن ردَّ صفات الله تعالى .. وفي سائر قضايا الاعتقاد
المبحث الثالث: جولة حول معتقد من تلقى الشافعي منهم ومن تلقوا عنه
أولًا: من تقلى الشافعي عنهم معتقده
ثانيًا: تلامذته وأبرز من تمذهبوا بمذهبه
نص معتقد (المزني) فقيه الديار المصرية، و(ابن سريج) فقيه العراق .. نموذجًا

الفصل الرابع
مجمل معتقد (الإمام أحمد بن حنبل) ت٢٤١ .. وجولة حول معتقد من تلقى عنهم وتلقوا عنه
المبحث الأول: التعريف بالإمام أحمد وبمعتقده في توحيد الصفات
أولًا: نبذة مختصرة عن حياته والتعريف به
ثانيًا: معتقده في توحيد الصفات
المبحث الثاني نهيه عن علم الكلام والخصومات في الدين .. ومعتقده في سائر أمور الاعتقاد
المبحث الثالث
جولة حول أبرز من تلقى عنهم الإمام أحمد أمور الاعتقاد ومن أخذوا العلم عنه
أولًا: أبرز من تلقى عنهم الإمام أحمد معتقده
ثانيًا: أبرز تلامذته ومن أخذوا عنه مذهبه العقدي– على ما هو المفترض – قبل الفقهي
خاتمة
ثبت المراجع والمصادر
فهرس الموضوعات

هذا الكتاب

يَصلح أن يكون منهج حياةٍ للمسلمين .. وقد جعلته حجة بيني وبين الله على كل مخالف يدَّعِي شرف الانتساب لأبي الحسن الأشعري أو لإمام مذهبه الفقهي دون أن يسلك سبيلهما في ثوابت الدين وأصول الاعتقاد .. ولا غرو فهؤلاء هم فقهاء المذاهب وهم – بلا أدنى شك – أئمة الدنيا .. وأولئك هم شيوخهم وتلامذتهم .. فمَن بعدهم أو قبلهم؟! .. وكلهم قد أجمعوا على عقيدة واحدة وأقاموا حجة الله على عباده، بل وأرادوا من خلالها إقامة الحجة وجمع الأمة عليها، فما العذر في تركها أو استبدال الذي هو أدنى بالذي هو خير .

ويحق لي من هذا المنطلق أن أراهن على أن يكون هذا الكتاب – لو تقرر تدريسه – سبباً في إصلاحٍ حال هذه الأمة وإصلاح حال شبابها وفتياتها .. فقط! أعطوني من سني دراستهم أربع سنوات في أيٍّ من مختلف أعمارهم وأوطانهم وأصقاعهم .. يُدرس في الفصل الدراسي الأول من كلٍّ منها: عقيدةُ واحدٍ من أئمة المذاهب الأربعة، وفي الثاني: معتقد أحد مشايخه أو واحدًا ممن تمذهبوا بمذهبه .. أعطيكم عقيب هذه الأربع سنوات فقط: ثمرة جهدِكم، وأُسلِّمُكم جيلًا على قلب رجل واحد؛ يهز الجبال، ويزلزل أركان أعداء الإسلام، ويجعل من هذه الأمة أمة ذات كيان، ويعود بالأمة إلى سابق الأزمان.